النصوص المسيحية

في العصور الأولى

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد

الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى

النصوص المسيحية

في العصور الأولى

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد

الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى

الترجمة عن اللغة الإنجليزية

الأستاذة آمال فؤاد

المراجعات

مراجعة الترجمة على النسخة الإنجليزية

الدكتورة إيريني ثابت جورج

الأستاذة مريم سعد مينا

مراجعة الترجمة على النص اليوناني

الدكتور جرجس جمال فايز

المراجعة اللغوية وتدقيق النص العربي

الدكتور وجدي رزق غالي

المراجعة العامة والفهرس الموضوعي

الدكتور عماد موريس اسكندر

المقدمة والمراجعة النهائية واللاهوتية

الدكتور جوزيف موريس فلتس

تتقدم دار باناريون بالشكر والامتنان للأباء والأخوة الأحباء
الذين ساهموا في تكلفة إصدار هذا الكتاب

تُصدر دار باناريون للنشر والتوزيع سلسلة
"النصوص المسيحية في العصور الأولى"
من خلال هيئة علمية أكاديمية تحت إشراف
دكتور جوزيف موريس فلتس

الكتاب:	القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى
الترجمة:	الأستاذة آمال فؤاد
المراجعة:	مجموعة من المراجعين
الناشر:	دار باناريون – ٤٧ شارع كليوباترا، ميدان صلاح الدين مصر الجديدة. ت : ٢٤١٤٣١٠٦ / ٠٢ موبايل : ١٣٥ ٥٠٥٠ ١١١ (٠٠٢٠)
الطبعة:	الأولى مايو ٢٠١٢م
رقم الإيداع:	٢١٠٢/١١٠٣٥
الترقيم الدولي:	978-977-6363-02-1

مقدمة[1]

يمثل القديس[2] يوستينوس، وهو أول من أنشأ مدرسة لاهوتية مسيحية، حضورًا جديدًا ومؤثرًا في الكنيسة. وتتمثل عظمته بالأكثر في مبادراته عنها في نتائج محاولته وعطائه اللاهوتي. وقد كان هدفه هو إيجاد نوعية جديدة وحقيقية من الفلاسفة، أي الفلاسفة المسيحيون الذين يعبّرون عن وحدة الحقيقة في العالم وبالتالي عن وحدة العالم نفسه. ومع أنه قد سُمي "فليسوفًا" إلا أنه كان شخصًا مختلفًا بالتمام عن الشخص المفكّر أو الباحث الفلسفي. فقد كان ورغب في أن يكون دائمًا معلمًا ومرشدًا في الكنيسة. وبهذه الصفة الأصيلة كان يجب عليه أن يجيب ـ حتى وإن كان بصفة عامة ـ على تحديات عصره والتي تمثلت في ثلاثة محاور هي: اليهودية والهلّينية والغنوسية.

وبالطبع فإن ماضيه الفلسفي قد صبغ كل كتاباته بل وحدد طريقة تفكيره. ومع ذلك نجد أن افتراضاته الفكرية كانت تنبع على الدوام من الكتاب المقدس وتقليد الكنيسة. وفي نفس الوقت يعتبر ق. يوستينوس هو أول لاهوتي في الكنيسة استشعر أهمية وضرورة الفلسفة اليونانية التى كان قد فهمها بطريقة المدرسة الرواقية.

ومن الجدير بالذكر أن ق. يوستينوس لم يكن فليسوفًا أصيلًا،

---

١ قام د. جوزيف موريس فلتس باعداد هذه المقدمة بالاعتماد على المصادر التالية:

1. Στυλιανός Γ.Παπαδόπουλου, Πατρολογία Α .Αθήνα, 1982, p. 233 -244.

2. Johannes Quasten, Patrology, Vol. I, pp. 196 - 219.

٣. دكتور نصحي عبد الشهيد، الآباء المدافعون، نبذة غير منشورة. المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة.

٢ سيتم استخدام الحرف ق. للدلالة على كلمة القديس في كل الكتاب.

ذلك لأنه لم تكن لديه مشكلة فلسفية أصيلة يبحث عن حل لها، كما يتضح ذلك من كتاباته، غير أنه كان يملك عصب التفكير الفلسفي، وقد استخدم هذه الفلسفة كأداة فقط وليس كقاعدة للحق الذى آمن به. وهكذا فإنه لم يحول الحق الإنجيلي إلى فلسفة، كما أنه لم يسئ فهم هذا الحق، لكنه حاول فقط أن يُعبر عنه بلغة عصره متأثرًا بسيرته وحياته الروحية وتحوله من الوثنية إلى المسيحية، ولهذا نلاحظ أنه في معظم حياته تقريبًا كان يشعر بالحاجة إلى الإجابة عن سبب تحوله هذا. لذلك نجده مدافعًا عن حياته الشخصية، أي عن تحوله، الذي اعتمد بشكل أساسي على حقيقة أن نبوءات العهد القديم قد تحققت في شخص الرب يسوع، الأمر الذي أفاض في شرحه في كل كتاباته. ومن ناحية أخرى يمكننا القول إن كتابات ق. يوستينوس لم تكن مجرد فلسفة نظرية، بل ظلت دائمًا فلسفة حياة. فضلًا عن ذلك فقد كانت أقوى مبررات دفاعه عن المسيحية هي في المقام الأول حياة المسيحين أنفسهم وأخلاقياتهم، تلك الحياة التي حاول بشتى الطرق والوسائل أن يظهرها ويحللها بإعجاب يفوق الوصف، الأمر الذي نستطيع لأجله أن نزعم أن ق. يوستينوس كان معلمًا للأخلاق المسيحية أكثر من كونه معلمًا للأمور اللاهوتية، وذلك لأن أفكاره اللاهوتية، بالرغم من أصالتها، إلا أنه كان لها خط يختلف عن التعاليم اللاهوتية لكل من القديسين أغناطيوس وإيرينيؤس حيث إن تعاليم هذين القديسين وجدت قبولًا أكثر في الكنيسة، بل وأصبحت جزءًا من تقليدها الحي، وهذا الأمر قد حدث فقط جزئيًا بالنسبة لتعاليم ق. يوستينوس ولأسباب ليست عسرة الفهم، فالقديس يوستينوس لم ينشأ منذ صغره في أحضان الكنيسة وتقليدها مثلما حدث مع القديسين الآخرين.

وهكذا كان حديث ق. يوستينوس منصبًّا على مواجهة التحديات الثلاث السابق ذكرها والتي واجهت الكنيسة في عصره. ولكن أحد الأمور التي واجهها ق. يوستينوس والذي تمثل في "علاقة بذرة الكلمة بأقنوم الكلمة" وأيضًا في "علاقة المسيحية بالفلسفة"، هذا الأمر لم يحل تمامًا بطريقة مقنعة في كتابات ق. يوستينوس، كما أن تعاليمه اللاهوتية بهذا الشأن لم تصبح هي تعاليم الكنيسة عن هذا الأمر.

ومن الجدير بالذكر أن ق. يوستينوس لم يكن يعلِّم بهذه التعاليم داخل إطار الكنيسة بل في مدرسته الخاصة في روما، والتي كانت تشابه إلى حد كبير المدارس الفلسفية المنتشرة في عصره. فقد كان خطابه موجهًا للمؤمنين وغير المؤمنين في عصر لم تكن فيه العبادات المسيحية قد انتشرت خارج السراديب. وكانت كتاباته ينقصها الحس الليتورجي السرائري، حيث إن النصوص التي سجّلها عن سريّ المعمودية والليتورجيا كانت تميل إلى عرض معلومات وتفاصيل أكثر من كونها شرحًا لاهوتيًّا للسِّر نفسه. ومع ذلك كانت هذه الكتابات تعكس حرارة شخص صار مستعدًّا فيما بعد أن يقدِّم نفسه شهيدًا لإيمان الكنيسة.

ونوجه الانتباه هنا إلى أننا عندما نحلل الفكر اللاهوتي للقديس يوستينوس ينبغي أن نتذكر أنه ليس لدينا تصورًا كاملًا وشاملًا لتعليمه عن الإيمان المسيحي لأن نسخ كتاباته اللاهوتية الأصلية مثل "سلطان اللّٰه" و"عن الروح"، و"القيامة"، و"ضد كل الهرطقات"، و"ضد ماركيون" قد فُقِدت تمامًا. ولا يمكن للنصوص المتوفرة لدينا أن تعطي صورة جدية أو كاملة عن الفكر اللاهوتي للقديس يوستينوس. ويمكننا القول إنه في كتاباته المفقودة مثل "ضد الهرطقات" كان لديه فرصة أكبر للتنقيب في الأسئلة العقيدية، أما

عندما يدافع عن الإيمان ضد غير المؤمنين (في الدفاعين) فقد كان يسعى إلى أن يوضح بالمقارنة الفرق بين تعليم الكنيسة وتعاليم المفكرين اليونانيين والشعراء لكي يظهر بوضوح أن المسيحية هي الفلسفة الوحيدة الآمنة والنافعة. والنقطة الأخرى التي يجب أيضًا أخذها في الاعتبار عند التعامل مع كتابات ق. يوستينوس أن الشرح اللاهوتي للإيمان في القرن الثاني كان لا يزال في مهده، كما أن التعبيرات اللاهوتية لم تكن قد صيغت بشكل محدد بعد، ولم يكن هو - فيما ذكره من أمور لاهوتية - يعارض فكرًا لاهوتيًا مستقرًا من قبل في الكنيسة بل كان يقدِّم محاولة جادة رائدة - وإن كانت غير مكتملة - لشرح الإيمان، وفي هذا تكمن عظمته كما سبق القول. لذا فنحن عندما نقرأ لهذا القديس يجب أن نتعامل مع أفكاره بطريقة تتناسب مع الظروف والملابسات الخاصة بزمنه والتي تختلف عن الطريقة التي يجب أن نتعامل بها مع تعاليم الآباء الذين جاءوا بعده، مثل القديس أثناسيوس والقديس كيرلس. وفي الحقيقة يكون من الخطأ بل والظلم أن نقوم بتقييم الفكر اللاهوتي للقديس يوستينوس على خلفية الفكر اللاهوتي الذي استقر في الكنيسة في القرن الرابع.

ويمكننا القول إن كتابات ق. يوستينوس دارت حول محورين رئيسين:

١. إن الفكر والكلام البشري يمكنهما أن يلامسا الحقيقة، حتى ولو كان هذا يتم بصورة غير كاملة. وهكذا فإن العالم والتاريخ يملكان شيئًا جديرًا يمكنه أن يقود إلى حوار بين الكنيسة ورجال الفكر والعلم. وهذا الأمر يمكن تحقيقه، لأن الحقيقة، تلك التى اكتملت في شخص يسوع المسيح، كانت موجودة على الدوام في العالم في صورة

"بذرة" أو بصورة نسبية. أما المسيح فلأنه هو الحق في ذاته فإنه كان يعمل بكونه هو الحقيقة وبكونه هو "الكلمة" حتى قبل تجسده. لهذا فإن كل من عاشوا قبل مجيء المسيح في الجسد، وبالحري رجال العهد القديم والفلاسفة، لم يكونوا بعيدين عن المسيح. فالحقيقة الكائنة في العالم هي واحدة وهي التي اكتملت في شخص المسيح الإله المتجسد. غير أن معظم فلاسفة الأمم، كانوا قد حرّفوا بذرة الحقيقة، وهكذا فقد خلصوا إلى أنظمة فلسفية خاطئة، ولم يُستثن من ذلك حتى أفلاطون، ذلك الفيلسوف اليوناني الذي حظي بمكانة كبيرة عند ق. يوستينوس، وذلك لأنه من الواضح أن ق. يوستينوس الذي لم تكن تنقصه الواقعية، لم يكن مقتنعًا تمامًا بما علّم به أفلاطون عن بذرة الكلمة (أي عن الحقيقة)، ولهذا فقد كان ق. يوستينوس دائمًا ما ينادي ويعلم بأن أي تعليم صحيح في تعاليم الفلاسفة اليونانيين مصدره تعاليم ونصوص العهد القديم. ومع ذلك لم يشرح لنا بالمرة السبب الذي دفع هؤلاء الفلاسفة إلى أن يستعيروا من الأنبياء تعاليمهم، في الوقت الذي كانت فيه بذرة الحقيقة متاحة للجميع. وهكذا لم يجد ق. يوستينوس مخرجًا من هذه المعضلة ولم يضع لها حلًا. ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة قد وجدت مخرجًا خاصة لموقف ق. يوستنوس وبصفة عامة لباقي المدافعين من خلال كتابات ق. ايرينيؤس اللاهوتية وما عبّر عنه في تعليمه عن "انجماع الكل" في المسيح.

٢. إن نبوءات العهد القديم قد تحققت في شخص المسيح الإله المتجسد. ويعتبر هذا الأمر بالنسبة للقديس يوستينوس هو

أقوى دليل على صحة المسيحية وما تمتلكه من حقيقة كاملة. فقد عبّر ناموس موسى عن الحقيقة، ولكنها كانت غير مكتملة، أما الاستعلان الكامل والنهائي لها فقد صار من الله للبشرية في شخص يسوع المسيح. هذه الحقيقة مثلت مركز الثقل في كل حياة وفكر وكتابات ق. يوستينوس، بل كانت القاعدة التي استند عليها في تحوله إلى المسيحية وسببًا ومنطلقًا لكل تفسيراته وتعاليمه اللاهوتية. ويمكننا من خلال قناعاته هذه أن نفهم بالأكثر ما علَّم به عن "وحدة الحقيقة" وعن موقفه من نبوءات العهد القديم، وأن نعلم كيف صار هو أول من بدأ - في إطار الكنيسة - في تفسير العهد القديم باستخدام الطريقة النمطية التى كان يستخدمها اليهود، بالإضافة إلى طريقة المربيين في شرح النصوص. ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن ق. يوستينوس هو أول من بحث عن معنى اسم "المسيح"، وبصفة عامة يمكننا أن نقول إن كتاباته ليست هي بالكتابات المنهجية، بل بالحري كانت ذات توجهات شمولية لإيضاح المسيحية باعتبار أن المسيحية تمثل قمة تاريخ البشرية.

ومن التعاليم اللاهوتية التي يمكن أن نستشفها من الكتابات المؤكدة صحة نسبها للقديس يوستينوس ما يلي:

١. تعليمه عن الله الآب والكلمة: الله لا بداية له، ولذلك "فإنه أب الجميع، غير مولود ليس له اسم، لأن أي اسم يُسمى به الشخص يكون الشخص الذي سماه أكبر منه، وكل التسميات سواء أب، إله، خالق، رب هي ليست أسماء بل ألقاب متخذة من أعماله الصالحة ووظائفه. ولقب "أب" ليس

اسمًا بل هو مغروس في طبيعة البشر عن أمر يصعب جدًّا شرحه" (دفاع ٢ : ٦). أفضل اسم لله هو "أب"، لأنه بسبب كونه الخالق فهو بالحقيقة أب الكل (حوار: ١٢٧). وبما أن الله عالٍ جدًّا وفائق على كل البشر، فمن اللازم عبور الهوة الفاصلة بينه وبين الإنسان. وهذا ما فعله اللوغوس. فاللوغوس هو الوسيط بين الله الآب والعالم. الله يتصل بالعالم بواسطة الكلمة فقط. وهو يعلن نفسه من خلال الكلمة وحده. وهكذا فالكلمة هو الطريق إلى الله وهو معلم الإنسان. وفي الأصل كان الكلمة قوة كائنة في الله، ثم صدر منه وخرج منه وهو نفسه (الكلمة) الذي خلق العالم. ويشرح ق. يوستينوس ولادة الكلمة بتشبيهين في حواره مع تريفون فصل ٦١. التشبيه الأول: "هو كالنار التي لا تنقص عندما تضرم بل تبقى كما هي". التشبيه الثاني: "هو العمل الذي يصدر عن الإنسان دون أن ينقص من جوهر الإنسان، هكذا ولادة اللوغوس الكلمة الإلهي ينبغي أن تُفهم كعملية في داخل الله. وكان تعليم ق. يوستينوس عن الكلمة هو أهم تعاليمه اللاهوتية، لأن الكلمة عنده يشكل جسرًا بين الفلسفة اليونانية والمسيحية. فالقديس يوستينوس يُعلِّم، أنه رغم أن الكلمة الإلهي ظهر بملئه فقط في المسيح، فإن "بذرة اللوغوس" انتشرت وسط كل البشر من قبل مجيء المسيح. لأن كل إنسان يملك في عقله بذرة من اللوغوس. لذلك، فليس فقط أنبياء العهد القديم، بل حتى الفلاسفة الأمميين كان فيهم بذرة من اللوغوس في نفوسهم. ولذلك فهو يقول عنهم إنهم كانوا مسيحيين حقيقيين. ويقول ق. يوستينوس في دفاعه الأول "لقد تعلمنا أن

المسيح هو بكر الخليقة. وقد أعلن أنه هو الكلمة الذي اشترك فيه كل جنس البشر وأن كل من عاش عيشة تتفق مع الكلمة كان مسيحيًّا حتى ولو عُرِّفَ بالوثنية كما جرى بين اليونانيين أمثال سقرط وهيراقليطس وغيرهما". كما قال في دفاعه الثاني ما فحواه إن المسيح كلمة الله ينير العقول البشرية منذ البدء فأخصبت بذورًا منه واهتدت إلى بعض الحقائق. فكل ما قاله الفلاسفة والمشترعون وما اكتشفوه من جميل إنما بلغوا إليه بفضل تأثير جزئي من الكلمة. ولما كانوا لم يعرفوا الكلمة بأكمله فقد أخطأوا أحيانًا وناقض بعضهم بعضًا أحيانًا أخرى.

٢. تعليمه عن العذراء وحواء: يعتبرق. يوستينوس هو أول الكتاب المسيحيين الذين أقاموا مقارنة بين العذراء مريم وحواء كما فعل الرسول بولس في كلامه عن المسيح وآدم. فقد قال في الفصل المائة من حواره مع تريفون: "لقد صار المسيح إنسانًا بواسطة العذراء ليزهق العصيان الذي انبثق عن الحية بالطريقة نفسها. فحواء العذراء الطاهرة حملت كلمة الحية فولدت عصيانًا وموتًا. أما مريم العذراء فإنها آمنت وابتهجت عندما بشرها الملاك جبرائيل بأن روح الله سيأتي عليها وأن قوة العلي ستظللها ، ومن أجل ذلك القدوس المولود منها هو ابن الله. فأجابت ليكن لي كقولك. وبواسطتها وُلِدَ مَن أثبتنا إشارة الأسفار إليه ومَن يسحق الله به الحية والملائكة والبشر الذين هم على شاكلتها".

٣. تعليمه عن الملائكة والشياطين: كان ق. يوستينوس هو أول من تحدث عن الملائكة وعملهم. "والملائكة الأطهار الآخرون اتبعوه ففوض إليهم العناية بالإنسان وكل شيء

تحت السموات" (دفاع ٢ : ٥) . وجاء في الحوار مع تريفون أن للملائكة الأرواح طبيعة تشبه الإنسان لأنهم يقتاتون في السموات بالمنّ الذي كان يقتاته بنو إسرائيل وأن بعضهم سقط لأنهم اشتهوا نساء العالم فخلقوا الشياطين . وجاء في الدفاع الأول (فصل: ٨) أن هؤلاء سيكون جزاؤهم نارًا أبدية بعد مجيء المسيح، وأن عملهم الآن هو أن يمنعوا اهتداء الناس (١: ٢٦، ٤٥). وقد جاءت فكرة زواج الملائكة من البشر نتيجة التفسير الخاطئ للآية الواردة في سفر التكوين (تك ٦: ٢، ١) "وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض ووُلد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا" وتعود أصول هذه المشكلة نتيجة وجود ترجمة يونانية للكتاب المقدس ظهرت فيها عبارة "ملائكة الله" بدلًا من "أبناء الله". أما العبارة في الأصل العبري فهي "أبناء الله" كما ترد في الفولجاتا اللاتينية أيضًا بمعنى "أبناء الله" ولكنها تأتي في الترجمة القبطية بمعنى "ملائكة الله". وقد أشار لذلك ق. أغسطينوس في كتابه "مدينة الله" رافضًا فكرة زواج الملائكة من البشر، مفسرًا عبارة ملائكة الله بمعنى رسله أو خدامه وهم هنا أبناء شيث. وقد ظهرت فكرة زواج الملائكة في كتب أبوكريفا العهد القديم، ويبدو أن ق. يوستينوس قد تأثر بها نظرًا لنشأته في فلسطين، ويمكننا أن نرى هذا في سفر أخنوخ. أما بالنسبة للشياطين فقد ذكر ق. يوستينوس أنهم أعموا اليهود وحرضوهم على تعذيب الكلمة الذي ظهر بيسوع. وهم يسعون لإحباط إمكانياته بين الوثنيين لأنهم يعلمون أنه سيجد بين هؤلاء معظم أتباعه.

كما جاء أيضًا في الحوار (فصل ٣٠) "إننا ندعو يسوع مُعينًا ومخلصًا لأننا باسمه نطرد الشياطين، وهو الذي صلب على عهد بيلاطس البنطي حاكم اليهودية. وهكذا يتضح للجميع أن الآب قد أعطاه قوة عظيمة، وبحكم هذا تخضع الشياطين لاسمه".

٤. تعليمه عن الخطية الأولى والتأليه: يعلم ق. يوستينوس بأن الإنسان يمكن أن يتأله حسب قصد الله من خلقته، لكن أباؤنا الأولون أخطأوا وجلبوا الموت على أنفسهم. أما الآن فقد استعاد الكل القدرة على أن يصيروا آلهة. فيقول في الحوار (فصل ٢٤) "الله خلق الإنسان على مثاله حيًّا لا يموت حرًّا من المعاناة، واشترط عليه أن يحفظ وصاياه ويثبت أهليته أن يُدعى ابنًا له، ولكن الإنسان فعل فِعل آدم وحواء فجلب الموت على نفسه...(ويضيف ق. يوستينوس) وفسر المزمور الحادي والثمانين كما تشاء فيظل يشهد أن جميع الناس يستحقون أن يكونوا آلهة وأن كلًا منهم سيُدان ويحكم عليه كما حكم على آدم وحواء".

٥. تعليمه عن المعمودية: يقول ق. يوستينوس في آخر دفاعه الأول "وسأذكر كيف نكرس نفوسنا لله بعد التجدد بالمسيح خشية الظهور بمظهر التحيز إذا أغفلنا ذلك. يجمع الذين يقتنعون ويعتقدون أن ما نعلمه ونقوله هو الحق ويأخذون التعهد على أنفسهم السلوك بموجب ذلك ويُعلّمون كيف يصلّون ويبتهلون إلى الله صائمين لمغفرة خطاياهم السابقة. ونحن نصلي ونصوم معهم، ثم نأخذهم إلى مكان فيه ماء ونجددهم بالطريقة نفسها التي تجددنا بها؛ إذ إنهم ينالون الغسل بالماء باسم الله الآب سيد الكون باسم مخلصنا

يسوع المسيح وباسم الروح القدس... إن هذا الغسيل يدعى استنارة، لأن الذين يقبلون هذا التعليم تكون أرواحهم مستنيرة، لأنه باسم الآب ويسوع المسيح الذي صلب أيام بيلاطس بنطس، والروح القدس الذي نطق في الأنبياء بكل تاريخ يسوع، يغتسل المستنير".

٦. تعليمه عن الإفخارستيا: لقد جاءت تعاليم ق. يوستينوس عن الإفخارستيا في دفاعه الأول (فصول ٦٥ ـ ٦٧)، حيث قدم وصفًا للإفخارستيا وأعطى تفاصيلًا عن قداس الأحد. فليتورجية الأحد تبدأ بقراءة مأخوذة من أناجيل قانونية، التي يُسميها هنا صراحة بـ "مذكرات الرسل"، أو من كتب الأنبياء. ويتبع ذلك عظة ذات تطبيق أخلاقي للقراءات. وبعد ذلك يصلي الجمع لكل المسيحيين، ولكل البشر في كل العالم. وفي نهاية الصلاة يتبادل الجمع قبلات السلام. ثم يُحضَر الخبز والخمر للرئيس، فيتلو صلوات التقديس عليها ثم توزع القدسات بواسطة الشمامسة للحاضرين وتحمل لمن هم غائبين. ويؤكد ق. يوستينوس بوضوح أن الإفخارستيا ليست خبزًا أو شرابًا عاديًّا لكنه جسد ودم يسوع المتجسد. وقد قدم ق. يوستينوس وصفًا لأحد القداسات التي تبعت ممارسة طقس معمودية أحد الأشخاص وفيه نجد أن القراءات والعظة غير موجودين. ويبدو أنها قد حُذفت من طقس الإفخارستيا بسبب أنها قد تليت في طقس المعمودية التي سبق القداس. يقول في ذلك الفصل "يُقاد المعمد إلى الإخوة المجتمعين معًا لكي نصلي مشتركين من كل قلوبنا لأجل أنفسنا ولأجل مَن نال الاستنارة وجميع الآخرين في كل مكان ولكي نعتبر بعد أن عَلِمنا الحقيقة وبعد حفظ الوصية

مواطنين لائقين فننال الخلاص. وبعد الانتهاء من الصلوات نحيي بعضنا بعضًا بالقبلة. ثم يُقدم خبز وكأس خمر وماء لرئيس الأخوة فيقبلها. ويأخذ فيشكر ويمجد آب كل شيء بإسم ابنه والروح القدس. ثم يشكر بإسهاب لأننا اعتبرنا لائقين لتناول هذه الأشياء على يده. وعند انتهاء الصلوات والشكر يوافق جميع الحاضرين بالقول آمين. وهذه الكلمة آمين تعني بالآرامية فليكن كذلك. وبعد انتهاء الرئيس من الاحتفال بالإفخارستيا وبعد أن يوافق الشعب يقدم أولئك الذين ندعوهم شمامسة بعض خبز الإفخارستيا والخمر والماء لمن يكون حاضرًا ويحملون بعضه للغائبين. وهذا الغذاء ندعوه الإفخارستيا. ولا يتناوله إلا الذين يؤمنون بصحة ما نعلم به، الذين قد اغتسلوا لمغفرة خطاياهم وتجددوا وسلكوا بموجب وصايا المسيح. فإننا لا نتناول هذا الغذاء كخبز عادي وشراب عادي بل كجسد ودم يسوع الذي صار جسدًا لأجل خلاصنا. فإن الرسل أعلنوا في مذكراتهم التي تُدعى أناجيل أنهم أُمِروا أن يفعلوا كما يلي: أن يسوع أخذ خبزًا وشكر وقال افعلوا هذا لذكري هذا هو جسدي وكذلك شكر وقال هذا هو دمي وأعطاه لهم وحدهم". أما عن وصفه لقداس الأحد فهو اليوم الذي يجتمع فيه المسيحيون بانتظام. ويؤكد أنه يوم مقدس لأن الله قد خلق فيه العالم، وأنه فيه أيضًا قد قام المسيح من الأموات. ويصف قداس الأحد بقوله: "ويجتمع في يوم الأحد كل الذين يسكنون المدن والقرى في مكان واحد فتقرأ مذكرات الرسل وأسفار الأنبياء بقدر ما يسمح به الوقت. ثم يختم القارئ قراءاته ويعلم الرئيس شفاهًا فيحثنا على تطبيق هذه الأمور الجيدة.

ثم نقف جميعًا ونرفع الصلوات. وعند الانتهاء منها يُقدم الخبز والخمر والماء كما سبق وذكرنا ويبتهل الرئيس ويقدم الشكر حسب طاقته ويوافق الشعب بالقول آمين. ثم يجري التوزيع فيشترك كل واحد في الإفخارستيا وينقل الشمامسة بعضه للغائبين. والأغنياء الذين يحبون العطاء يقدمون بحسب ما يريدون. ثم يودع المال المجموع عند الرئيس ليوزع على اليتامى والأرامل والمحتاجين سواء بسبب المرض أو لأي سبب آخر، وكذلك على السجناء والغرباء وبالإجمال على كل من يحتاج المساعدة. ونجتمع في يوم الأحد لأنه هو اليوم الذي غيّر فيه الظلام والمادة وصنع العالم ولأنه هو اليوم الذي فيه قام يسوع المسيح مخلصنا من الموت" . وكان ق. يوستينوس ينظر للإفخارستيا على أنها ذبيحة، حيث يذكر في حواره مع تريفون اليهودي (فصل ٤١): "ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من أيديكم. لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي يتمجد بيت الأمم، وفي كل مكان يقرب لأسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم يقول الرب ولكنكم تنجسونه. إذن فهو يتكلم عن أولئك الأمم الذين هم نحن، الذين نقدم له ذبائح في كل مكان وأعني بها الإفخارستيا وكأس الإفخارستيا" . ولكن ق. يوستينوس كان يرفض الذبائح الحيوانية التي يقدمها اليهود (الحوار: ١١٧، دفاع ١: ١٣).

٧. تعاليمه الإسخاتولوجية: يشترك ق. يوستينوس مع آخرين من المسيحيين في عصره في الإيمان بالألف سنة الحرفية فيقول: "ولكني أنا وآخرين من المسيحيين المستقيمين في كل الأمور متأكدون أنه ستكون قيامة للأموات وألف سنة في

أورشليم التي ستصير حينئذ مبنية متسعة ومزينة". ولكنه يشعر أنه ملتزم بأن يعترف بأن ليس كل المسيحيين يعتقدون بهذا الرأي عن الألف سنة، فيقول:"أقول لك إن كثيرين من الذين يعتنقون الإيمان المسيحي النقي، إيمان التقوى وهم مسيحيون حقيقيون لا يتفقون معنا في هذا الاعتقاد بل يفكرون بطريقة مختلفة عنا" (الحوار: ٨٠). أما بالنسبة لأرواح المنتقلين، فيرى ق. يوستينوس أنها تمضي إلى الهاوية أولًا وتنتظر فيها إلى نهاية العالم، فيما عدا أرواح الشهداء، فهي تُستقبل في السماء مباشرةً بعد إنتقالها. وأن أرواح الأبرار منفصلة عن أرواح الأشرار في الهاوية. أرواح الصالحين تهلل؛ إذ تنتظر خلاصها الأبدي، بينما أرواح الأشرار تكون في شقاء وتعاسة؛ إذ تنتظر قصاصها المتوقع. (حوار ٥: ٨٠)

وفي النهاية نستطيع أن نقول إن الفهم المنهجي لشخصية وكتابات هذا المعلّم العظيم والشهيد والمدافع عن الكنيسة ليس بالأمر السهل، وذلك لأنه كان شخصًا بسيطًا حارًّا بالروح، والباحث في كتاباته يواجَه بالكثير من المشاكل لأن ق. يوستينوس كان يُقدم على إبداء آراء واستخدام تعبيرات لم يسبقه أحد إليها. وإذا كانت بعض تعاليمه اللاهوتية لم تُعد ضمن تقليد الكنيسة، غير أن الكنيسة لم تجد صعوبة في فهم موقفه بل وتكريمه، لأن ق. يوستينوس المعلِّم والذي لم يكن يحمل أي رتبة كهنوتية، صار شهيدًا لإيمان الكنيسة، ولأنه كان أول من حاول - حتى وإن لم ينجح بشكل كامل - بصورة جادة وبجرأة وإصرار أن يضع الحقيقة المسيحية في مقابل الفكر الفلسفي ولا سيما الفكر الأفلاطوني.

ومن هذا المنطلق قامت باناريون بترجمة ونشر كتابات ق. يوستينوس ضمن سلسلة:

"النصوص المسيحية في العصور الأولى"

وهذا الكتاب هو ترجمة عربية عن الإنجليزية من سلسلة آباء الكنيسة التي تصدر عن مطبعة الجامعة الكاثوليكية بأمريكا، المجلد السادس:

Saint Justin Martyr, The Fathers of the Church: A New Translation (Patristic series), CUA Press Publications, Vol. 6. Translated by Thomas B. Falls.

وقد تمت إضافة الفصل الأخير مترجمًا عن الإنجليزية من مجموعة آباء ما قبل نيقية، المجلد الأول:

The Apostolic Fathers with Justin Martyr and Irenaeus, Ante Nicene Fathers, Vol. I, Editor: Schaff, Philip.

كما تمت مراجعة الترجمة وضبطها على الأصل اليوناني ثم إضافة المقدمة والحواشي والفهارس.

نسأل الله أن يبارك في هذا العمل

وللثالوث القدوس المجد والإكرام والسجود الآن وإلى الأبد آمين.

الناشر

١٧ بشنس ١٧٢٨ ش. ٢٥ مايو ٢٠١٢م

نياحة القديس إبيفانيوس أسقف قبرص

١ تمهيد

[١] هذا التمهيد هو مقدمة النسخة الإنجليزية

يُعتَبر القديس يوستينوس الشهيد أبرز مدافع عن الإيمان في القرن الثاني الميلادي فبينما وجَّه الآباء الرسوليون[1] مثل ق. كليمندس الروماني وق. إغناطيوس الأنطاكي وق. بوليكاربوس خطاباتهم ووصاياهم إلى جماعات وأفراد من داخل العالم المسيحي فإن ق. يوستينوس يُعتَبر أول مدافع بارز عن الإيمان المسيحي ضد غير المسيحيين وأعداء الكنيسة.

وتُعَد كتابات القديس يوستينوس هي المصدر الرئيس للمعلومات التاريخية القليلة غير المؤكدة المعروفة لنا عن حياته. وهذه الكتابات هي الدفاعان الأول والثاني والحوار مع تريفون. فقد سجل في الفصول الثمانية الأولى من هذا الحوار الظروف التي أدت به إلى اعتناق المسيحية. أما الأحداث المتعلقة باستشهاده فقد وردت في كتاب (Acta. SS. Justini et Sociorum) وهو مصدر موثوق يرجع إلى أواخر القرن الثاني.

ويحدد المؤرخون تاريخ ميلاد ق. يوستينوس في بدايات القرن الثاني الميلادي (بين أعوام ١٠٠- ١١٠م) في مدينة فلافيا نيابوليس[2] (Flavia Neapolis) (الآن نابلس) في السامرة. ومع أن القديس إبيفانيوس[3] يدعوه سامريًا وهو نفسه يدعو شعبه سامريين[4] إلَّا أنه لم يكن يهوديًّا، لا من جهة الأصل ولا من جهة الديانة[5]. فقد كانت عائلته وثنية تنتمي إلى أصول يونانية رومانية[6] وكانوا قد استوطنوا

---

[1] إن تعبير "الآباء الرسوليون" هو اسم جمعي تم استخدامه منذ القرن السابع عشر وهو يشير إلى مجموعة من الكتاب المسيحيين كانوا أو يُعتقد أنهم كانوا تلاميذًا للرسل انظر:
K. Bihlmeyer, *Die Apostolischen Väter* (Tübingen, 1924) VIIf.

[2] انظر الدفاع الأول فصل ١. وقد دعيت فلافيا تكريمًا لفلافيوس فسبسيان الذي بنى هذه المدينة على أطلال شكيم التي كانت عاصمة السامرة.

[3] Cf. *Adversus Haereses* 46.

[4] انظر الحوار مع تريفون، فصل ١٢٠.

[5] طبقًا لما جاء في الحوار مع تريفون فصل ٢٧، نجد أنه لم يكن مختتنًا.

[6] يقول كايريه (F. Cayré) في *Patrologie et Histoire de Théologie* (الطبعة

في فلافيا نيابوليس خلال عهد الإمبراطور تيطس (٧٩ - ٨١ م) ابن فلافيوس فسبسيان (٦٩ - ٧٩ م) الذي بنى هذه المدينة ومنح سكانها مزايا الجنسية الرومانية.

ويبدو أن والدي ق. يوستينوس كانا ميسوري الحال، فقد تمكنا من إعطاء ابنهما قسطًا وافرًا من التعليم وفقًا للثقافة الوثنية السائدة في ذلك الزمان. وكان الشاب يوستينوس متوقد الذكاء كما كان يتميز بحب استطلاع فطري وتعطش شديد للعلم والمعرفة. وقد حاول أن يزيد من معرفته عن طريق أسفاره الكثيرة، وكان يتردد على المدارس الفلسفية الرواقية والمشائية والفيثاغورية[٧] والأفلاطونية مدفوعًا برغبة داخلية ونزعة عميقة للفلسفة[٨]. وبدأ ق. يوستينوس رحلة البحث عن الحقيقة وطموحه الوحيد والأعظم هو معرفة الله الكاملة. وإذ لم يقنع بالفلسفات الرواقية والمشائية، وجد السلام ولو مؤقتًا في الفلسفة الأفلاطونية، وفي هذا يقول: "لقد غمرني إدراك كل ما هو روحي كما جعلت نظرية الأفكار عند أفلاطون ذهني يحلق حتى إنني تخيلت بعد وقت قصير أنني قد صرت حكيمًا؛ بل وقد

الثالثة - باريس ١٩٣٨) فصل ١١٠ إنه من الأرجح أن ق. يوستينوس كان من أصول رومانية فقط أما B. Altaner فيقول في *Patrologia* (روما ١٩٦٤) فصل ٦٩ إنه كان يونانيًا إلا أن اسم أبيه اللاتيني واسم جده اليوناني يدلان على أصل مختلط. انظر: Smith and Wace, Dict. of Christ. Bio.

[٧] لم يهتم ق. يوستينوس بعلوم أخرى غير فلسفية ولمّا كانت المعرفة الشاملة بالموسيقى والفلك والهندسة مطلوبة كخطوة أوليّة للالتحاق بالمدرسة الفيثاغورية فقد دفع هذا بيوستينوس - بالإضافة إلى بعض الأسباب الشخصية - إلى أن يترك تلك المدرسة بعد فترة قصيرة

[٨] يقول ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون الفصل الثاني: "إن الفلسفة هي حقًا أعظم ما يمتلكه المرء. إنها ثمينة في نظر الله فهي وحدها تقودنا إليه وتوحدنا به. إن هؤلاء الذين كرسوا نفوسهم للفلسفة هم بالفعل أناس قديسون". إن الفلسفة عند ق. يوستينوس تشتمل كل من البحث عن الحقيقة والحقيقة نفسها التي هي الله ذاته لأن "الله هو الكائن الذي له دومًا نفس الطبيعة بنفس الطريقة وهو سبب وجود كل الموجودات الأخرى ... إذن الفلسفة وحدها هي التي تؤدي إلى السعادة"

كيف يُفتَرى على المسيحيين ورأيتهم يقفون بغير خوف أمام الموت، أدركت أن هؤلاء لا يمكن أن يحيوا حياة الخطية والشهوة[١٢]."

وصار يوستينوس مسيحيًّا في حوالى عام ١٣٠م[١٣] على الأرجح في مدينة أفسس[١٤] كما يعتقد راوشن[١٥] (G. Rauschen) وغيره. ومنذ ذلك الوقت كرَّس ق. يوستينوس حياته وكل طاقته للدفاع عن الإيمان المسيحي ونشره في كل مكان.

ولا نعرف إلا القليل من الأحداث التي مرَّ بها في حياته بعد المعمودية، ومن هذا القليل أنه تقابل مع رجل يهودي يُدعى تريفون[١٦] (Trypho) في مدينة أفسس وذلك أثناء الثورة اليهودية ضد الغزاة الرومان فيما بين أعوام ١٣٢ - ١٣٥م؛ وقد دارت بينهما مناظرة حول مميزات كل من اليهودية والمسيحية. ويخبرنا كل من يوسابيوس وق. جيروم أن ق. يوستينوس بعد أن اعتنق المسيحية استمر في إرتداء رداء الفلاسفة[١٧] ويصفه القديس إبيفانيوس بأنه "ناسك عظيم عاش حياة الزهد والقداسة". ومن المؤكَّد، أنه لم يصِر كاهنًا، وهذا حسب

---

[١٢] الدفاع الثاني، فصل ١٢.

[١٣] وفقًا ليوسابيوس في *Historia Ecclesiastica* 4.8 أن ذلك كان بعد عام ١٢٨م، في حين يعتقد آخرون مثل ماران أن اعتناقه للمسيحية كان في عام ١٣٧، وشاركه باتلر نفس الرأي في كتابه "*The Lives of the Primitive Fathers, Martyrs,...*" في الجزء الخاص بالقديس يوستينوس في قراءة يوم ١ يونية.

[١٤] يعتقد كيف Cave أنه قد اعتنق المسيحية في نابلس ويرى ماران أن ذلك كان في الأسكندرية، أما كايريه فيعتقد أن الاحتمال الأكبر أنه قد حدث في قيصرية.

[15] Foreward to *Frühchristliche Apologeten* (Bibl. d. Kirchenväter, 1913)

[١٦] الحوار مع تريفون، فصل ٣. كان تريفون من أشهر العبرانيين في ذلك الوقت، وهذا وفقًا ليوسابيوس في (*Historia Ecclesiastica* 4.18.6) وجيروم في (*De viris illust.* 23). ولكن هناك بعض المؤرخين الآخرين مثل باردنهيوَر في كتابه (*Geschichte der altkirchlichen Literatur* 1913 - I2 229) يشككون في الوجود التاريخي لتريفون. ويوجد احتمال أن يكون تريفون هو نفسه الراباي المشهور تارفون (Tarphon). انظر Th. Zhan "Dichtung und Wahrheits in Justins Dialog mit dem Juden Tryphon" – Zeitschrift für Kirchengeschichte 8 (1885 – 1886) 37 – 66

[١٧] هذا نفس ما كان يفعله أرستيدس الأثيني بعدما أصبح مسيحيًّا، وأيضًا باراكلاس حتى بعدما أصبح أسقفًا للإسكندرية.

اعتقاد تيلمونت (Tillemont) ودوم ماران[18] (Dom Maran) وأما كونه شمّاسًا[19] فإن هذا هو مجرد تخمين، غير أن غالبية المؤرخين يتفقون مع سيلييه (Ceillier) في أن ق. يوستينوس ظل علمانيًّا يتجول في ثياب فيلسوف متحدثًا مع أناس من كل الأشكال مطبقًا ما قاله لتريفون: "أنا الآن [بعد أن صرت مسيحيًّا] فليسوف وأمنيتي أن يشعر الكل بنفس بمشاعري ولا يزدرون قط بكلام المخلِّص لأن فيه جلال عظيم يبث الخوف داخل نفوس الذين حادوا عن طريق البر ولكنه أيضًا يبقى عزاءً أبديًّا لهؤلاء الذين يهتمون به ولذلك، إذا كنتَ تهتم بم فيه خيرك وخلاص نفسك وإذا كنت تؤمن بالله - لأني أعلم أنك لست بغريب عن هذا الأمر - فقد تتاح لك الفرصة أن تصل إلى معرفة مسيح الرب، وبعد أن تصير مسيحيًّا أن تستمتع بحياة سعيدة[20]".

وذهب ق. يوستينوس إلى روما بعد اعتناقه المسيحية ببعض الوقت[21] ومكث هناك فترة من الزمن. وقد أنشأ مدرسة للفلسفة، وكان تاتيان (Tatian) من أبرز تلاميذه، وكان كلما أتيحت له الفرصة دخل في مناقشات فكرية ومجادلات دفاعية بحُرية وشجاعة. وقد سُجِّلَت إحدى هذه المناقشات مع كريسكنس الكلبي (Crescens the Cynic) "المحب للآراء الباطلة وليس للحكمة"[22] والذي استخف بعبارة سقراط[23] الجديرة بالثناء: "لا ينبغي إكرام إنسان أكثر من الحق". وعلى الرغم من أن ق. يوستينوس قد فضح جهل كريسكنس التام بتعاليم المسيحية في مناظرة عامة معلنًا: "إنني أتوقع أن أكون ضحية لمؤامرة وأن أُعدم حرقًا ... ربما بواسطة

---

[18] Migne, *P.G.* 6.113f.

[19] A. Butler, *loc. cit.*

[20] الحوار مع تريفون، فصل ٨.

[21] Cf. Eusebius, *Historia ecclesiastica* 4.11.

[22] الدفاع الثاني، فصل ٣.

[23] Cf. Plato, *Republic* 10.595C.

بالنسبة للكثير من الكتاب الآخرين في العصور المسيحية الأولى. ومن أهم هذه الكتابات التي اندثرت كتاب (*Syntagma against all the heresies*) الذي أشار ق. يوستينوس نفسه إليه[٣١] وربما كان مقال ق. يوستينوس "ضد ماركيون" الذي اقتبس منه القديس إيرينيئوس[٣٢] جزءًا من هذا الكتاب. أما أعمال ق. يوستينوس الموثوق منها[٣٣] والتي حفظت لنا حتى الآن فهي "الدفاعان الأول والثاني" و"الحوار مع تريفون".

وينسب يوسابيوس (٢٦٥ - ٣٤٠م) ليوستينوس في كتابه "التاريخ الكنسي"[٣٤] الكتب التالية: "خطاب إلى اليونانيين"؛ "تحذير لليونانيين"؛ "عن المُلك الإلهي"؛ "كاتب المزامير" وأيضًا "عن الروح". وفي حين أن آخر كتابين قد ثبت ضياعهما[٣٥] ، إلَّا أن النقاد يرجعون الثلاثة كتب الأولى إلى نهاية القرن الثاني الميلادي أو بداية القرن الثالث الميلادي.

وبالإضافة إلى الأعمال الخمسة السابقة يضع ماران (Maran)[٣٦] وأيضًا أوتو (J.C. Th. von Otto)[٣٧] الأعمال التالية المزيفة ضمن كتابات ق. يوستينوس وهي: "عرض للإيمان الحقيقي"؛ "الرسالة

---

[٣١] الدفاع الأول فصل ٢٦.

[32] *Adversus haereses* 4.6.2.

[٣٣] يرى راوشن *loc. Cit.* 4 وكابريه *loc. Cit.* 112 وآخرون أن الشذرات المُسمَّاة "عن القيامة" هي أيضًا من كتابات ق. يوستينوس، أما الرسالة إلى ديوجنيتس والتي كانت تنسب إلى ق. يوستينوس حتى القرن السابع عشر فإنها ليست من كتاباته، و الآن يعتبر هذا الرأي من الحقائق المؤكدة.

[34] 4.1.8

[35] Cf. Bardy *D.T.C.* 8. 2238 ff

[36] *S.P.N. Justini Philosophi et martyris opera quae extant omnia* (Paris 1742) , reprinted in J.P. Migne, *Patrologia Graeca* 6

[37] *Corpus Apologetarum Christianorum saeculi secundi* (Jena 1877) I 23

وبالنسبة ليوستينوس "فإن المنطق السليم يطالب الإنسان المحب للحق أن يختار بكل وسيلة ممكنة أن يفعل ويقول ما هو حق حتى لو كان في ذلك تهديد لحياته، بدلًا من أن ينقذ حياته"[٤٥]. ولذلك يعتبره المؤرخون أصدق شاهد على أحداث عصره، فقد ألقى ق. يوستينوس الضوء في كتاباته بموضوعية وحماسة على علاقة المسيحيين بغير المسيحيين، وعبادة أتباع المسيح الأولين، وعلى حياتهم المشتركة واضطهاد سلطات الدولة لهم بلا سبب وبطريقة متحيزة، وأيضًا على عذاباتهم وبطولاتهم.

ومن الناحية اللاهوتية أيضًا تُعتَبر كتابات ق. يوستينوس ذات قيمة عظيمة[٤٦]، وإن كان استخدامه للكلمات غير المألوفة[٤٧] والمصطلحات المنقوصة قد أدى أحيانًا إلى عبارات غير صحيحة تمامًا، إلا أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن ق. يوستينوس كتب في زمان لم تكن فيه العبارات والمصطلحات اللاهوتية عمومًا قد تم تحديدها بدقة. وبطبيعة الحال كان ق. يوستينوس مثله مثل المدافعين الآخرين في القرن الثاني الميلادي متأثرًا بدرجة كبيرة بالفلسفة اليونانية ومعتمدًا عليها[٤٨]. وفي الواقع لم يكن هو فقط الكاتب المسيحي الأول الذي طبق الأنماط والعبارات الفلسفية على الفكر المسيحي بل كان هو أيضًا أول من حاول التوفيق بين الإيمان والعقل مخضعًا العقل للإيمان ومتفاديًا بذلك الوقوع في فخاخ الغنوسية. وإذ جمع ق. يوستينوس بين عالم الأفكار لأفلاطون، ومفهوم الكلمة في الكتاب

---

[٤٥] الدفاع الأول، فصل ٢.

[٤٦] يتفق كل من كايريه *loc. cit.* 115 و لاجرانج (M. J. Lagrange) في كتابه "القديس يوستينوس" (باريس ١٩١٤) أن ق. يوستينوس يستحق بالفعل لقب "معلم العقيدة".

[47] Cf. Otto, *loc. cit.*

[٤٨] انظر Photius, *Bibliothica* cod. 125 "إنه رجل قد صعد إلى أعلى قمم الفلسفة اليونانية والأجنبية فهو يفيض بالكثير من العلم وكنوز المعرفة" وقد دعاه الكُتَّاب المسيحيون الأوائل "القديس يوستينوس الشهيد والفيلسوف" (مثل أناسطاسيوس) أو "القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد" (مثل يوحنا الدمشقي).

الدفاع الأول

مقدمة

يُعتبَر الدفاع الأول ليوستينوس أحد أقدم الدفاعات الباقية في تاريخ المسيحية. ومنذ بداية الدفاع لا يسع القارئ إلّا أن يُعجب بشجاعة المؤلِّف وثبات هدفه، وحبه للحقيقة والبر والحكمة.

ويوجه ق. يوستينوس هذا الالتماس إلى الإمبراطور وابنَيه وإلى مجلس الشيوخ المقدس والشعب الروماني أجمع. ومقدِّم الالتماس هو "يوستينوس ابن بريسكس وحفيد باكيوس من مدينة فلافيا نيابوليس في سوريا ـ فلسطين"[1] وهو يمثل "أحد هؤلاء الرجال من كل جنس الذين يتعرضون للكراهية وسوء المعاملة ظلمًا".

ويؤكد ق. يوستينوس بجرأة أن حديثه لا يحتوي على كلمات تملق أو مداهنة أو طلب لامتياز أو مصلحة ما، ولكن الغرض من التماسه هذا هو إثبات أن الحق والعدل هما لجميع الناس سواء، والمطالبة بأن يعامل الكل معاملة عادلة على أساس المساواة، وأنه يجب على الأوصياء على العدالة ومحبي الحكمة أن يبنوا حكمهم على الحقيقة وحدها دون أي تحيز وليس على اندفاع غير عقلاني أو إشاعات مغرضة. ويستطرد بنزعة تميل إلى السخرية قائلا: "إن الفطنة تملي على الأتقياء والفلاسفة الحقيقيين ـ كما يجب أن يكون رجال الدولة ـ أن يجِلُّوا ويعتزّوا بما هو حق ... وعلى الحكام أن يحكموا لا بالقوة والاستبداد بل وفقًا للتقوى والفلسفة." ويطلب ق. يوستينوس أن يتم التحقيق في الاتهامات ضد المسيحيين بدون تحيز في كل حالة على حدة، ولو ثبتت ضدهم يجب أن يعاقبوا كأي شخص مذنب. "ومِن جهة أخرى فإن المنطق السليم"، كما يقول ق. يوستينوس "لا يسمح بظلم الأبرياء بسبب إشاعات خبيثة"، ولا يجب إدانة أحد دون

---

[1] كان ق. يوستينوس في الأغلب مواطنًا رومانيًا. انظر التمهيد.

إلى سلطان أرضي بل إلى الملكوت السماوي، فهم يطيعون سلطات الدولة في كل الأمور المدنية ويعيشون حياة فاضلة مقدسة. ويصف ق. يوستينوس كل الاتهامات ضد المسيحيين مثل: الكفر وأكل لحوم البشر والفسق، بأنها اتهامات باطلة ولا أساس لها من الصحة. وأما عن إيمانهم بخلود النفس فهو حتى بالنسبة للوثنيين أمر يمكن تصديقه ويتماشى مع العقل.

وفي الفصول من ٢١ ـ ٦٠ يظهر ق. يوستينوس تفوق المسيحية على الوثنية، كما يوضح أن الكثير من نبوءات العهد القديم قد تحققت في السيد المسيح شارحًا الفرق بين معجزات يسوع المسيح وخدع السحرة الوثنيين، وأن الأمم وبخاصة الفلاسفة الوثنيين ومن بينهم أفلاطون نفسه قد اقتبسوا من الكتاب المقدس.

وفي الفصول من ٦١ ـ ٦٨ يشرح ق. يوستينوس الممارسات المسيحية وخاصة طقس اعتناق المسيحية (سر المعمودية) وسر الإفخارستيا المقدس، وإجتماع المسيحيين يوم الأحد، كما يتعرض لأصوامهم وصلواتهم واهتمامهم بإخوتهم الفقراء.

وختامًا، يرفق ق. يوستينوس نسخة من مرسوم هادريان (فصل ٦٩) والذي تمت كتابته لصالح المسيحيين. وقد قام نُسَّاخ آخرون في وقت لاحق بإضافة خطاب أنطونينوس بيوس لمجلس آسيا (فصل ٧٠) وخطاب مرقس أوريليوس لمجلس الشيوخ (فصل ٧١)[٨]، إلى هذا الدفاع.

ويبدو أن ق. يوستينوس قد كتب هذا الدفاع في روما. وقد وضع المؤرخون تواريخ مختلفة[٩] لكتابته تتراوح بين عام ١٣٨م وعام ١٥٦م وذلك بناء على أدلة داخلية في مضمون الدفاع والأحداث التاريخية

[٨] هذان الخطابان أيضًا موجودان في الطبعة اليونانية الأولى (عام ١٥٥١) والترجمة اللاتينية الأولى (عام ١٥٥٤).

[9] Cf. the detailed analysis in W. Smith and H Wace, *loc. cit.* 3, 563

والتقليد[١٠]. ويقر ق. يوستينوس نفسه[١١] أنه يكتب بعد مائة وخمسين عامًا من ميلاد المسيح. ويرجع يوسابيوس في كتابه "Chronicon" تاريخ كتابة هذا الدفاع إلى سنة ١٤١م، وهي السنة الرابعة لحكم أنطونينوس (١٣٧ - ١٦١ م). أما تيلمونت ومن بعده عدد من الكُتَّاب البنيدكتيين (Benedictine editors) فيحددون تاريخ كتابة هذا الدفاع بحوالى عام ١٥٠م في مقدمة طبعتهم لأعمال يوستينوس: "ويبدو أنه لعدم وجود دليل واضح ضد هذا التاريخ فإن عام ١٤٨م ـ أو العام الذي ذكره ق. يوستينوس ١٥٠م ـ ينبغي أن يتم اعتباره التاريخ التقريبي للكتابة."[١٢]

وقد حُفِظ هذا الدفاع في مخطوطتين[١٣]، وإن كان الدفاع الثاني يسبقه في كل منهما. ونجد الترتيب ذاته في الطبعة اليونانية[١٤] وفي الترجمة اللاتينية الأولى. ويشير يوسابيوس[١٥] أيضًا في بعض الأحيان إلى ما نسميه نحن الآن الدفاع الأول على أنه الثاني، ويظن بعض النقاد أن الدفاع الثاني هو مقدمة للدفاع الأول أو أنه مجرد ملحق للأول[١٦]. وعلى كل حال، بما أن ق. يوستينوس يشير[١٧] في الدفاع الثاني إلى الدفاع الأول، فإنه يوجد جانب كبير من الصواب في

---

[10] Cf. W. Moeller: *History of the Christian Church* (London, 1892) 174; K. Hubik, *Die Apologien des St. Justinus, des Philosophers und Märtyrers* (Wien, 1912).

[١١] الدفاع الأول، فصل ٤٦.

[12] Cf. W. Smith and H . Wace, *loc. cit.*

[١٣] مخطوطة *Codex Regius* ترجع إلى عام ١٣٦٤ وهي محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس وايضًا مخطوطة *Codex Claromontanus* التي ترجع إلى عام ١٥٤١ في تشلتنهام، إنجلترا.

[١٤] تمت طباعته بواسطة R. Stephanus في باريس سنة ١٥٥١؛ حيث نجد الدفاع الأول في الصفحات ١٥٣ ـ ١٦٣ ويسبقه الدفاع الثاني في الصفحات ١٢٩ ـ ١٣٤.

[15] *Hist. Eccl.* 4.16.

[16] Cf. Smith and Wace, *loc. cit.* and M. Dod, *The Writings of Justin Martyr and Athenagoras*, 5 (Edinburgh 1867).

[١٧] الدفاع الثاني، فصول ٤ و ٦ و ٨.

الفصل الأول

إلى الإمبراطور تيطس إيليوس أدريانوس أنطونينوس بيوس أوغسطس قيصر، وإلى ابنه الفيلسوف فيريسيموس[٢٠]، وإلى لوقيوس الفيلسوف ابن قيصر بالجسد وابن بيوس بالتبني[٢١]، المحب للعِلم، وإلى مجلس الشيوخ المقدس[٢٢] وإلى الشعب الروماني قاطبة، بالنيابة عن أناسٍ من كل جنسٍ[٢٣] يتعرضون دون وجه حق للكراهية وسوء المعاملة، أنا يوستينوس بن بريسكوس وحفيد باكيوس من مدينة فلافيا نيابوليس[٢٤] في سوريا فلسطين[٢٥] وكواحد من هؤلاء الناس، أتقدم بهذا الخطاب وهذا الالتماس[٢٦].

---

[٢٠] هو مرقس أوريليوس أنطونينوس وقبل أن يتبناه أنطونينوس بيوس كان اسمه مرقس أنيوس فيروس. وبسبب دلالات اسمه الأخير الذي يعني الحق والذي يتناسب مع سعيه المستمر طوال حياته لمعرفة الحقيقة عن طريق الفلسفة كان هادريان يدعوه في صيغة تأكيد فيريسيموس.

[٢١] لوقيوس سيونيوس كومودوس الذي شارك مرقس أوريليوس فيما بعد في شرف الامبراطورية. أبوه هو لوقيوس إيليوس قيصر الذي تبناه الإمبراطور هادريان ثم توفي قبل وفاة هادريان. عندما تبنى هادريان أنطونينوس بيوس فيما بعد أجبره أن يتبنى مرقس أنيوس فيروس (مرقس أوريليوس) ولوقيوس سيونيوس. وقد أخذ كل من ابني أنطونينوس بالتبني لقب فيلسوف.

[٢٢] مجلس الشيوخ الذي كان عدد الممثلين فيه ٣٠٠، كان مجلسًا للأرستقراطيين الذين لا يتركون منصبهم أبدًا طوال حياتهم ما لم يدانوا بعمل شائن. وكانت قرارات الدولة الرومانية تخرج باسم مجلس الشيوخ والشعب؛ لذا وجَّه ق. يوستينوس دفاعه لكليهما.

[٢٣] يعد هذا دليلًا على انتشار المسيحية السريع والواسع في ذلك التاريخ المبكر.

[٢٤] بنى الرومان هذه المدينة على أطلال شكيم (الآن نابلس) في السامرة وقد سُميَت على اسم الإمبراطور فلافيوس قسباسيان وقد كانت مستعمرة رومانية مما يعني أن ق. يوستينوس كان سامريًا بالميلاد ولكن كتاباته لا توحي بمعرفته بالديانة أو التقاليد السامرية.

[٢٥] الفلسطينية (Palaestina) هي صفة أضيفت في الأصل إلى سوريا لتعني فلسطين أو الجزء الجنوبي من سوريا وبعد إخماد ثورة بار كوكبا في حكم هادريان كانت اليهودية كمقاطعة رومانية تسمى بسوريا ـ فلسطين.

[٢٦] كلمة ἔντευξις تعني نقاشًا أو حوارًا أكثر مما تعني التماسًا مكتوبًا، ومن المحتمل أن يكون ق. يوستينوس قد قدم دفاعه بنفسه أمام الإمبراطور؛ إذ يبدو أن هذا كان مسموحًا به في الفترة بين عامي ٣٥ و ١٨٠م كما يتضح ذلك من عدة مصادر أهمها (F. Mailer, *The Emperor in the Roman World.* London, 1977) حيث يقول الكاتب في ص ٥٦٣: "إنه من المقنع والأكثر واقعية أن يكون ق. يوستينوس قد قدم شرحًا لمحتويات

الفصل الثاني

إن الحكمة تُملي على الأتقياء والفلاسفة[٢٧] الحقيقيين أن يكرِّموا ويعتزوا فقط بما هو حق وأن يرفضوا اتِّباع معتقدات أسلافهم إذا كانت هذه المعتقدات بلا قيمة، لأن الفكر السليم يقتضي ليس فقط ألا نتبع مَن يخطئون بالعمل أو التعليم بل يتطلب أيضًا من محب الحق أن يختار بكل وسيلة ممكنة أن يعمل ويقول ما هو حق، حتى لو كان مهددًا بالموت، بدلًا من أن ينقذ حياته. وأنتم تسمعون الناس في كل مكان يدعونكم أتقياء وفلاسفة، وأوصياء على العدالة ومحبين للعِلم. وسوف يتضح الآن مدى استحقاقكم لهذه السمعة. ونحن في الواقع لم نأتِ لكي نتملقكم بكتاباتنا أو نسعى لنوال رضاكم بهذا الخطاب، بل لكي نسألكم أن تصدروا قرارًا، بعد فحص دقيق وكامل، بدون محاباة أو رغبة في إرضاء هؤلاء الذين يؤمنون بالخرافات؛ هذا القرار لا يجب أن يكون ناتجًا عن دافع أهوج أو إشاعة مغرضة ظلت منتشرة لمدة طويلة، لئلا يصير هذا بمثابة حكم ضدكم. أما بالنسبة لنا، فنحن [المسيحيون] نؤمن أنه لا يمكن أن يأتي علينا أي شر ما لم نكن أئمة أو فاعلي شر. أنتم بالتأكيد يمكنكم قتلنا ولكن لا تقدرون على أذيتنا[٢٨].

الفصل الثالث

وحتى لا يظن أحد أن هذا الكلام هزلي ومتهور، نحن نطالب

دفاعه هذا ولأهم الأحداث المُثبتة فيه أمام الإمبراطور ـ أو كان مفترضًا أن يقدمه أمامه ـ كما أنه من الممكن أن نتصور أن توجيه مثل هذا الدفاع إلى شخص الإمبراطور هو نوع من أنواع الخيال الأدبي المتقن".

[٢٧] تلميح إلى ألقاب من يخاطبهم ق. يوستينوس في دفاعه، إذ أن "بيوس Pius" تعني "تقي" كما أن لقب مرقس أوريليوس كان "فيلسوف".

[٢٨] كانت هناك فكرة رواقية متداولة بأن الإنسان البار لا يمكن أن تمسه الشرور الخارجية.

بالتحقيق في التهم التي تُلصَق بالمسيحيين، وإذا ثبت صحتها فليُعاقَبوا كأي شخص مذنب؛ أما إذا لم يستطِع أحد إثبات هذه التهم، فإن التفكير السليم لا يسمح لكم بإيقاع الظلم على الأبرياء لمجرد إشاعة باطلة، حيث إنكم في هذه الحالة تلصقون الظلم بأنفسكم عندما تفرضون عقوبة ليس على أساس حكم عادل بل على أساس انفعال. وأي شخص عاقل يوافق على أن الاقتراح العادل الوحيد هو أن ندع هؤلاء المواطنين يقدمون بيانًا واضحًا عن حياتهم وعقيدتهم ثم يصدر الحكام حكمهم لا بالقوة والقهر بل بحسب التقوى والفلسفة. وبهذه الطريقة يستطيع الحكام والمحكومون أن يعيشوا كلهم في سلام. وقد قال أحد القدماء: "لا يمكن للأمم أن تشعر بالسعادة ما لم يَصِر الحكام والمحكومون فلاسفة[٢٩]." فيجب علينا إذن أن نعطي كل أحد الفرصة لفحص حياتنا وعقائدنا لئلا ندفع ثمن ما يقترفونه في عماهم وعدم معرفتهم لطرقنا[٣٠]. أما بالنسبة لكم، فإن المنطق السليم[٣١] يجعل من واجبكم أن تثبتوا أنكم قضاة عادلون، فبعد أن تسمعوا دفاعنا ستكونون بلا عذر أمام الله إن عرفتم الحقيقة ولم تراعوا العدل.

الفصل الرابع

لا ينطوي مجرد استخدام اسم ما على أي خير أو شر[٣٢]، بدون

---

[٢٩] اقتبس ق. يوستينوس هذه المقولة بتصرف عن أفلاطون *Rep.* 10.473 وقد استخدم تسعة اقتباسات كلاسيكية في الدفاعين: ستة منها نقلًا عن أفلاطون، واثنان عن زينوفون، وواحد عن يوريبيديس. ولم ينقل جميعها بشكل حرفي بل نقل البعض منها بدقة والبعض الآخر باختصار.

[٣٠] هي جملة صعبة التفسير في اليونانية، وقد أخذنا بالترجمة التي تعني أننا نحن أنفسنا سنكون مسئولين عن خطية هؤلاء الذين يتهموننا إذا تركناهم في جهلهم ولم نشرح لهم عقيدتنا المسيحية.

[٣١] عبارة كثيرة الاستخدام في كتابات هيرودوت.

[٣٢] كان مدافعو القرن الثاني يفرّقون بين الهجوم على الاسم (أي مجرد أن يُدعى الشخص مسيحيًا) والجرائم ضد القانون الطبيعي التي اتُهِم بها المسيحيون، وقد تساءل عنها

النظر إلى الأفعال التي تتعلق بهذا الاسم، فإذا حكمتم علينا على أساس الاسم الذي نُتهَم لأجله فنحن الأكثر صلاحًا[٣٣]. والآن نحن لا نعتقد أنه من الصواب أن نطالب بالبراءة على أساس الاسم في حالة إدانتنا كجناة. وبالمثل، إذا ثبت أننا لم نخطئ سواء في استخدام اسمنا أو في تصرفنا كمواطنين، فيجب أن تحذروا من أن تعاقبوا الأبرياء ظلمًا لئلا تجلبوا على أنفسكم العقاب عن استحقاق. لا يمكن أن يكون المدح أو العقاب العادلين على أساس الاسم إلا إذا ثَبت أن عمل الشخص صالح أو غير صالح لأنكم لا تعاقبون أحدًا من المتهمين من شعبكم[٣٤] قبل أن تثبت إدانته، ولكن معنا أنتم تأخذون الاسم وحده كدليل ضدنا[٣٥]. وأما فيما يخص موضوع الاسم فيجب عليكم بالأحرى إنزال العقوبة على المدعين علينا. نحن نُتهم بأننا مسيحيون مع أنه ليس من العدل أن تكرهوا ما هو صالح[٣٦]. ومن جهة أخرى، إذا أنكر أحد المتهمين شفاهة أنه مسيحي فإنكم تخلون سبيله كما لو كان لم يقترف أي خطأ. ولكن إن اعترف أحد بأنه مسيحي يتعرض للعقاب من أجل اعترافه هذا[٣٧]. وبدلًا من ذلك يجب عليكم فحص الحالتين: من أنكر ومن اعترف، لكي تعرفوا

بليني (Pliny) في خطابه الشهير لتراجان (Trajan). وليس من المؤكد وجود قانون روماني محدد ضد المسيحيين ولكن هناك إشارات عابرة في كتاب *Legatio* 7 للعلامة أثيناغوراس توضح أن المسيحيين كانوا يضطهدون بسبب لقبهم كمسيحيين.

٣٣ استخدم القديس يوستينوس هنا الجناس اللفظي ليتلاعب بكلمتي: (مسيحيين Χριστιανοί) و(الأكثر صلاحًا χρηστοτάτοι) انظر:
Theophilus of Antioch *Ad Autolycum* 1,1; Lactantius, *Inst., div.* 4.7.

٣٤ المقصود هنا "من بينكم" أي من غير المسيحيين وهي تقابل العبارات السابقة الخاصة بالمسيحيين وعقابهم دون سبب.

٣٥ آنذاك كان مجرد كون الشخص مسيحيًا يعتبر أمرًا غير مشروع ومنذ زمن نيرون كانت الصيحة المعتادة: "christianos esse non licet" وتعني "المسيحية ممنوعة" ومجرد أن يُعرَف عن شخص أنه مسيحي كان هذا سببًا كافيًا لاضطهاده.

٣٦ جناس لفظي آخر بين كلمتي (مسيح Χριστός) و (صالح χρηστός).

٣٧ هذا النص مشابه لما كتبه العلامة اثيناغوراس في *Legatio* : "لأنه لا يوجد اسم في ذاته يُعتبر شرًا أو خيرًا، ولكن هذا يتطلب ظهور خير أو شر من أعمال تصاحب ذلك الاسم".

صفات كل منهما من أعماله. فإن الذين تعلَّموا من المسيح المُعلِّم ألا ينكروه عند استجوابهم يشجعون الآخرين بثباتهم، أما هؤلاء الذين يحيون حياة شريرة فيشجعون الآخرين باندفاع ليتهموا كل المسيحيين بالظلم وعدم التقوى[٣٨]. وهذا أيضًا شيء لا يتسم بالعدالة. كذلك هناك من يدَّعون بالاسم والملبس[٣٩] أنهم فلاسفة ولكنهم لا يفعلون شيئًا جديرًا بهذه المهنة. وأنتم تعلمون أن القدماء الذين كانت لهم آراء متناقضة كانوا يُدعون جميعًا فلاسفة على الرغم من أن بعضهم علَّموا بعدم وجود آلهة[٤٠]. حتى شعراؤكم نددوا بفسق الإله زيوس مع أبنائه. ولكنكم لا توبخون أتباع هذه التعاليم بل على العكس تكافئونهم وتكرمونهم لأنهم أهانوا آلهتكم بكلام معسول.

الفصل الخامس

فماذا يعني إذن كل هذا؟ على الرغم من أننا في حالتنا هذه نتعهد بعدم عمل الشرور أو اعتناق أية آراء إلحادية مثل هذه، إلا أنكم لا تجرون تحقيقًا في الاتهامات الموجهة ضدنا، بل باندفاع غير معقول وبتحريض من الشياطين الأشرار[٤١] أنتم تعاقبوننا بدون محاكمة وبغير

[٣٨] ربما تكون هذه إشارة لمن كانوا يُدعَون خطأً مسيحيين والذين كانوا بتصرفاتهم اللا أخلاقية يعطون حجة لأعداء الكنيسة كي يحاربوها.

[٣٩] كان الفلاسفة في زمن ق. يوستينوس يرتدون رداءً مميزًا وحتى بعد اعتناق يوستينوس للمسيحية فإنه ظل يرتدي رداء الفلاسفة.

[٤٠] لقد كان للأبيقوريين والفلاسفة الكلبيين (Cynics) تأثير كبير في عصر ق. يوستينوس، وكان هناك ميل كبير للعودة للفلسفات القديمة ودراسة حياة مؤسسيها وأعمالهم وعقائدهم. وفي أوساط المتعلمين كان هناك رد فعل تجاه الدين، وقد قاد هذا بعضًا منهم مثل فرونتو (Fronto) وبلوتارخ (Plutarch) إلى التعصب للخرافات. كما كان "الإلحاد" تهمة يلصقونها بالمسيحيين، ويشير ق. يوستينوس إلى أن الرومان كانوا يتسامحون مع الفلاسفة الملحدين فلماذا لا يتسامحون مع المسيحيين الذين هم من وجهة نظرهم ملحدون أيضًا؟

[٤١] كان التأثير الشيطاني بوجه عام والتحريض الشيطاني على الاضطهاد بوجه خاص واحدًا من الأفكار المفضلة ليوستينوس. وقد جاء ذِكر الشياطين في مواضع كثيرة في الدفاعين وهذه الفكرة تظهر مرة أخرى عند ترتليان في *Apol.* 27 ولاكتانتيوس *Instit. Div.* 5.21. ويستخدم ق. يوستينوس كلمة δαίμων (والتي تعني إله بالنسبة للوثنيين) ليقصد بها "روح شرير" الذي هو نسل ملاك شرير وإنسان (انظر الدفاع الثاني فصل ٥) وخلفية

مبالاة. ولكن الحق لا بد أن يقال، لأن الشياطين الأشرار منذ قديم الزمان كانوا يظهرون ويدنسون السيدات ويفسدون الغلمان وظهروا بمناظر مرعبة لرجال حتى أن كل من لم يحتكم للعقل في الحكم على هذه الأعمال الشيطانية كان يصاب بالرعب والفزع؛ وإذ الخوف قد تملك عليهم لم يدركوا أنهم شياطين أشرار دعوهم آلهة وسمَّوا كل واحد من هذه الشياطين بالاسم الذي اختاره هو لنفسه. وعندما حاول سقراط[٤٢] تعريف الناس بتلك الأمور على أساس الحكمة الحقيقية والبراهين المؤكَّدة قام هؤلاء الشياطين أنفسهم بتدبير قتله بواسطة أناس يسعدون بالشر وحُكِم عليه بالموت كشخص ملحد وشرير لأنه حسب ادعائهم نادى بآلهة جديدة. والآن هم يسعون لعمل الشيء نفسه بنا. ولم يدن اللوغوس هذه الأمور من خلال سقراط بين اليونانيين فقط بل أيضًا أدانها اللوغوس ذاته بين الشعوب البربرية[٤٣] عندما اتخذ جسدًا وصار إنسانًا ودُعي يسوع المسيح. ومن خلال

هذا الأمر تكمن في شيوع الإيمان بالشياطين في القرن الثاني؛ حيث كان المذهب الرواقي على وجه الخصوص ممثلًا وغنيًا بعلم الشياطين (Demonology). وبالنسبة للرواقيين كان للشياطين رغبات ومشاعر كالبشر، وهم يستجيبون لرغبات ومخاوف البشر ومن هنا يستطيعون توجيه أقدارهم. وقد انتشر هذا المذهب في مدارس أخرى أيضًا. وكان يوستينوس يعتقد بوجودهم وبأنهم السبب في الشرور الكائنة في العالم.

[٤٢] كان ق. يوستينوس يحترم سقراط كثيرًا وتبعه في ذلك الآباء المدافعون الذين جاءوا بعده باستثناء ثيوفيلوس. وقد اعتمد دفاع ق. يوستينوس على دفاع سقراط الرائع أثناء محاكمته؛ إذ رأى شبهًا كبيرًا بين تلك المحاكمة من ناحية، ومحاكمة السيد المسيح ومحاكمات أتباعه من ناحية أخرى. وكما أن سقراط حُكِم عليه بالموت على أنه ملحد، هكذا أيضًا المسيحيين الذين يؤمنون باللوغوس المتجسد كان يُطلَق عليهم خطأً أنهم ملحدون. وهذا ينبع من اعتقاد ق. يوستينوس بأن سقراط قد عرف جزئيًا اللوغوس الذي تجسد في ملء الزمان (الدفاع الأول فصل ٤٦ والثاني فصل ١٠). وعن استخدام سقراط كنموذج للاستشهاد المسيحي في الكنيسة قديمًا انظر:

Th. Deman, *Socrate et Jesus*, Paris, 1944; A. Harnack, *Sokrates und die alte Kirche*, Berlin, 1900; E. Fascher, "*Sokrates und Christos*," ZNTW 45, 1954: 1- 14; C.J. Vogel, "*Problems Concerning Justin Martyr*," Mnem. 31, 1978: 360- 88

[٤٣] إن كلمة "بربري" كان يُشار بها في ذلك الوقت إلى الشعوب التي لا تتحدث اليونانية أي كمرادف لكلمة "أجنبي" وليس كما نفهمها في عصرنا الحالي كمرادف لعدم التحضر.

إيماننا به نحن لا ننكر فقط أن من يعمل هذه الأعمال آلهة[٤٤] صالحة بل نعلن أنهم شياطين أشرار ولا يجب مقارنة أعمالهم بأعمال رجال يسعون للفضيلة.

الفصل السادس

وهكذا يدَّعون أننا ملحدون[٤٥]. وفي الواقع نحن نعلن أننا ملحدون من جهة مَن تسمونهم آلهة وليس من جهة الإله الحق البعيد عن كل شر الذي هو أبو العدالة والعفة والفضائل الأخرى. نحن نبجله ونتعبد له مع الابن الذي وُلِد منه، وهو الذي علَّمنا عن هذه الأشياء ولعلَّم طغمات الملائكة الصالحين الذين يخدمونه وتظهر فيهم فضائله، كما أننا نعبد روح النبوة ونحن نعبده بالذهن والحق وننقل[٤٦] تعاليمه كما هي لكل من يريد أن يتعلمها.

الفصل السابع

قد يعترض البعض بحجة أن هناك مسيحيين قد تم اعتقالهم بالفعل وأُدينوا كمجرمين، ولكنكم تدينون العديد من الأشخاص بعد التحقيق معهم كمتهمين كلٌ على حدة ولا تحكمون عليهم بسبب أناس آخرين أُدينوا من قبل. ومن المعروف أنه فيما بين اليونانيين كل من كانت لهم نظريات خاصة بهم يُطلَق عليهم اسم واحد هو "فلاسفة" حتى لو كانت لهم آراء متناقضة، وهكذا أيضًا في الشعوب البربرية [أي غير اليونانية] فكل من كان حكيمًا أو

---

[٤٤] في هذه الجملة استخدم ق. يوستينوس نفس الكلمة δαίμονας لكل من الآلهة والشياطين.

[٤٥] تهمة شائعة ضد المسيحيين الأوائل، وقد كان أساس هذه التهمة أن المسيحيين كانوا يرفضون تقديم الذبائح أو أية أعمال فيها تبجيل للأوثان أو تماثيل الأباطرة. كما أنهم كانوا يبتعدون عن المعابد والأعياد الدينية الوثنية فكانوا يُتَهَمون بالإلحاد لأنهم لم يُظهِروا أي احترام لآلهة الدولة أو للدين الرسمي للدولة.

[٤٦] التعبير المستخدم هنا هو παράδοσις يشير إلى تسليم التقليد المقدس.

المسيح هو من سيعاقب الخطاة، وأنهم سيعانون آلام العذاب الأبدي في أجسادهم عندما تتحد ثانيةً بأرواحهم وليس فقط لمدة ألف عام كما ذكر أفلاطون[٥٠]. وإن قال أحد إن هذا الأمر لا يُصدق وغير معقول، فإن هذا الخطأ هو أمر يخصنا ولا يخص أي أحد آخر طالما لم تتم إدانتنا بأي فعل شرير.

الفصل التّاسع

ونحن لا نقدم ذبائح وتقدمات نباتية لأشياء من صنع الناس موضوعة في معابد وتُدعى آلهة لأننا نعرف أنها جماد ولا حياة فيها وليست لها هيئة الله. فإننا لا نعتقد أن الله له هذا الشكل الذي يقول البعض أنهم يعملون نسخةً منه إكرامًا له. بل إن هذه الآلهة لها أسماء وأشكال الشياطين الأشرار الذين ظهروا [للناس][٥١]. ولا داعي لأن نقول لكم هذا، لأنكم تعرفون بالفعل كيف يُشكِّل الصُنَّاع الخامات بالنحت والقطع والصب في قوالب والطَّرق عليها، وذلك من أوانٍ صنعت لأغراض حقيرة[٥٢]، يغيرون شكلها فقط ويحولونها بمهارة إلى أشكال جديدة ليصنعوا ما يسمونه آلهة[٥٣]. وهكذا يُطلق اسم الله على أشياء قابلة للفساد وبحاجة إلى عناية مستمرة. ونحن نعتبر هذا عملا غبيًّا وأيضًا يدل على عدم احترام نحو الله الذي لا

---

[50] Cf., Plato, *Phaedrus* 249 A, *Republic* 10, 615 A

[٥١] يتحدث ق. يوستينوس عن الأصل الشيطاني لعبادة الأوثان ويُظهر التناقض بين "هيئة الله" (Θεοῦ μορφή) غير المادية - ويقول إنها لا يمكن أن تُمثَّل في صور مصنوعة بأيدي الناس - و "أشكال" (σχήματα) الشياطين. وطريقته في التعبير توضح الفرق بين تعبيرات: "هيئة" (μορφή) و "شكل" (σχήμα) المستخدمة في رسائل بولس الرسول. حيث نجد أن هيئة الله (μορφή) غير مادية وغير محسوسة وهي صفة أساسية من صفات جوهر (οὐσία) الله، أما (σχήμα) فتوحي بالتغيروعدم الثبات وهي صفات تخص المخلوقات.

[٥٢] انظر رو ٩: ٢١.

[٥٣] كان إظهار زيف هذه الآلهة موضوعًا مفضلًا للمدافعين المسيحيين الأوائل. انظر: Athenagoras, *Suppl.* 26.

يُنطَق بمجده وهيئته. وأنتم على علم بأن هؤلاء الصناع المهرة هم رجال فاسقون، ودون الدخول في تفاصيل نقول إنهم قد اختبروا كل أنواع الرذيلة حتى إنهم يدنسون الفتيات العاملات معهم. ما هذا الغباء؟ أن يقوم رجال شهوانيون بنحت وتشكيل آلهة لكي تبجلوها، وأن تعيِّنوا مثل هؤلاء الرجال حراسًا على المعابد حيث وُضِعت الآلهة دون الانتباه إلى أنه لا يجوز الإعلان أو حتى التفكير في أن الناس هم حراس الآلهة.

الفصل العاشر

وقد تسلَّمنا[٥٤] لمن التقليد] أن الله ليس بحاجة إلى عطايا مادية من الناس لأنه هو واهب جميع الأشياء[٥٥]. لقد تعلمنا ونثق ونؤمن أن الله يرضى فقط عن الذين يتمثلون به في فضائله، كالحكمة والعدل ومحبة الناس، وأية فضيلة أخرى تليق بالله الذي لا نستطيع التعبير عنه بأسماء. وتعلمنا أيضا أن الله في صلاحه خلق في البدء كل شيء من مادة غير مهيأة[٥٦] لأجل الانسان. وإذا أثبت المرء بأعماله أنه جدير بخطة الله فسيكون مستحقًّا لأن يسكن معه ويملك معه ويتحرر من كل فساد وألم. وكما أنه في البدء خلقنا إذ لم نكن؛ هكذا أيضا نحن نؤمن أن من يختار أن يُرضي الله فبسبب هذا الاختيار سيكون مستحقًّا للحياة الأبدية في حضرة الله. إنه لم يكن في مقدورنا أن نخلق ذواتنا؛ ولكننا نؤمن أننا نستطيع أن نعمل الأعمال

---

٥٤ إن لفظ παρειλήφαμεν يشير إلى تسليم التقليد المقدس كما في ١كو ١١: ٢٣؛ ١٥: ١.

٥٥ انظر أع ١٧: ٢٥.

٥٦ يجب أن يتم تفسير كلمات ق. يوستينوس عن الخلق في ضوء تعاليمه الأخرى التي وردت بصورة أكثر وضوحًا في الدفاع الأول فصل ١٦ والدفاع الثاني فصل ٥ حيث يقول إن الله خلق كل شيء ولهذا فعندما يقول ق. يوستينوس إن الله خلق كل الأشياء من المادة فهو لا ينكر الخلق من العدم "*creatio ex nihilo*" كما فعل أفلاطون ولكن ربما ما كان يفكر فيه هنا هو تهيئة الخليقة لأجل الإنسان، وربما يقصد ما كان قد تعلمه من الفلسفة قبل دخوله المسيحية؛ إذ إنه لم يستخدم في هذه الجملة فعل "تسلمنا" الدال على التقليد الكنسي.

المرضية أمامه باختيارنا بحسب ما وهبنا من قدرات عقلية. هذه هي قناعتنا وهذا ما يقودنا إلى الإيمان به، فإننا نعتقد أنه من صالح كل البشر ألا يتم منعهم من معرفة هذه الأشياء، بل يكون أيضًا هناك حافز لهم ليتفكروا فيها لأن ما لم تستطع القوانين البشرية أن تحققه استطاع الكلمة بكونه إلهًا أن يحققه، لكن الشياطين الأشرار أشاعوا عنا - بمساعدة النزعات الشريرة[٥٧] التي في طبيعة كل إنسان - اتهامات باطلة[٥٨] شريرة لا ينطبق علينا شيء منها.

الفصل الحادي عشر

عندما تسمعون أننا نتطلع إلى ملكوت، فإنكم تفترضون باندفاع أننا نتكلّم عن ملكوت أرضي[٥٩] في حين أننا نقصد ملكوتًا مع الله. وهذا يتضح من اعترافنا الصريح بأننا مسيحيون عندما نُسأل [عن إيماننا] بالرغم من أننا نعلم جيدًا أن مثل هذا الاعتراف عقوبته الموت. فلو كنا ننتظر ملكوتًا أرضيًّا لكنا أنكرنا أننا مسيحيون حتى لا يتم الحكم علينا بالموت، أو كنا قد حاولنا الاختباء منكم حتى نحقق ما نريده. ولكن لأننا لا نضع رجاءنا في هذه الحياة الحاضرة. فنحن لا نمانع أن نُقتَل بما أن الموت أمر آتٍ في كل الأحوال.

الفصل الثاني عشر

ونحن ، أكثر من جميع الناس ، نُعَد مساعدين لكم بالحقيقة،

---

٥٧ قد تكون هذه إشارة إلى الفكر اليهودي القائل بميل الجنس البشري نحو الشرفقد كان الرأي السائد عند الرابيين أنه يوجد صراع في قلب الإنسان - الذي يمثل إرادة الإنسان وفكره - بين النزعات الخيِّرة والنزعات الشريرة وكان هذا الفكر معروفًا في الكنيسة الأولى.

٥٨ هذه الاتهامات هي الإلحاد وأكل لحوم البشر والفسق. انظر الدفاع الأول، فصل ٢٦ و ٢٧ والدفاع الثاني، فصل ١٢.

٥٩ كان واحدًا من الاتهامات التي توجه للمسيحيين هو ولاؤهم لمملكة أخرى وكان هذا الادعاء يجعل من المسيحيين متهمين بالخيانة وينفي عنهم أنهم مواطنون صالحون.

الآب الذي ولده. وكما يتجنب الناس جميعًا أن يرثوا الفقر والبؤس والخزي من آبائهم، هكذا أيضًا العقلاء يرفضون اختيار كل ما يحظر عليهم الكلمة أن يختاروه. ولقد سبق وأخبرنا معلمنا[٦٢] يسوع المسيح، ابن الله الآب ضابط الكل والمرسل منه[٦٣] الذي منه أخذنا اسم مسيحيين، أن كل هذه الأشياء[٦٤] سوف تحدث. ومن هنا نحن واثقون من صدق كل ما علمنا إياه، لأن كل ما سبق وأخبرنا به يحدث بالفعل، لأن هذا هو من خصائص الله أن يتحدث عن شيء قبل أن يحدث ثم يرينا حدوث الشيء كما تنبأ. يمكننا التوقف هنا دون إضافات أخرى بما أننا نلتمس ما هو حق وعدل، لكن بما أننا نعلم مدى صعوبة تغيير أذهان تمرست في الجهل لذا قررنا إضافة بعض الملاحظات لإقناع جميع محبي الحق لأننا نعلم أن الهروب من الجهل ممكن إن واجهناه بالحق.

الفصل الثالث عشر

هل يوجد إنسان عاقل ينكر أننا لسنا بملحدين وهذا لأننا نعبد الله خالق هذا العالم ونؤكد كما تعلمنا أنه لا يحتاج إلى ذبائح دموية أو سكائب أو بخور لذلك نحن نعبده بكل طاقتنا بالصلاة والشكر من أجل كل ما يعطينا؟ وقد تعلمنا أن العبادة الوحيدة التي تليق به ليست أن نحرق بالنار الأشياء التي خلقها الله من أجل إعالتنا بل نستخدمها لمنفعتنا ولمنفعة المحتاجين، وبأصوات الشكر نقدم له الترانيم والصلوات بخشوع لأنه خلقنا وحفظنا أصحاء ومن أجل أشياء أخرى كثيرة مثل تغيُّر فصول السنة. ونتضرع إليه في الصلاة أن يقيمنا

---

٦٢ إن وصف المسيح الكلمة بأنه "مُعلِّم" يتكرر كثيرًا في الكتابات المسيحية الأولى، وهو يعتمد على استخدام العهد الجديد لكلمة رابي أي مُعلِّم.

٦٣ استُخدِم هذا التعبير في رسالة معلمنا بولس الرسول إلى العبرانيين ٣ : ١.

٦٤ يقصد الاضطهاد.

للحياة الأبدية لأننا نؤمن به. إن الذي علمنا هذه الأشياء هو يسوع المسيح الذي وُلد لهذا الغرَض، وصُلِب في عهد بيلاطس البُنطي والي اليهودية، وفي زمن مُلك طيباريوس قيصر. وسوف نثبت أننا نتعبد له بحكمة؛ إذ قد تعلمنا أنه ابن الله الحي نفسه ونؤمن أنه الثاني في الترتيب وروح النبوة هو الثالث في الترتيب[٦٥]، ولهذا السبب يتهموننا بالجنون قائلين إننا ننسب إلى رجل مصلوب المرتبة الثانية بعد الله الأبدي غير المتغير خالق الكل، ولكنهم يجهلون السر الذي يكمن وراء هذا الموضوع ونحن نرجوكم أن تنتبهوا لهذا السر بينما نقوم بشرحه.

الفصل الرابع عشر

نحذركم أن تحترسوا لئلا تضلكم الشياطين ـ التي اتهمناها من قبل ـ ويحوِّلوا اهتمامكم عن قراءة وفهم ما نقوله لكم فهمًا جيدًا. فهم يريدون أن يجعلوكم خدامًا وعبيدًا لهم. وهم يحتالون تارة عن طريق خيالات الأحلام وتارة أخرى عن طريق خدع السحر على جميع الذين لا يعملون بكل قواهم لأجل خلاص نفوسهم كما نفعل نحن بعد أن هدانا الكلمة وقد فصلنا أنفسنا عن هؤلاء الشياطين[٦٦]. ومن خلال الابن التصقنا بالله الوحيد غير المولود[٦٧] نحن الذين استمتعنا

---

[٦٥] تظهر هنا بعض من ملامح عقيدة الثالوث عند القديس يوستينوس وإن كانت العلاقة بين الأقانيم الثلاثة غير واضحة في هذا التعبير. وتتكرر الإشارة إلى عقيدة الثالوث في الدفاع الأول الفصول ٦١ و ٦٥ و ٦٧. ويشرح العلامة أثيناغوراس في *Legatio sive Supplicatio pro Christianis* فصل ١٠ الثالوث ويصفه بأنه واحد في القوة ولكن هناك تمايز في الترتيب (τάξις) بين الأقانيم. وهذا التمايز في الترتيب الذي ذكره القديس يوستينوس والعلامة أثيناغوراس لا يعني اختلافًا في الدرجات في طبيعة الله، بل قد يشير إلى ترتيب ذِكر الأقانيم كما جاء في صيغة التعميد وإلى شرح عمل الثالوث "من الأب بالابن في الروح القدس" كما ظهر في الخلق والفداء والاستعلان الإلهي. انظر:
J. N. D. Kelly, *Early Christian Doctrines* (London, 1958)

[٦٦] كلمة "فصلنا أنفسنا" تشير في الأغلب إلى طقس جحد الشيطان وكل أعماله في سر المعمودية.

[٦٧] يستخدم ق. يوستينوس ـ وكثير من آباء القرن الثاني ـ كلمة ἀγέννητος التي تعني "غير مولود" ليصفوا سمو الله بدلًا من كلمة ἀγένητος التي تعني "غير مخلوق" ويقول ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون فصل ٥ إن: "الله هو وحده غير المولود ἀγέννητος

الفصل السادس عشر

وقد علَّمنا المسيح أن نكون صبورين وخادمين للجميع وألا نترك مجالًا للغضب على الإطلاق؛ إذ قال: "من لطمك على خدك فحوِّل له الآخر أيضًا ولا تمنع من أراد أن يأخذ ثوبك أو رداءك" (مت ٥: ٣٩، ٤٠)؛ "كل من يغضب يكون مستحقًّا للنار" (مت ٥: ٢٢) و"من سخرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين" (مت ٥: ٤١)؛ "فلتضئ أعمالكم الحسنة قدام الناس لكي يروها فيمجدوا الآب الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦). فلا يجب أن نتخاصم فالمسيح لا يريدنا أن نقتدي بالأشرار، بل يدعونا أن نجتذب الناس بعيدًا عن كل خزي وشر بصبرنا وحلمنا. وقد حدث هذا بالفعل في حالة الكثير منكم فقد تحولوا من حياة العنف والطغيان لأنهم هُزِموا إما بسبب ثبات جيرانهم [المسيحيين] أو بفضل الصبر العجيب الذي رأوه في الذين أُسيء إليهم من أصدقائهم أو اختبار أمانتهم التي ظهرت في كل أعمالهم. وبهذه الكلمات أوصانا بعدم الحلف بل التحدث بالصدق "لا تحلفوا ألبتة بل لتكن نعمكم نعم ولآكم لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (مت ٥: ٣٤، ٣٧). ولقد أقنعنا المسيح أن الله فقط هو الذي تنبغي له العبادة بقوله "أول كل الوصايا هي هذه: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد من كل قلبك ومن كل قدرتك، الرب الإله خالقك" (مر ١٢: ٣٠) وعندما جاء إليه أحد الرجال يدعوه "أيها المعلم الصالح" أجابه المسيح: "ليس أحد صالحًا إلّا واحد هو الله الذي خلق كل شيء" (مت ١٩: ١٦، ١٧). وليعلَم من لا يعيشون بحسب تعاليم المسيح أنهم ليسوا مسيحيين حتى ولو اعترفوا بألسنتهم بتعاليم المسيح لأنه قال إن الذين يُخلَّصون ليسوا

هم الذين يعترفون بتعاليمه بل الذين يعملون بها[٧٣]. وقال "ليس كل من يقول لي يا رب، يا رب يدخل ملكوت السماوات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات فكل من يسمع أقوالي ويعمل بها يسمع لمن أرسلني وكثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم، يا رب يا رب أ ليس باسمك أكلنا وشربنا وصنعنا قوات فحينئذ أقول لهم اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (مت ٧: ٢١ - ٢٣) حينئذ يكون البكاء وصرير الأسنان بينما يضيء الأبرار كالشمس ويُطرَح الأشرار في النار الأبدية (مت ١٣: ٤٢، ٤٣) لأن كثيرين سيأتون باسمي لابسين ثياب حملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من أعمالهم تعرفونهم فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار. (مت ٧: ١٥، ١٦، ١٩) ونحن نطلب منكم أن تعاقبوا من يسمون أنفسهم مسيحيين لكنهم لا يعيشون بحسب تعاليم المسيح.

الفصل السابع عشر

ونحن نحاول في كل مكان أن ندفع قَبل الجميع الضرائب المستحقة العادية والخاصة للمسئولين المُعيَّنين من قِبَلكم كما علَّمنا المسيح، لأنه في زمانه جاءه أناس يسألونه عما إذا كان من الضرورى دفع الجزية لقيصر فقال لهم: "أخبروني لمن هذه الصورة الموجودة على العملة، قالوا له لقيصر. فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[٧٤] (مت ٢٢: ٢٠، ٢١) ونحن نعبد الله وحده إلا أننا في الأمور الأخرى نطيعكم بفرح معترفين بكم كملوك وحكام الناس ونصلي لأجلكم حتى يكون لكم إلى جانب السلطان

---

٧٣ أي أن الإيمان بدون أعمال لا يكفي لنيل الخلاص.

٧٤ نظر الرومان لرفض المسيحيين عبادة الإمبراطور على أنه خيانة للدولة ولم يستطيعوا أن يفهموا كيف يمكن أن يصلّي المسيحيون لأجل الدولة والإمبراطور في حين أنهم لا يعبدونه وقد أدى ذلك إلى اتهام المسيحيين بالإلحاد واعتبار المسيحية دين غير شرعي (Religio non licita)

يدعوهم الكل مجذوبين ومجانين[٧٨]. ولتسمعوا أيضًا إلى ما تسمونه رؤى أمفيلوخوس (Amphilochus)، ودودونا (Dodona) ، وأبوللو (Apollo) وأمثالهم وتعاليم الكُتَّاب إمبيدوكليس (Empedocles)، وفيثاغوراس (Pythagoras) وأفلاطون (Plato) وسقراط (Socrates) وحفرة هوميروس[٧٩] (Homer) ونزول أوديسيوس (Odysseus) ليزور الموتى؛ وغيرهم ممن قصّوا قصصًا مماثلة. عاملونا إذن كما تعاملونهم لأننا نؤمن بالله ليس أقل بل أكثر منهم، ونحن نرجو أنه حتى لو ماتت أجسادنا ودفنت في الأرض فإنها ستقوم مرة أخرى لأننا نعلم أنه لا شيء يستحيل على الله.

الفصل التاسع عشر

وإذا افترضنا أنه لم يكن لنا جسد ثم جاء من يؤكد لنا أن تكوُّن العظام والعضلات واللحم بهذا الشكل البشرى الذي نراه الآن يأتي من خلال نقطة صغيرة من بذرة إنسان فسيبدو لهذا الكلام لأي إنسان مفكر أنه أمر غير منطقي. وهنا نطرح عليكم هذا الافتراض: إن لم يكن لكم هذا الشكل البشري ولم تكونوا قد وُلدتم من أبوين لهما نفس الشكل، وجاء أحد ليريكم هذه البذرة البشرية ومعها صورة مرسومة لإنسان ويقول لكم إنه من تلك البذرة يخرج مثل هذا الكائن، فهل تصدقونه قبل أن تروا هذا الأمر وهو يحدث بالفعل؟ من المؤكد أنكم لن تصدقونه. وهكذا أيضًا بالمثل، لأنكم لم تروا قط ميتًا يقوم مرة أخرى للحياة، لذلك ترفضون أن تصدقوا. ولكن كما سبق أن قلنا إنكم لم تكونوا لتصدقوا أن إنسانًا يتكون من بذرة إنسان، ولكنكم الآن تعرفون أن هذا هو

---

[٧٨] في هذه الفقرة يجمع ق. يوستينوس أدلة من الفكر الوثني على خلود الروح.

[٧٩] في الأوديسة ١١: ٢٤ ، ٢٥ نجد أوديسيوس يحفر حفرة بسيفه ويملأها بالدماء ليجذب أرواح الموتى إلى هذا المكان.

ما يحدث، فإذن عليكم الآن أن تدركوا أنه من الممكن أن الأجساد البشرية بعد أن تموت وتدفن في الأرض مثل البذار، تقوم في الوقت الذي يحدده الله بأمر منه وتلبس عدم الفساد[٨٠]. نحن لا يمكننا أن نتخيل أية قدرة جديرة بالله ينسبونها إليه هؤلاء الذين يقولون إن كل شيء يرجع إلى أصله الذي جاء منه، وإنه حتى الله لا يقدر أن يفعل أكثر من هذا. ولكننا نعلم هذا جيدا: أنهم لم يكونوا ليصدقوا أنه من الممكن أن تكون لهم وللعالم أجمع هذه الهيئة التي هم عليها الآن من مجرد مثل هذه المادة. وقد تعلمنا أنه من الأفضل أن نصدِّق ما يستحيل على طبيعتنا البشرية عن أن نصير غير مؤمنين مثل الآخرين، لأننا نعلم أن مُعلِّمنا يسوع المسيح قد قال "الأشياء غير المستطاعة عند الناس مستطاعة عند اللّٰه" (متى ١٩: ٢٦) وأيضا "لا تخافوا من الذين يقتلونكم وبعد ذلك لا يستطيعون فعل شيء بل خافوا من الذي يقدر بعد الموت أن يلقي النفس والجسد كليهما في جهنم"[٨١] (متى ١٠: ٢٨) فجهنم هي مكان العقاب لمن عاشوا في الشر ورفضوا أن يؤمنوا بأن ما علَّمه الله من خلال المسيح سيحدث بالفعل.

الفصل العشرون

وقد تنبأت سبلة[٨٢] (Sibyl) وهِستاسبس[٨٣] (Hystaspes) بأن الفانيات سوف تحترق بالنار، كما يُعلِّم هؤلاء الذين يدعون

---

٨٠ انظر ١كو ١٥: ٣٥ ـ ٣٨.

٨١ إن كلمة "جهنم" مشتقة من الاسم العبري "وادي هنوم" الذي كان قريبًا من أورشليم وكان مكانًا سيئ السمعة بسبب الشرور التي ارتكبت فيه حيث كان الناس يقدمون أبناءهم قرابين للأوثان كما كانت تُلقى فيه الجثث والقمامة وتحرق بالنار.

٨٢ هذه إشارة إلى "نبوءات سبلة" (*Sibylline Oracles*) وهي خليط من تقاليد يهودية وإضافات المسيحية، وتدور حول العصر الذهبي ومستقبل الإمبراطورية الرومانية ونهاية العالم. وهي من تأليف أناس كثيرين وقد تم تجميعها في خمسة عشر كتابًا.

٨٣ هو المقابل اليوناني لڤشتاسبا (Vishtaspa) الفارسي، وهو ملك أسطوري مدحه زرادشت وقد كان معروفًا بأقواله النبوية.

الفلاسفة الرواقيين بأنه حتى الله سوف يتحول إلى نار وأن بعد هذا التطور سيُصنع العالم من جديد. أما نحن فنؤمن أن الله خالق كل الأشياء يسمو فوق كل المتغيرات . ولهذا فإذا كنا نتفق مع الشعراء والفلاسفة المكرَّمين عندكم في بعض النقاط ونقدم تعليمًا أكثر كمالًا ولياقةً بالله في نقاط أخرى، وإذا كنا الوحيدين الذين نقدم إثباتات لما نقوله، فلماذا إذن تكرهوننا ظلمًا أكثر من الجميع؟ وعندما نقول إن الله خلق ودبَّر كل الأشياء في هذا العالم فنحن نبدو كما لو كنا نكرر تعليم أفلاطون[٨٤]، وعندما نعلن أن كل الأشياء ستحترق في نهاية العالم فنحن نقول بالتعاليم نفسها التي دعا إليها الرواقيون. كذلك عندما نؤكد أن أرواح الأشرار ستكون موجودة بعد الموت وتلقى عقوبة بعد الموت بوعي وإدراك، في حين تنجو أرواح الأبرار من العقاب وتحيا في سعادة، فإننا نؤمن بنفس الأشياء التي يؤمن بها شعراؤكم وفلاسفتكم. وعندما ننادي بأننا لا ينبغي أن نعبد صنعة الأيادي فنحن نتفق في ذلك مع الشاعر الساخر مينانذر (Menander) وأدباء آخرين الذين يؤكدون أن الخالق أعظم من صنعة يديه.

الفصل الحادي والعشرون

عندما نؤكد أن الكلمة معلمنا يسوع المسيح الذي هو المولود الأول[٨٥] لله ولم تكن هذه الولادة نتيجة لعلاقة جنسية، وأنه صُلِب ومات وقام من الأموات وصعد إلى السماء، فإننا في ذلك لا ندعي شيئًا جديدًا أو مختلفًا[٨٦] عما تقولونه عن المدعوين أبناء زيوس

---

[84] In *Timaeus, passim*

[٨٥] إن تعبير "المولود الأول" أو "البكر" يعني أنه لم يولَد أحد قبله، ولكنه لا يعني بالضرورة أن هناك من وُلِد بعده. وقد استخدم الآباء في العصور التالية تعبير "المولود الوحيد" μονογένης كتعبير أفضل عن علاقة الابن بالآب.

[٨٦] هذه الطريقة في النقاش قد تبدو غريبة وغير مقبولة لنا اليوم، ولكن ق. يوستينوس

(Zeus). وأنتم تعلمون بالتحديد عدد الأبناء الذي ينسبه أدباؤكم الموقرون لزيوس، وهم: هرمس (Hermes) مفسر الكلمات ومعلم الجميع، وأسكلبيوس (Asclepius) الذي بالرغم من أنه كان شافي الأمراض أصابته صاعقة وصعد إلى السماء، وديونيسوس (Dionysus) الذي قُطِّع إربًا إربًا، وهرقل (Heracles) الذي دفع نفسه وسط لهيب نار معدة لحرق جثث الموتى لكي يهرب من آلامه، والديسقوريان (The Dioscuri) ابنا ليدا (Leda)، وبرسيوس (Perseus) ابن داناي (Danäe)، وبلليروفون (Bellerophone) الذي صعد إلى السماء على حصانه بيجاسوس (Pegasus) على الرغم من أصله البشري. وماذا نقول عن أريادن (Ariadne) وأمثالها اللواتي قيل إنهن يُقيمن بين النجوم؟ ماذا أيضًا عن الأباطرة الذين ماتوا والذين تعتبرونهم جديرين بالتأليه[٨٧]؟ ولماذا تدفعون شاهد زور ليُقسِم أنه رأى قيصر وهو يحترق ويصعد من نار المحرقة الجنائزية إلى السماء؟ ولا داعي أن نروي لكم قصصًا أنتم تعرفونها بالفعل عن الأفعال المنسوبة لأبناء زيوس، ويكفينا القول إن هذه القصص سُجِلَت من أجل منفعة الدارسين من الشباب وتعليمهم! لأن الكل يرى أن محاكاة الآلهة تُعتَبر شيئًا حسنًا، ولكن ليت مثل هذه الأفكار تبتعد عن كل إنسان عاقل، لأن زيوس الذي يعتبرونه خالق كل الأشياء وحاكمها كان قاتلاً لأبيه، كما أن أبيه كان أيضًا قاتلًا لأبيه، وبعد أن تسلطت عليه شهوة الشر والشهوات المُخجِلة انقض على جانيميد (Ganymede) والنساء العديدات اللاتي أغواهن. كما أخطأ أبناؤه أيضًا بارتكاب الأعمال ذاتها. ولكن كما سبق أن ذكرنا فإن

والمدافعين الآخرين في زمنه كانوا مستعدين لمقابلة الوثنيين في ملعبهم وأن يجاروهم في حكاياتهم ليثبتوا أن المسيحية ليست قصة خرافية ولا أسطورة. وهذا الاتجاه عند المدافعين الأوائل نجده عند ترتليان في الدفاع، فصل ٢١.

[٨٧] تأليه الحكام الرومانيين كان أمرًا معتادًا بعد حُكم يوليوس قيصر.

الشياطين الأشرار تقوم بمثل هذه الأفعال. وأما نحن فقد تعلمنا أن الذين سينعمون بأبدية سعيدة هم فقط الذين عاشوا حياة فاضلة مقدسة قريبة من الله، كما أننا نؤمن أن الذين يعيشون في الشر بلا توبة سوف يعذبون في نار أبدية.

الفصل الثاني والعشرون

وابن الله الذي يُدعى يسوع، وإن كان إنسانًا عاديًّا فإنه بسبب حكمته[٨٨] هو يُدعى ابن الله، مع العلم بأن جميع أدبائكم[٨٩] يقولون إن الله أبو الناس والآلهة. ولذلك فإذا أكدنا أن كلمة الله مولود من الله ليس بالطريقة العادية بل بطريقة عجيبة[٩٠]، كما سبق وذكرنا، فيمكن مقارنة ذلك بقولكم إن هرمس هو كلمة الله المُعلِنة. وإذا اعترض أحد على أن المسيح قد صُلب، فهذه الإهانة يمكن أن تماثل ما حدث لأبناء زيوس كما تسمونهم والذين تألموا كما ذكرنا من قبل. وقد قيل إن آلامهم عند الموت لم تكن متشابهة عند جميعهم بل مختلفة، حتى إن آلام المسيح غير العادية لم تكن أقل شأنًا من آلامهم. ولكن كما وعدناكم، فإننا سنثبت لكم كلما تقدمنا في خطابنا هذا ـ بل كما أثبتنا لكم بالفعل ـ أن المسيح أسمى وأفضل منهم في هذا الشأن، لأن سمو الشخص يثبت من أعماله. وإذا قلنا إنه وُلِد من عذراء، لهذا يمكن أن نضاهيه بما تقولونه عن برسيوس[٩١].

---

٨٨ قد يكون المقصود هنا هو "لأنه هو الحكمة أو حكمة الله" فهو ابن الله كما جاء في الفصل ٢٣ من هذا الدفاع، وكما نرى في اعترافه الواضح عن المسيح في الفصل ٣١: "أنه دُعي ابن الله وهو بالحقيقة ابن الله". وقد يكون السبب في بعض الكلمات التي لا تبدو مستساغة لنا الآن هو الطريقة التي استخدمها ق. يوستينوس هنا وهي محاولة مجاراة الوثنيين في رواياتهم، فاضطر لأن يبدأ بنفس الكلمات والأفكار التي يستخدمونها ويتداولونها ليثبت لهم صحة المسيحية وواقعيتها.

89 E.g., Homer. Cf. *Cohotatio ad Graecos* 2.

٩٠ انظر الحوار مع تريفون فصلان ٦١ ، ١٢٨. ويشير ق. يوستينوس هنا إلى ولادة الكلمة قبل كل الدهور.

٩١ تحكي الأساطير اليونانية أن الملك أكريسيوس حذره أحد الوسطاء الروحيين أنه سيُقتَل

وعندما نقول إن المسيح شفى العرج والمشلولين والعميان منذ ولادتهم وأقام الموتى، ألا تنسبون مثل هذه الأعمال إلى أسكلبيوس؟

الفصل الثالث والعشرون

ولتوضيح هذه النقطة سأقدم لكم هذه البراهين[٩٢] لإثبات [أولًا] أن كل ما رويناه، وقد تعلمناه من المسيح ومن الأنبياء الذين سبقوه، هو وحده حق وأقدم من كل كتابات الكتَّاب. وينبغي أن تصدقونا ليس لأننا نقول بمثل ما قاله الكتَّاب، بل لأننا نقول الحق. و [ثانيًا] إن يسوع المسيح هو بالحقيقة ابن الله، لأنه كلمته وبكره وقوته، وعندما صار إنسانًا بإرادته علَّمنا هذه [المبادئ] لتغيير البشرية وإرجاعها [إليه]. و [ثالثًا] قبل أن يتخذ طبيعة بشرية ويسكن بين الناس روى الشياطين الذين ذكرناهم من قبل من خلال الشعراء هذه الخرافات التي اخترعوها كأنها قد حدثت بالفعل، كما تسببوا في اتهامنا بأعمال خاطئة ومعيبة لا يقدرون أن يقدموا عليها أي شاهد أو دليل.

الفصل الرابع والعشرون

أولًا نريد أن نقول] إنه بالرغم من أوجه التشابه بين تعاليمنا وتعاليم اليونانيين، إلّا أنكم تكرهوننا نحن فقط لأجل اسم المسيح. ومع أننا لا نرتكب أي جرائم فأنتم تحاكموننا كمجرمين،

على يد ابن ابنته فسجن ابنته الوحيدة العذراء داناي Danaë في سرداب تحت الأرض، ولكن زيوس زارها في شكل أمطار من الذهب، وبعد هذا ولدت داناي برسيوس.

[٩٢] سيبدأ ق. يوستينوس من هنا في إثبات ثلاثة أشياء : ١- أن التعاليم المسيحية فقط هي الصحيحة ويجب أن يتم قبولها بسبب قيمتها وليس بسبب تشابها مع تعاليم الشعراء والفلاسفة (الفصول ٢٤ ـ ٢٩). ٢- أن يسوع المسيح هو ابن الله وقد صار إنسانًا لأجلنا (الفصلان ٣٠ ـ ٥٣). ٣ - أنه قبل تجسد المسيح علمت الشياطين بعض الأشياء عن مهمته المستقبلية وحرضت الشعراء أن يخترعوا بعض الأساطير التي تشابه التجسد، وبهذا يبعدون الناس عن المسيح. راجع فصل ٥٤. وفي خلال شرح هذه الأفكار خرج ق. يوستينوس كثيرًا عن السياق الذي وضعه لنفسه.

في حين يعبد غيرنا من الناس في بلدان أخرى الأشجار والأنهار[٩٣] والفئران والقطط والتماسيح وحيوانات أخرى[٩٤] كثيرة غير عاقلة. ولا يعبد الجميع نفس الكائنات، ولكن تجدهم يعبدون شيئًا هنا وشيئًا آخر هناك، حتى إن الكل يُعتبَرون أشرارًا في نظر بعضهم، لأنه ليس الجميع يكرمون الأشياء نفسها. وهذا هو الاتهام الوحيد الذي توجهونه ضدنا وهو أننا لا نعبد الآلهة التي تعبدونها ولا نقدم للموتى سكائب أو دهون أو تيجان لتماثيلهم أو ذبائح. وأنتم تعلمون أن الحيوانات ذاتها التي يعتبرها البعض آلهة يعتبرها البعض الآخر حيوانات متوحشة ويقدمها آخرون كذبائح.

الفصل الخامس والعشرون

ثانيًا[٩٥] أننا نحن الذين من كل أمة كنا قبلًا نعبد ديونيسوس (Dionysus) ابن سيميلي (Semele)، وأبوللو (Apollo) ابن ليتو (Leto) ـ الذين في شهواتهم تجاه البشر مارسوا أشياءً شائنة حتى إننا لا نستطيع أن نذكرها ـ وكنا نعبد برسيفوني (Persephone) وأفروديت (Aphrodite) ـ اللتين أصابهما الجنون حبًّا في أدونيس (Adonis) وأنتم ما زلتم تحتفلون بأسرارهم ـ وأيضًا أسكلبيوس وغيرهم من المدعوين آلهة. أما الآن فبنعمة المسيح نزدري بهم حتى تحت تهديد الموت في حين نكرِّس أنفسنا لله غير المولود غير المتغير والذي نوقن أنه لم ينحدر إلى مستوى الشهوة الجنسية مع أنتيوب (Antiope) أو جانيميد أو غيرهما من النساء. ولم يكن إلهنا محتاجًا إلى المارد[٩٦] ذي المائة يد ليحرره والذي استعان به ثيتيس (Thetis)،

---

[٩٣] مثل الفُرس.

[٩٤] مثل المصريين.

[٩٥] هذه الحجة الثانية مبنية على نقاء هذا الإله الواحد الذي يعبده المسيحيون حتى لو كانوا مهددين بالقتل في مقابل الآلهة الوثنية التي كان يعبدها البشر في شهواتهم.

[٩٦] اسمه في الأساطير اليونانية بريواريوس (Briareus).

لم تكن بإذن من الوالي. وعندما رفض فيلكس تمامًا أن يأذن له ظل هذا الشاب بدون زواج، وعاش في طهارة راضيًا بارتياح ضميره واستحسان رفقائه المؤمنين . ويتسع المجال هنا لذكر أنطينوس[١١١] (Antinous) والذي كان على قيد الحياة حتى وقت قريب، ولكن بعد موته غرقًا بدأ الناس يعبدونه كإله رغم أن الكل يعلم من هو ومن أين جاء.

الفصل الثلاثون

ولكى لا يعترض أحد متسائلًا : "ما الذي يمنعنا من أن نفترض أن هذا الذي ندعوه المسيح كان إنسانًا مولودًا من أناس بالطريقة البشرية، وأنه صنع ما نسميه معجزات باستخدام فنون سحرية[١١٢] وهكذا بدا كما لو كان ابن اللّٰه؟" فإننا الآن نقدم الدليل [على أن هذا الافتراض ليس هو الحقيقة] [١١٣] وسنفعل ذلك ليس بمجرد سرد جمل [بدون براهين] لكن من المُحتَّم أن نصدِّق أولئك الذين تنبأوا عن هذه الأمور قبل حدوثها، لأننا رأينا أمورًا حدثت ولا تزال تحدث بنفس الطريقة التي تم التنبؤ بها. ونحن على يقين من أن هذا سيكون أصدق وأكبر دليل على ما نقوله.

الفصل الحادي والثلاثون

كان بعض الناس من اليهود أنبياء للّٰه ومن خلالهم تنبأ روح النبوة عن أحداث سوف تحدث قبل أن تحدث بالفعل، واحتفظ ملوك يهوذا المتعاقبين بأقوال هذه النبوات في حوزتهم بحرص كما قيلت في وقت

---

[١١١] أنطينوس كان أحد المقربين من الإمبراطور هادريان، وقد غرق في نهر النيل، وبعد موته أصدر هادريان قرارًا بتأليهه.

[١١٢] كان هذا اتهامًا شائعًا ذكره أرنوبيوس وقام بتفنيده، انظر *Adversus Nationes* 1.43

[١١٣] يبدأ ق. يوستينوس من هذه النقطة إثباته أن المسيح هو ابن الله.

التنبؤ بها بلغتهم العبرية، وكانت مدونة في كتب بواسطة الأنبياء أنفسهم. وعندما أنشأ بطليموس[١١٤] ملك مصر مكتبة وحاول جمع كتابات كل البشر سمع عن هذه الكتابات النبوية فأرسل إلى هيرودس[١١٥] ملك اليهود في ذلك الحين طالبًا منه إرسال هذه الأسفار النبوية له. وأرسلها الملك هيرودس مكتوبة بلغتهم العبرية كما قلنا. ولكن إذ لم يستطِع المصريون فهم هذه الكتابات، لذا فقد أرسل له مرة أخرى طالبًا بعض الأشخاص[١١٦] ليترجموا هذه الأسفار إلى اليونانية. وبعدما تم ذلك ظلت الأسفار في حوزة المصريين إلى يومنا هذا، كما هي أيضًا في حوزة كل إنسان يهودي أينما كان. ولكن اليهود على الرغم من أنهم هم أيضًا يقرأون هذه الأسفار، إلا أنهم لا يفهمون معناها بل يعتبروننا أعداءً لهم[١١٧]. ومثلما تفعلون أنتم، فهم يقتلوننا ويهاجموننا كلما استطاعوا كما لكم أن تتصوروا. وفي الحرب اليهودية الأخيرة أمر بار كوكبا[١١٨] (Bar Kokhba)، زعيم الثورة اليهودية بتعذيب المسيحيين دون غيرهم تعذيبًا مريعًا ما لم ينكروا يسوع المسيح ويجدفوا عليه. وفي أسفار الأنبياء نجد نبوات عن مجيء مسيحنا يسوع متأنسًا ومولودًا من عذراء، وشفائه لكل

---

[١١٤] هو بطليموس فيلادلفوس الذي تم في عهده ـ في القرن الثالث قبل الميلاد ـ ترجمة الكتب المقدسة من العبرية إلى اليونانية في مكتبة الاسكندرية وسُميَت "الترجمة السبعينية". وقد كانت كل اقتباسات ق. يوستينوس من العهد القديم بحسب الترجمة السبعينية ـ وهي الترجمة المعتمدة لدى كل كُتّاب العهد الجديد وآباء الكنيسة الأولى ـ ومن الجدير بالذكر أن بعض إقتباسات ق. يوستينوس كانت من الذاكرة وليست اقتباسات حرفية.

[١١٥] يورد ق. يوستينوس هنا مفارقة تاريخية لأن هيرودس لم يكن هو ملك اليهود في ذلك الوقت وقد ألقى كل من جريب و ماران وآخرون اللوم على الكاتب الذي كان عليه أن يكتب "رئيس الكهنة الحاكم" βασιλεύοντι ἱερεῖ بدلًا من "الملك هيرودس" βασιλεύοντι Ἡρώδῃ ويعتقد فيلو في *De vit. Mos.* 2 أن رئيس الكهنة العازر الذي أرسل له بطليموس طلبه كان هو نفسه من يحكم اليهود.

[١١٦] اتبع ق. يوستينوس رواية ارستياس (Aristeas) كما فعل فيلو ويوسيفوس بشأن الاثنين وسبعين شيخًا الذين قاموا بترجمة الأسفار المقدسة.

[١١٧] ذكر ق. يوستينوس العداء اليهودي للمسيحية عدة مرات.

[١١٨] هو من قاد حرب التمرد اليهودية ضد القوات الرومانية ١٣٢ ـ ١٣٥م.

مرض وسقم، وإقامته للموتى، وكراهية اليهود له، وعدم إعترافهم به، وعن صلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماوات، وأنه دُعي ابن الله وهو بالحقيقة ابن الله. [كما توجد نبوات أيضًا] عن إرساله أناسًا إلى كل الشعوب لتبشيرهم بهذه الأمور، وأيضًا أن الأمميين سوف يؤمنون به [أكثر من اليهود]. وقد تنبأ عنه الأنبياء قبل مجيئه مرةً بخمسة آلاف سنة، ومرةً بثلاثة آلاف سنة، ومرةً بألفي سنة، وأيضًا بألف سنة، وأخيرًا قبل مجيئه بثمانمائة سنة[١١٩]. لأنه مع تعاقب الأجيال كان أنبياء جدد يظهرون.

الفصل الثاني والثلاثون

وقد تكلَّم موسى أول الأنبياء بهذه الكلمات عينها: "لا يزول رئيس من يهوذا ولا مدبِّر من بين فخذيه حتى يأتي من ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم، رابطًا بالكرمة جحشه غاسلاً بدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩ : ١٠) فالأمر متروك لكم أن تبحثوا بدقة وتتعلموا إلى أي وقت كان لليهود حاكمهم وملكهم. [فقد كان لهم حاكم] حتى وقت مجيء المسيح معلمنا الذي فسر لنا النبوات التي لم تكن مفهومة بعد، كما سبق وقال روح النبوة الإلهي القدوس من خلال موسى إنه "لا يزول رئيس من يهوذا حتى يأتي من ذُخِّر له المُلك" وإذ كان يهوذا من أسلاف اليهود ومنه يتخذون اسمهم وبعد أن ظهر [المسيح]، حكمتم أنتم اليهود وصرتم أسيادًا على كل أرضهم والنبوءة التي تقول "وهو رجاء الأمم" تعني أن أناسًا من جميع الأمم سوف يترجون مجيئه الثاني، كما يمكنكم أن تروا بأعينكم وأن تقتنعوا بما حدث فعلاً لأن أناسًا من كل الأمم يتطلعون لمن صُلب في اليهودية والذي بعد مجيئه أعطيت لكم دولة اليهود على

[١١٩] يبدو أن ق. يوستينوس كان يستخدم أرقامًا تقريبية، وربما يكون من يقصدهم هم بالترتيب: آدم وإبراهيم وموسى وداود وإشعيا.

الفور كغنيمة حرب. أما عبارة "رابطًا بالكرمة جحشه وغاسلاً بدم العنقود ثوبه" فهي إشارة لما سيحدث للمسيح وللأعمال التي سيعملها، لأن جحش أتان كان مربوطًا في كرمة[١٢٠] في مدخل قرية وقد أمر تلاميذه أن يحضروه إليه، وعندما أحضروه ركبه وجلس عليه ودخل أورشليم حيث كان الهيكل اليهودي العظيم الذي هدمتموه أنتم فيما بعد. وبعد ذلك صُلِب المسيح لكي تتحقق بقية النبوءة، لأن الكلمات "غاسلًا بدم العنقود ثوبه" كانت إشارة إلى الآلام التي كان مزمعًا أن يقاسيها مطهرًا بدمه من يؤمنون به، لأن ما دعاه روح الله من خلال النبي "ثوبه" يمثل أولئك المؤمنين بالمسيح الذين يسكن فيهم بذرة الله[١٢١] أي الكلمة. وبقوله "دم العنقود" يعني أن الذي سيأتي سوف يكون من لحم ودم، إلا أنه ليس من زرع بشر بل من قوة الله. والكلمة هو القوة الأولى بعد الآب[١٢٢] سيد كل الأشياء، وهو أيضًا ابنه الذي اتخذ جسدًا وصار إنسانًا كما سنوضح الآن. فكما أن الله هو الذي صنع دم العنقود وليس إنسانًا، كذلك أيضًا فإنه من الواضح أن هذا الجسد لم يكن من زرع بشر بل من قوة الله كما سبق وذكرنا. ويتنبأ نبي آخر وهو إشعيا عن هذه الأمور ذاتها بكلمات مختلفة قائلاً: "يبزغ نجم من يعقوب وتطلع زهرة من

---

[١٢٠] لا يرد ذِكر هذه الكرمة في أي من الأناجيل (مت ٢١ : ٢، مر ١١: ٢، لو ١٩: ٣٠)، ففي بعض الأحيان يذكر ق. يوستينوس أقوالًا وتفاصيلًا غير موجودة في الأناجيل لكنه لا يذكر مصدر هذا الاقتباس، ويرى البعض أن هذا قد يكون مجرد خطأ في تذكر نص الآية، فبدلًا من أن يقول ἐπὶ ἀμφόδου التي تعني "عند مفترق طرق" (مر ١١: ٤) قال πρὸς ἄμπελον التي تعني "عند كرمة" أو ربما يكون ذلك بسبب عدم وضوح النص في المخطوطات التي كان قد رجع إليها.

[١٢١] يتحدث يوستينوس هنا عن بذرة اللوغوس أو بذرة الكلمة وهي معرفة جزئية عن الله موجودة عند كل إنسان. انظر الدفاع الثاني، فصل ٨.

[١٢٢] ينبغي ألّا يُفهَم أن ق. يوستينوس هنا كان يُعلِّم بوجود اختلاف أو تسلسل في الدرجات بين أقانيم الثالوث، إلا أن ذلك يرجع ـ كما يرى البعض ـ إلى عدم الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة، وهو الأمر الذي عالجته الكنيسة فيما بعد بتحديد صياغات لاهوتية حفظت للثالوث وحدة الجوهر مع المساواة بين الأقانيم الثلاثة المتمايزة. انظر الحاشية رقم ٦٥ في الدفاع الأول.

أصل يسى وعلى ذراعه تتكل الأمم"[١٢٣] وبالفعل قد ظهر نجم ساطع وزهرة أزهرت من أصل يسى، الذي هو المسيح لأنه بقوة الله قد حبلت به عذراء من نسل يعقوب أبي يهوذا الذي هو كما قلنا أبو الأمة اليهودية. وصار يسى جدًّا للمسيح كما قيل في النبوءة وبالتالي فهو ابن ليعقوب ويهوذا بحسب تسلسل الأنساب.

الفصل الثالث والثلاثون

وأيضًا اسمعوا كيف تنبأ إشعيا بأن المسيح سوف يُولَد من عذراء: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه الله معنا[١٢٤]" (إش ٧: ١٤). فما يعتبره الناس غير قابل للتصديق وغير ممكن سبق الله وأخبرنا من خلال روح النبوة أنه سوف يحدث حتى متى صار بالفعل لا يقدر أحد أن ينكره بل يؤمن به الناس لأنه قد تم التنبؤ به. ولئلا يتهمنا البعض ممن لا يدركون معنى هذه النبوءة بالأمور عينها التي نتهم نحن بها الشعراء الذين يقولون إن زيوس تقرَّب من النساء من أجل شهوة جسدية، دعونا نحاول توضيح كلمات هذه النبوءة. إن عبارة "ها العذراء تحبل" تعني أن الحبل سيكون بدون اتصال جنسي، لأنه لو كان للعذراء اتصال جنسي مع أحد لما ظلت عذراء بعد ذلك، ولكن قوة الله حلت على العذراء وظللتها وجعلتها تحبل وهي بعد عذراء. ثم أن ملاك الله الذي أُرسِل للعذراء في ذلك الوقت حمل لها البشارة قائلاً لها: "ها أنت ستحبلين من الروح القدس وتلدين ابنًا وابن العلي يدعى وتدعين اسمه يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم" (لو ١: ٣١)، وقد تم هذا كما علَّمنا الذين سجلوا كل ما يخص مخلصنا يسوع المسيح - ونحن نؤمن بما قالوه - وكما تنبأ روح النبوة

---

[١٢٣] انظر اش ١١: ١.

[١٢٤] هنا ترجم ق. يوستينوس اسم عمانوئيل من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية.

بواسطة إشعيا أنه سيُولَد بهذه الطريقة كما قلنا من قبل. فلا يصح إذن أن نفهم أن الروح وقوة الله شيء آخر غير الكلمة[١٢٥] الذي هو أيضًا بكر الله كما قال موسى[١٢٦] النبي الذي ذكرناه من قبل. هذا هو الذي حل على العذراء وظللها وجعلها تحبل - بغير اتصال جنسي - بل بقوة إلهية. واسم "يسوع" هو كلمة عبرية تعني "مُخلِّص" ولذا قال الملاك للعذراء "وتدعين اسمه يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم" . وأعتقد أنكم توافقونني الرأي بأن الذي أوحى للأنبياء ليس آخر غير كلمة الله.

الفصل الرابع والثلاثون

واسمعوا أيضًا في أي مكان على الأرض بالضبط كان سيولد المسيح كما تنبأ بهذا نبي آخر هو ميخا النبي وقال: "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا فمنك يخرج مدبر يرعى شعبي" (مي ٥ : ٢)، وبيت لحم هذه هي قرية في أرض اليهود تبعد ٣٥ غلوة[١٢٧] عن أورشليم وفيها وُلِد يسوع المسيح كما يتضح لكم إذا راجعتم التعداد الذي أجراه كيرينيوس (Cyrenius) أول والٍ لكم في اليهودية[١٢٨].

---

[١٢٥] لا يطابق ق. يوستينوس هنا بين أقنوم الكلمة وأقنوم الروح القدس الذي حل على العذراء. فتعاليمه عن تمايز الأقانيم واضحة في مواقع أخرى من كتاباته. انظر مثلًا الدفاع الأول فصل ١٣ و ٦١ و ٦٥ . لكنه هنا يُعلِّم بأن الذي حل على العذراء وروح النبوة الذي أوحى للأنبياء هو أقنوم الكلمة. وقد قننت الكنيسة رسميًا إيمانها بالثالوث ودور كل أقنوم في عمل الله الواحد من خلال صياغة قانون الإيمان في مجمعي نيقية والقسطنطينية.

[١٢٦] قد يرى البعض أنه يجب أن نبدل كلمة "موسى" في هذه الفقرة بـ "إشعيا" حيث إن هذا سيتفق أكثر مع السياق، إلا أننا اتبعنا رأي ماران في *P.G.* 6.381 في ترك هذه الكلمة كما هي لأن ق. يوستينوس في الحوار مع تريفون فصل ٥٢ يستشهد بموسى ليثبت أن المسيح هو المولود الأول.

[١٢٧] الغلوة هي وحدة لقياس المسافة، وهي تساوي ١٨٥ مترًا، أي أن المسافة المذكورة هنا تساوي حوالى ٦,٥ كيلومترات.

[١٢٨] الصواب هو أنه كان مبعوث الإمبراطور في سوريا.

الفصل السادس الثلاثون

وعندما تستمعون إلى نبوات يتم النطق بها عن طريق شخص ما من الأنبياء، فلا تظنوا أنه نطق بها من تلقاء نفسه، بل من خلال كلمة الله الذي يحركه. فهو يقول أحيانًا بطريقة نبوية ما سوف يحدث، وأحيانًا أخرى يتحدث باسم الله رب وأبي الكل وأحيانًا أخرى باسم المسيح، وأحيانا باسم أناس يجاويون الرب أو الله أبيه. وقد تلاحظون أنتم ذلك عند كُتَّابكم حيث يكتب أحدهم القصة وحده ولكنه يقدم شخصيات مختلفة يتحاورون معًا. أما اليهود فمع أن لديهم كتابات الأنبياء إلّا أنهم لا يفهمونها وهم لم يتعرفوا على المسيح عندما جاء، ليس هذا فقط، بل هم أيضا يكنون لنا الكراهية لأننا نعلن أنه قد جاء ونقول أنهم قد صلبوه حسب النبوات.

الفصل السابع والثلاثون

ولكي تتضح لكم هذه الحقيقة، فإن هذه الكلمات قد قالها الله الآب من خلال النبي إشعيا الذي سبق أن ذكرناه: "الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل لا يعرفني، شعبي لا يفهم. ويل لأُمَّة خاطئة، شعب مملوء آثامًا، نسل شرير، أبناء أثمة قد تركتم الرب" (إش ١: ٣، ٤) وأيضًا في فقرة أخرى يتحدث النبي باسم الآب قائلًا: " أي بيت تبنون لي يقول الرب، السماء كرسيَّ والأرض موطئ قدميَّ." (إش ٦٦: ١)، وأيضًا في فقرة أخرى "رؤوس شهوركم وسبوتكم تبغضها نفسي. لست أطيق صوم اليوم العظيم والاعتكاف ولن أسمع لكم حين تأتون لتترآوا لي، أيديكم ملآنة دمًا، تأتون بسميذ وبخور هو مكرهة لي، لا أريد شحم كباش ولا دم عجول فمن طلب هذا من أيديكم؟" (إش ١: ١١ - ١٥) "بل حِل

الفصل الثالث والأربعون

ولئلا يظن البعض أن ما قلناه يعني أن ما يحدث هو قَدر محدد لأننا قلنا إنه كان معلومًا سلفًا فسنوضح هذا أيضًا. فقد تعلمنا من الأنبياء، ونشهد أنه حق، أن العقوبات والضربات وأيضًا المكافآت يتم توزيعها بحسب استحقاق أعمال كل إنسان. ولو لم يكن الأمر هكذا ولو أن كل شيء يحدث بالقضاء والقدر[١٣٤] لم تكن لنا قدرة الاختيار على الإطلاق. فإذا شاء القدر أن يكون هذا الإنسان صالحًا وذاك شريرًا فلن يكون هذا مُزكًّى ولا ذاك ملومًا. وأيضًا إذا لم يكن لجنس البشر قوة الإرادة الحرة للهروب من الشر واختيار الخير فلن تكون هناك مسئولية عن الأعمال مهما تكن، ولكننا سنثبت الآن كيف أنه بالإرادة الحرة يستقيم الإنسان أو يسقط. ونحن نرى أن الإنسان الواحد قد يسعى خلف أمور متناقضة، فإذا كان قدره أن يكون إما صالحًا أو شريرًا فهو لن يكون قادرًا على فعل الضدين ولن يغير رأيه كثيرًا كما هو الحال. ولن نستطيع أيضًا أن نقول إن هناك بعض الناس أخيار والبعض الآخر أشرار لأننا نسلِّم بأن القدر هو سبب الشر، وأنه بذلك يناقض نفسه أو أنه لا الفضيلة ولا الرذيلة شيء حقيقي، بل تُعتبَر الأفعال خيرًا أو شرًّا حسب الرأي الشخصي فقط، وهذا في نظر المنطق السليم هو قمة الظلم وعدم التقوى. أما ما نعتبره قدرًا محتومًا هو أن من اختار الخير استحق الثواب، كما أن من اختار الشر استحق العقاب المناسب. إن الله لم يخلق الإنسان مثل بقية المخلوقات كالأشجار والحيوانات التي لا تستطيع أن تفعل شيئًا باختيارها. فالإنسان لن يكون مستحقًّا للثناء والثواب إن لم

---

[١٣٤] من تعاليم الفلسفة الرواقية وقد كانت هذه الفلسفة هي المفضلة لدى الإمبراطور والأمراء الذين تم توجيه هذا الدفاع إليهم.

يختر الخير بإرادته بل لأنه خُلِق هكذا، كما أنه لن يكون مستحقًا للعقاب إذا كان شريرًا لأنه لم يختر أن يكون كذلك ولا يقدر أن يكون على غير ما وُجِدَ عليه.

الفصل الرابع والأربعون

وقد علَّمنا روح النبوة القدوس هذا الأمر حينما أعلمنا عن طريق موسى أن الله قال هذه الكلمات للإنسان الأول: "هوذا قدامك الخير والشر فاختر الخير"[١٣٥] (تث ٣٠: ١٥، ١٩) وأيضًا عن طريق نبي آخر هو إشعيا كما من الله سيد وأبي الكل تحدث بهذه الكلمات "اغتسلوا تنقوا انزعوا الشر من نفوسكم، تعلّموا فعل الخير اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. تعالوا نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز أبيِّضها كالصوف وإن كانت حمراء كالدودي أبيِّضها كالثلج. وإن شئتم وسمعتم لي، تأكلون خيرات الأرض. وإن لم تسمعوا لي يأكلكم السيف لأن فم الرب تكلم" (إش ١: ١٦ - ٢٠) وعبارة "يأكلكم السيف" لا تعني أن العصاة سيموتون بحد السيف بل يقصد بسيف الله أي النار التي سيكون هؤلاء الذين يختارون أن يفعلوا الشر وقودًا لها. ولذلك يقول "يأكلكم السيف لأن فم الرب تكلم" ولو كان يقصد السيف الذي يقطع ويفارق في الحال لما استخدم عبارة "يأكلكم". هكذا أيضًا قال أفلاطون: "المسئولية على مَن اختار، أما الله فبغير ذنب"[١٣٦] فهو قد اقتبس المعنى من موسى النبي، لأن موسى أقدم من جميع الكُتَّاب اليونانيين، وكل ما قاله الفلاسفة والشعراء عن خلود الروح أو العقاب

---

[١٣٥] في هذه الآية يوجِّه الله الكلام لبني إسرائيل وليس لآدم، أما استخدام ق. يوستينوس لهذه الآية فربما كان القصد منه أن المسئولية الأخلاقية للإنسان تكمن في حرية الاختيار التي أعطاها الله لآدم أبو البشرية، ولذلك اعتبر أن الحديث موجَّه لكل البشرية من خلاله.

[136] *De Repub.* 10.617E

ما بعد الموت أو التأمل في الأمور السماوية وما شابه ذلك من عقائد قد أخذوه عن الأنبياء، ومنهم استطاعوا فهم وشرح هذه الأمور. فبذار الحق تبدو موجودة عند جميع الناس ولكن يتضح أنهم لم يفهموا معناها الحقيقي؛ إذ إنهم يناقضون أنفسهم. إذن عندما نؤكد النبوات التي تتحدث عما سوف يحدث، فنحن لا نقول بأنها تحدث بفعل قَدَر محتوم ولكن الله له سابق العلم بكل ما سيفعله كل إنسان وقد عيَّن المجازاة لكل واحد بحسب أعماله وهو يقول مسبقًا بروح النبوة[١٣٧] عما سيحدث. إنه هو نفسه سوف يجازي الناس بحسب استحقاقهم ولهذا يحث جنس البشر على التأمل والتذكر مما يدل على أنه يهتم بهم ويوفر احتياجاتهم. ولكن بتحريض من الشياطين الأشرار صدر حكم بالموت ضد كل من يقرأ كتب هِستاسبس أو سبلة أو كتب الأنبياء لكي يكف القراء عن اكتساب معرفة روحية حسنة خوفًا من العقاب فيظلون عبيدًا لهم، إلا أنهم لم يقدروا على تنفيذ ذلك بشكل دائم، لأننا نحن لا نقرأ فقط هذه الأسفار بلا خوف بل أيضا نقدمها لكم لتفحصوها واثقين أنها سترضي الجميع وحتى لو استطعنا إقناع القليل من الناس فسنكون نحن أكثر الرابحين وككرامين أمناء سننال المكافأة من الرب.

الفصل الخامس والأربعون

لقد أصعد الله أبو الكل المسيحَ إلى السماء بعد قيامته من الأموات، وسيظل هناك إلى أن يسحق أعداءه الشياطين، وإلى أن يكتمل عدد الناس الذين بسابق علمه يعرف أنهم سيكونون صالحين وأتقياء ولأجلهم ظل الله يؤجل انتهاء العالم. اسمعوا الكلام الذي يقوله الوحي على فم داود النبي: "قال الرب لربي اجلس عن

---

[١٣٧] انظر لو ٤ :١٨.

يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. عصا قوة يرسل لك الرب من أورشليم. وتسود في وسط أعدائك. معك الرئاسة في يوم قوتك في بهاء قديسيك، من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك" (مز ١١٠: ١ - ٣). ونلاحظ أن عبارة "عصا قوة يرسل لك الرب من أورشليم" هي نبوة عن قوة التعليم الذي خرج به الرسل من أورشليم للكرازة في كل مكان. وعلى الرغم من أنه قد حُكِم بالموت على كل من يكرز أو حتى يعترف باسم المسيح، إلا أننا نقبل هذا الاسم ونعلِّم به في كل مكان. ولكن إذا كنتم أنتم أيضًا تقرأون هذه الكلمات بفكر معادٍ فلن تستطيعوا أن تفعلوا شيئًا أكثر من قَتلِنا كما قلنا من قبل، لكن هذا لن يضرنا بل سيأتي بالعقاب الأبدي بالنار عليكم وعلى كل من يعادينا ظلمًا ويظل بدون توبة.

الفصل السادس والأربعون

ولئلا يقول البعض بغير وجه حق ـ ليجعلوا الناس يبتعدون عن تعليمنا ـ إننا نؤكد أن المسيح قد وُلِد منذ مئة وخمسين عامًا[١٣٨] في أيام كيرينيوس ثم في أيام بيلاطس البنطي علَّم بما نقوله نحن الآن عنه، ويتهموننا كما لو لكنا نقول إن كل الناس الذين ولدوا قبل مجيء المسيح لا يمكن أن يُساءلوا عن أفعالهم، وسوف نرد على هذه المشكلة[١٣٩]. لقد تعلمنا أن المسيح هو بكر الله، وشرحنا قبلًا أنه هو الحكمة (لوغوس Logos) الذي فيه يشترك كل البشر. والذين

---

[١٣٨] ربما يستخدم ق. يوستينوس هنا أرقامًا تقريبية وإلا فيجب أن يكون تاريخ كتابة هذا الدفاع على أقصى تقدير في عام ١٤٧م، ولكن فيلكس والي الاسكندرية (المذكور في فصل ٢٩) تم تحديده على أنه موناكيوس فيلكس والي الإسكندرية في الفترة من ١٤٨ ـ ١٥٤م، ولذا فإن هذا الدفاع لا بد وأن يكون قد كُتب بعد عام ١٤٧.

[١٣٩] في هذه الفقرة يناقش ق. يوستينوس التساؤل عن كيفية محاسبة مَن عاشوا قبل مجيء المسيح، وهو يجيب على ذلك بالإشارة إلى أن الابن مولود أزليًا.

عاشوا بالحكمة هم مسيحيون[١٤٠] حتى ولو اعتُبِروا من الملحدين مثل سقراط وهيراقليتُس (Heraclitus) من اليونانيين وغيرهم، ومن غير اليونانيين إبراهيم وإيليا وحننيا وعزريا وميصائيل[١٤١] وآخرون يصعب علينا حصر أسمائهم وأعمالهم تفاديًا للإطالة. كذلك أيضا هؤلاء الذين عاشوا قبل المسيح ولم يحيوا تبعًا للحكمة كانوا أشرارًا وأعداءً للمسيح وقتلة لمن عاش بحكمة. أما الذين عاشوا بحكمة والذين مازالوا يعيشون فهم مسيحيون يحيون بلا خوف أو اضطراب ومن كل ما قلنا يقدر أي إنسان ذكي أن يفهم بقوة الكلمة (لوغوس) وبحسب إرادة الله الآب أبو ورب كل أحد، لماذا ولد المسيح كإنسان من عذراء وسُمي يسوع وصُلِب ومات وقام وصعد إلى السماوات. وبما أنه لا داعي لإثبات هذا الموضوع الآن فسننتقل لإثبات أمور أخرى أكثر إلحاحًا.

الفصل السابع والأربعون

استمعوا أيضًا إلى ما يقوله روح النبوة عن الخراب المزمع أن يكون لأرض اليهود وقد جاءت كلماته كما لو كانت من قِبَل الشعب الذين تعجبوا لما حدث، وهذه هي الكلمات: "صهيون قد صارت قفرًا

---

[١٤٠] ربما يشير ق. يوستينوس إلى رو ٢: ١٣ - ١٦ وما يقصده ق. يوستينوس بأنهم مسيحيون حتى قبل مجيء المسيح هو ما سيشرحه بالتفصيل في الدفاع الثاني فصل ٨ حيث إن هؤلاء الفلاسفة وأيضًا من كانوا ينتظرون المسيح على الرجاء كانت لديهم "بذرة اللوغوس" أو "بذرة الكلمة" الذي هو الحكمة التي أعطاها الله لكل البشر بمقدار ما يبحثون عن الحق. أما اللوغوس الكامل فهو المسيح لأنه هو اللوغوس ذاته وقد صار إنسانًا (انظر الدفاع الثاني، فصل ١٠). وقد وضع الله بذار الحق عند كل الناس (انظر الدفاع الأول، فصل ٤٤) وبهذه الطريقة يربط ق. يوستينوس بين المسيحية والبحث عن الحق (الذي هو المسيح) في كل وقت.

[١٤١] الثلاثة فتية الذين غيَّر رئيس الخصيان أسماءهم إلى شدرخ وميشخ وعبدنغو والذين لم تؤذهم نيران الآتون (دانيال ١: ٧ و ٣: ٢٠ - ٩٣)، ومن الملاحظ أن الصفة المُشتركة بين كل الذين ذُكِروا من اليونانيين واليهود هي أنهم رفضوا عبادة الأوثان وتعرضوا للاضطهاد من الوثنيين.

مجد فرأيناه ولم يكن له منظر ولا جمال بل منظره محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن؛ إذ قد تحوَّل وجهه، احتُقِر ولم يُعتدَّ به. هو يحمل خطايانا ويتألم عنا ونحن حسبناه مصابًا ومضروبًا ومذلولاً. وهو جُرِح لأجل آثامنا، وضُرِب لأجل خطايانا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شُفينا. كلنا كغنم ضللنا، مال كل إنسان إلى طريقه والرب جازاه عن خطايانا. ظُلِم ولم يفتح فاه، كخروف اُقتيد إلى الذبح وكحمل صامت أمام من يجزُّه هكذا لا يفتح فاه. في ذُلِّه رُفِع حُكمه" (إش ٥٣: ١ - ٨) وهكذا بعد صلب المسيح تركه جميع أتباعه المقربون بل وأنكروه. وبعد ذلك عندما قام من الأموات وظهر لهم وعلمهم قراءة النبوات التي تتحدث عن كل الأحداث السابقة وبعد أن رأوه صاعدًا إلى السماء وآمنوا به وأخذوا القوة التي أرسلها لهم من هناك ذهبوا إلى جميع الأمم ليعلِّموا بهذه الأمور ودُعيوا رسلاً.

الفصل الحادي والخمسون

وبالإضافة إلى ذلك ولكي يُعرِّفنا أن هذا الذي احتمل هذه الأشياء قد جاء مِن أصل لا يُمكِن وصفه وهو يسود على أعدائه يقول روح النبوة عنه: "وعن زمانه[١٤٢] مَن يُخبِر به لأنه تُقطَع من الأرض حياته، ومن أجل آثامهم جاء إلى الموت. سأجازي الأشرار عن قبره والأغنياء عن موته، لأنه لم يعمل إثمًا ولم يوجد في فمه غش. أما الرب فَسُرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن قدمتموه ذبيحة إثم فسترى نفوسكم نسلاً تطول أيامه، والرب يشاء أن ينقذ من التعب نفسه ويريه نورًا ويشكِّله بفهم ليبرر الصدِّيق الذي يخدم كثيرين حسنًا، وخطايانا هو يحملها لذلك هو يرث كثيرين ويقسِّم غنائم الأقوياء من أجل أنه سلَّم للموت

[١٤٢] استخدم ق. يوستينوس كلمة γενεὰ لتعني "زمانه أو فترته"، وقد تكررت هذه الكلمة في بقية كتباته.

نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطايا كثيرين ولأجل آثامهم أُسلِم" (إش ٥٣: ٨ - ١٢). واسمعوا أيضًا النبوءة عن صعوده إلى السماء وهذا هو نصها: "ارفعوا أبواب السماوات وانفتحي ليدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار" (مز ٢٤: ٧ - ١٠) واسمعوا أيضًا ما يقوله إرميا النبي عن مجيئه الثاني من السماء بمجد "هوذا شبه ابن إنسان يأتي على سحاب السماء وملائكته معه[١٤٣]."

الفصل الثاني والخمسون

والآن بما أننا أوضحنا أن كل هذه الأشياء التي حدثت سبق الأنبياء وتنبأوا بها قبل أن تحدث، فمن الضروري إذن أن نؤمن أن الأحداث التي تم التنبؤ بها أيضًا ولكن لم تحدث بعد لا بد وأن تتحقق. فكما أن تلك الأشياء التي حدثت بالفعل تحققت تمامًا كما جاء في النبوات، أو ظلت غير معلومة، هكذا أيضًا أحداث المستقبل حتى وإن كانت غير معروفة أو غير مُصدَّقة فإنها سوف تتحقق. إن الأنبياء قد تنبأوا أن المسيح سوف يأتي مرتين، في المرة الأولى التي حدثت بالفعل جاء كإنسان متألم ومُهان، أما مجيئه الثاني فسوف يحدث كما تنبأ عنه الأنبياء عندما يأتي من السماء بمجد مع جيوشه الملائكية ويقيم أجساد كل البشر ويُلبِس المستحقين الخلود ويرسل الأشرار إلى عذاب أبدي محسوس في النار الأبدية مع الشياطين الأشرار. وسنبين لكم الآن كيف أن هذه الأشياء أيضا تم التنبؤ بها على أنها ستحدث فيما بعد. يقول حزقيال النبي: "سينجمع المفصل مع المفصل والعظم مع العظم وينمو اللحم من جديد" (حز ٣٧: ٧) "وتجثو كل ركبة للرب ويعترف له كل لسان" (إش ٥٤: ٢٤). استمعوا أيضا إلى النبوءة المتعلقة بالآلام والعذابات التي

[١٤٣] هذه الآيات ليست في سفر إرميا بل في دانيال ٧: ١٣.

والسامريين إسرائيل وبيت يعقوب. ويمكننا أن نقدم نبوة تقول إن الذين سيتحولون إلى الإيمان من الأمم سيكونون أكثر من الذين آمنوا من بين اليهود والسامريين وهي: "ابتهجي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل" (إش ٥٤: ١). فشعوب الأمم جميعًا كانوا موحشين ومفتقرين إلى الإله الحقيقي، وكانوا يعبدون صنعة أيديهم، أما اليهود والسامريين فقد أُعطوا كلمة الله بواسطة الأنبياء، وكانوا دومًا ينتظرون مجيء المسيح. ومع ذلك فهم لم يعرفوه عندما جاء فيما عدا القليلون الذين نالوا الخلاص كما قال روح النبوة من خلال إشعيا الذي تحدث باسمهم قائلًا: "لولا أن الرب أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وعمورة" (إش ١: ٩) وقد روى موسى النبي أن سدوم وعمورة كانتا مدينتين مملوئتين أناسًا أشرارًا، وقد حرقهما الله بالنار والكبريت ولم ينج من السكان سوى رجل غريب كلداني المولد اسمه لوط وأيضًا ابنتيه ولن يريد يمكنه أن يرى هاتين المدينتين ولا تزالا قاحلتين وخربتين إلى الآن. ولنُثبت أنه كان معلومًا مسبقًا أن المؤمنين من الأمم سيكونون أكثر صدقًا وإيمانًا نذكر كلمات إشعيا النبي: "بيت إسرائيل غير مختوني القلوب أما الأمم فغير مختوني [اللحم]" [١٤٥] إذن فإن رؤية مثل هذه الأمور كافية لزرع الاقتناع والإيمان في هؤلاء الذين يقبلون الحق ولا يسعون للمجد الباطل وغير المستعبدين لأهوائهم.

الفصل الرابع والخمسون

ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الذين يروجون للأساطير التي اختلقها الشعراء لا يقدِّمون أي دليل على مصداقيتها إلى الشباب الذين

[١٤٥] هذا الاقتباس ليس من سفر إشعيا بل من إرميا ٩ : ٢٦.

يتعلمونها إلا أننا نستطيع الآن أن نبين أن هذه الأساطير قد رويت في أول الأمر بتحريض من الشياطين الأشرار لخداع وغواية جميع الناس[١٤٦]، لأنهم عندما سمعوا الأنبياء يعلنون مجيء المسيح وعقاب الأشرار بالنار بادروا بتقديم هؤلاء المعروفين بأبناء زيوس ظنًا منهم [أي الشياطين] أنهم بذلك يدخلون الشك في عقول الناس بأن النبوات عن المسيح ليست إلا قصصًا أسطورية مثل تلك التي رواها الشعراء. وقد انتشرت هذه القصص بين اليونانيين وكل الشعوب الأخرى حيثما سمع [الشياطين] عن قبول الأمم للمسيح حسب قول الأنبياء. وسنثبت أيضًا أن الشياطين لم تفهم بوضوح معنى ما قاله الأنبياء[١٤٧] بل كضالين صاروا يحاكون ما كان يقال عن المسيح. وكان موسى النبي كما قلنا أقدم من جميع الكتَّاب ومن خلاله جاءت النبوءة: "لا يزول رئيس من يهوذا ولا مدبِّر من بين فخذيه حتى يأتي من ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم، رابطًا بالكرمة جحشه غاسلًا بدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩: ١٠) وعندما سمع الشياطين هذه النبوءة أعلنوا من خلال الأساطير اليونانية أن ديونيسوس هو ابن زيوس وأنه اكتشف شجرة الكرمة لهذا يعتبرون الخمر من بين أسراره وعلَّموا بأنه بعد أن تم تمزيق جسده صعد إلى السماء. إن نبوة موسى لم تذكر بالتحديد ما إذا كان الذي سيأتي هو ابن الله أو بعد جلوسه على جحش سوف يظل على الأرض أم يصعد إلى السماء، علمًا بأن كلمة "جحش"[١٤٨] قد تعني ابن أتان أو ابن حصان. وقد تحير الشياطين فيما إذا كان المسيح الذي تنبأ عنه الأنبياء سيأتي راكبًا على جحش أتان أم حصان صغير كعلامة لمجيئه ولم يعرفوا إذا كان هو ابن الله أم ابن

---

[١٤٦] هذا هو الأمر الثالث الذي وعد ق. يوستينوس أن يثبته (راجع فصل ٢٣).

[١٤٧] تكرر ذِكر هذه الفكرة عند المدافعين الأوائل. انظر Lactantius *Inst. div.* 2 . 14

[١٤٨] إن كلمة πώλος في اليونانية والتي ترجمناها هنا "جحش" قد تعني صغير الحمار أو الحصان.

إنسان فقالوا إن بليروفون (Bellerophon) وهو إنسان ابن إنسان صعد إلى السماء على حصانه بيجاسوس. وعندما سمعوا من نبي آخر هو إشعيا أنه سيُولَد من عذراء وأنه سيصعد إلى السماء بقوته ادَّعوا أن برسيوس (Perseus) هو الذي فعل هذا. وأيضًا عندما لاحظوا وجود نبوة تقول إنه "قوي كجبار للجري في الطريق" (مز ١٩: ٥) أذاعوا أن هرقل كان جبارًا وجال في الأرض كلها. وأيضًا عندما عَلِموا بالنبوءة التي تقول أنه سيشفي كل مرض ويقيم الموتى قدموا شخصية أسكلبيوس.

الفصل الخامس والخمسون

ومع هذا لم يتم تقليد عملية الصلب[١٤٩] ولا مرة حتى مع أي من هؤلاء الذين يُدعَون أبناء زيوس. ولم يخطر هذا لهم لأنه كما أثبتنا من قبل أن كل ما قيل عن الصلب كان بطريقة رمزية. وهذا[١٥٠] هو أعظم علامة لقوة المسيح وسلطانه كما تنبأ النبي وكما هو واضح في كل ما يُرى. فلنتأمل جميع الأشياء في هذا الكون [ونحكم] هل يمكن أن تنضبط أو تتناسق مع بعضها البعض دون هذه العلامة [الصليب]. فالبحر مثلًا لا يمكن الإبحار فيه إن لم تُثبَّت علامة النصرة التي تُدعى الشراع في السفينة، والأرض أيضًا لا يمكن أن تُحرَث بدون هذه العلامة، والحفارون والصناع يقومون بكل أعمالهم باستخدام أدوات بنفس هذا الشكل. كما يختلف جسم الإنسان عن سائر الحيوانات غير العاقلة في أنه يقف منتصبًا فاتحًا ذراعيه وفي وجهه امتداد للأمام يُسمَّى الأنف الذي يتنفس منه وهذا هو شكل الصليب تمامًا، لذا

[١٤٩] إن الحجج في هذا الفصل قد لا تبدو للعقل المسيحي اليوم حججًا قوية، ولكن لابد أن نتذكر أن ق. يوستينوس كان يوجه كلماته للوثنيين الذين لم يعتبروا أن هناك شيئًا أكثر حقارة من الصليب. فقد أراد أن يريهم كيف أن كرههم للصليب الذي كان جزءا من حياتهم اليومية كان غير منطقي. وقد استخدم ترتليان أيضًا هذه الحجة. انظر: *Apol.* 16, Ad. Nat. 12

[١٥٠] أي عملية الصلب على الصليب والذي أصبح فيما بعد علامة لقوة المسيح.

يقول النبي "نَفَس أنوفنا هو المسيح الرب"[١٥١] (مرا ٤: ٢٠). حتى الرموز التي على راياتكم وأعلامكم التي تستخدمونها في مواكبكم تُظهِر قوة هذه العلامة وأنتم أيضًا تستخدمون هذه العلامة - وإن كنتم تفعلون ذلك عن جهل - كرمز للقوة والسلطان. وبعد موت أباطرتكم تضعون صورهم على هذه العلامة وتدعونهم آلهة في كتاباتكم. وإذ إننا قد حاولنا قدر استطاعتنا أن نقنعكم بالمنطق وبأمثلة واضحة، لهذا فنحن متأكدون أنه لا لوم علينا حتى إن لم تؤمنوا لأننا أنجزنا مهمتنا بالكامل.

الفصل السادس والخمسون

ولم يكتفِ الشياطين الأشرار قبل مجيء المسيح بأن يقولوا إن المدعوين أبناء زيوس قد ولدوا منه بالحقيقة. بل أيضًا بعد أن ظهر المسيح وعاش بين الناس وبعد أن علم الشياطين أنه هو الذي تنبأ عنه الأنبياء وأدركوا أن كل الأمم آمنت به، وأنهم كانوا ينتظرونه فقد أتوا مرة أخرى برجال آخرين، كما ذكرنا قبلا، أمثال سيمون وميناندر من السامرة اللذين أضلا وما زالا يضلان كثيرين بأعمال سحر خارقة. وكما ذكرنا من قبل[١٥٢] فإن سيمون هذا عاش بينكم في مدينة روما الملكية في أيام حكم كلوديوس قيصر، وأبهر مجلس الشيوخ الموقر والشعب الروماني لدرجة أنهم اعتبروه إلهًا وكرَّموه بإقامة تمثال له مثل الآخرين الذين تعبدونهم كآلهة. ولهذا نتوسل إليكم وإلى مجلس الشيوخ الموقر والشعب الروماني أن تنظروا كقضاة لالتماسنا هذا حتى أن كل من وقع في شرك تعاليم سيمون يمكنه أن يعرف الحقيقة ويهرب من الخطأ وإن أردتم حطموا تمثاله.

---

[١٥١] في هذه الفقرة يُشبِّه ق. يوستينوس الأنف وهو الجزء الذي يتنفس منه الإنسان والذي يتعامد مع الحاجبين - على شكل صليب - بالمسيح المصلوب الذي يعطي الحياة لنفوسنا.

[١٥٢] راجع الدفاع الأول، فصل ٢٦.

كل الأشياء، ما في السماء وما على الأرض، وأن المسيح الذي تنبأ عنه الأنبياء هو ابن الله. كما ادعى ماركيون بأنه يوجد إله آخر غير الخالق، وأيضا ابن آخر. وقد صدَّق هذا الرجل أناس كثيرون كما لو أنه هو وحده العالم بالحقائق وهم يهزأون بنا بالرغم من أنهم لا يستطيعون أن يبرهنوا على ما يقولون، ولكنهم كحملان غير عاقلة خطفها ذئب، فهم ضحايا للشياطين وتعاليمهم الإلحادية. فإن هذه الأرواح التي نسميها شياطين لا هدف لها إلا إبعاد الناس عن الله خالقهم وعن المسيح بِكره، أما هؤلاء الذين لا يستطيعون الارتفاع فوق الأرضيات فقد قيدهم الشياطين بعبادة الأرضيات والأصنام التي هي صنعة الأيادي. وهم أيضًا يحاولون أن يُعثِروا كل الذين يرتفعون للتأمل في الإلهيات، وما لم يكن هؤلاء الأشخاص حكماء في آرائهم وأنقياء وبلا هوى في حياتهم فسيدفعهم الشياطين إلى الشر.

الفصل التاسع والخمسون

ولكي تعرفوا أن أفلاطون قد اقتبس من معلمينا[١٥٥] عندما أكد أن الله قد غيَّر المادة عديمة الشكل وخلق العالم، استمعوا إلى كلمات موسى الصادقة الذي ذكرنا من قبل أنه أول الأنبياء وأقدم من كل أدباء اليونان[١٥٦]. وقد قال روح النبوة من خلاله هذه الكلمات ليبين كيف ومن أي شيء خلق الله العالم في البدء : "في البدء خلق الله السماء والأرض وكانت الأرض غير منظورة وغير مُهيأة وعلى وجه الهاوية ظلام وكان روح الله يرف على المياه. وقال الله: "ليكن نور فكان نور" (تك ١: ١ - ٣) وهكذا تعلَّم أفلاطون وأتباعه ونحن أيضًا كما يمكنكم أنتم أيضًا أن تتأكدوا، أن الله خلق العالم كله

[١٥٥] أي من تعاليم الأنبياء.
[١٥٦] راجع الدفاع الأول، الفصل ٤٤.

بكلمته من المادة[١٥٧] التي ذكرها موسى، ونحن نعلم أيضًا أن ما يسميه الشعراء "إيريبوس"[١٥٨] (Erebus) قد ذكره موسى أولًا.

الفصل السّتّون

وقد اقتبس أفلاطون من موسى النبي عندما تساءل عن طبيعة ابن الله الكلمة في كتابه طيمايوس (Timaeus)؛ إذ يقول: " لقد وضعه في الكون على شكل الحرف اليوناني (خي X) " لأن في كتابات موسى يذكر أنه في الوقت الذي غادر فيه بنو إسرائيل مصر وعاشوا في البرية صادفتهم حيوانات سامة وحيات وكل أنواع الثعابين أتت بالموت على الشعب وأن موسى بوحي ودافع من الله أخذ نحاسًا وشكّله على هيئة صليب[١٥٩] ووضعه على خيمة الاجتماع المقدسة وقال للشعب "إن نظرتم إلى هذا التمثال وآمنتم فستخلصون به" (عدد ٢١: ٨)، ويقول الكتاب إنه بعدما حدث هذا هلكت الحيات وأُنقِذ بنو إسرائيل من الموت. وعندما قرأ أفلاطون هذا الكلام لم يفهمه جيدًا ولم يدرك أن موسى كان يتحدث عن شكل الصليب، ولهذا فقد ظن أنه يتحدث عن شكل حرف X وقال في أحاديثه عن الثلاثة آلهة] إن القوة التي تلي قوة الإله الأول وُضِعت في الكون على شكل حرف X، كما ذكر أفلاطون كائنًا ثالثًا لأنه قرأ ما كتبه

---

[١٥٧] راجع الدفاع الأول، فصل ١٠، حاشية ٥٦.

[١٥٨] هذا الاسم هو الذي يطلق في الأساطير اليونانية على الظلمة التي تسود العالم الغربي - أي العالم الآخر أو ما بعد الموت - حيث تقع أرض الظلمة (Cimmeria) أوالهاوية (Hades) ومن الملاحظ ارتباط الظلمة بجهة الغرب حيث غروب الشمس. والجدير بالذكر أن هذه الثقافة كانت منتشرة في العالم القديم وليس في اليونان فقط حيث نجد أن الفراعنة كانوا يفضلون وجود مقابرهم في الجانب الذي تغرب فيه الشمس، أي في البر الغربي من النيل.

[١٥٩] "فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على راية" (عدد ٢١: ٩). من الملحوظ أنه لايوجد ذكر للصليب أو لخيمة الاجتماع في هذا النص، وقد فسر ق. يوستينوس وكثير من الكتاب في ذلك العصر كلمة "علامة" σημεῖον التي وردت في الترجمة السبعينية على أنها علامة الصليب. وبحسب ماران في *PG* 6.418 فإن ق. يوستينوس قد استخدم كلمة خيمة الشهادة كصورة للكون، أي أن الصليب كان موضوعًا في الكون كما أشار أفلاطون.

موسى ـ كما ذكرنا من قبل ـ الذي قال إن روح الله كان يرف على وجه المياه (تك ١: ٢). وقد أعطى أفلاطون المكانة الثانية للكلمة الذي هو مع الله والذي وضعه في الكون على شكل حرف X والمكانة الثالثة أعطاها للروح الذي قيل إنه محمول فوق المياه مؤكدًا بذلك أنه الإله الثالث[١٦٠]. واستمعوا إلى روح النبوة متحدثًا بفم موسى عن الحريق الهائل المزمع أن يحدث "ستنزل نار دائمة وتأكل حتى إلى الهاوية من تحت" (تث ٣٢: ٢٢) إذن فلسنا نحن من نتبنى آراء الآخرين بل هم الذين يقلدون آراءنا ويرددون صداها، وتقدرون أن تسمعوا عن هذه الأمور من أشخاص بيننا لا يعرفون حتى حروف الأبجدية وبعضهم فاقدوا البصر. ولكنهم مع عدم ثقافتهم وبساطة حديثهم إلا أنهم حكماء ومؤمنون ومن هنا يتضح لكم أن هذه الأشياء ليست ناتجة عن حكمة الناس بل من قوة الله[١٦١].

الفصل الحادي والستّون

وسنشرح[١٦٢] كيف كرسنا أنفسنا لله بعد أن تجددنا بالمسيح لئلا نُعتَبر مقصرين في عرضنا لهذا الموضوع إن لم نفعل، فإن كل الذين يصدقون ويؤمنون أن ما نقوله ونعلِّم به هو الحق ويتعهدون بأن يحيوا وفقًا لهذا التعليم، يتم تعليمهم أن يسألوا الله عن طريق الصلاة والصوم من أجل مغفرة خطاياهم السابقة[١٦٣] ونحن نصلي

---

[160] Pseudo-Plat., *Epist.* 2.312E; Cf Athenagoras, *Suppl.* 23.

هنا اعتبر ق. يوستينوس أن روح الله هو الروح القدس الأقنوم الثالث، لكنه كان يخلط في اعتبار أن روح النبوة يُشار به في بعض الأحيان إلى أقنوم "الكلمة" وفي بعض الأحيان الأخرى إلى الروح القدس.انظر هذا الخلط في الدفاع الأول فصل ٣٣ وفصل ٦١.

[١٦١] انظر ١كو ٢: ٥.

[١٦٢] في هذا الفصل وأيضًا في الفصول ٦٥، ٦٦، ٦٧ تجاهل ق. يوستينوس مبدأ سريّة الطقوس المسيحية *Disciplina arcani* ليشرح بعض الممارسات المسيحية، وقد كان هذا من غير المعتاد في ذلك الوقت.

[١٦٣] يشير ق. يوستينوس هنا إلى فترة تعليم وإعداد الموعوظين التي تسبق نوال سر المعمودية.

وإذا تجرأ أحد على ذلك فهو يُعتَبر مختل العقل. وهذا الاغتسال يُسمَّى استنارة[١٦٨] لأن الذين ينالون هذا السر تستنير عقولهم، وأيضًا الذي ينال الاستنارة يعتمد باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي، وباسم الروح القدس الذي سبق وبشَّر من خلال الأنبياء عن كل الأمور الخاصة بيسوع[١٦٩].

الفصل الثاني والستّون

وبعد أن سمع الشياطين عن هذه المعمودية التي تنبأ عنها إشعيا النبي، حضّوا جميع من يدخلون معابدهم بسكائب ومحرقات على أن يرشوا انفسهم أيضًا بالماء بل وأن يغسلوا أجسادهم قبل الاقتراب من المعابد أو الذهاب للأضرحة حيث توجد تماثيلهم [أي الشياطين]. وأيضًا الأوامر التي يعطيها كهنة الأوثان للذين يدخلون المعابد بخلع الأحذية قد قلدها الشياطين بعد أن سمعوا بما حدث مع موسى النبي وذكرناه من قبل. لأنه في ذلك الزمن عندما أُمِر موسى أن ينزل إلى مصر ليُخرِج بني اسرائيل، الذين كانوا هناك، وعندما كان يرعى غنم خاله[١٧٠] في أرض العربية تحدث إليه مسيحنا في شكل نار

الفاعلة. وحتى كلمة "الله" ليست اسم عَلَم في الأساس، انظر الدفاع الأول، فصل ٩؛ الدفاع الثاني، فصل ٦. ووراء هذه الفكرة فقرة شهيرة في كتاب طيمايوس لأفلاطون استشهد بها ق. يوستينوس في الدفاع الثاني، فصل ١٠. ولذلك ربما يكون قد تأثر في تعليمه هذا بكل من الأفكار الأفلاطونية، وأيضًا التأملات اليهودية عن اسم الله. وكان هذا على نقيض الأوثان التي كانت تُسمَّى بأسماء من اختيار الشياطين، انظر الدفاع الأول، فصل ٥.

[١٦٨] إن تعبير "الاستنارة" φωτισμός كان يُستخدَم في العصور الأولى كمرادف لاسم المعمودية.

[١٦٩] انظر فصل ٣٣ والحاشية ١٢٥. تأكيدًا لما ذكرناه سابقًا، فإن ق. يوستينوس كان يمايز بين الأقانيم الثلاثة، ولكنه أحيانًا كان يخلط بين أدوار الأقانيم في العمل الواحد الذي للثالوث القدوس، نجده هنا يعود ويذكر - مخالفًا لكلامه السابق في فصل ٣٣ من الدفاع الأول - أن الروح القدس هو الذي ينطق بالأنبياء.

[١٧٠] يعتقد ماران في *PG* 6.422 أن ق. يوستينوس قد خانته الذاكرة عندما كتب "خاله" بدلًا من "حماه" ولكن ثيرلبي(Thirlby) يعتقد أنه قد اختلط عليه الأمر بين الحوادث المتشابهة في حياة موسى ويعقوب.

المسيح. ونحن لا نشترك فيهما كخبز وشراب عاديين بل كما أنه بتجسُّد كلمة الله، مخلِّصنا يسوع المسيح، متخذًا لنفسه جسدًا ودمًا لأجل خلاصنا، فإن هذا الطعام الذي تقدَّس بواسطة كلمات الصلاة التي قالها المسيح[١٨٠]، يغذي جسدنا ودمنا؛ إذ هو جسد ودم يسوع المتجسد كما تعلمنا. وقد سلَّمنا الرسل في مذكراتهم التي تدعى الأناجيل ما قد أمرهم يسوع أن يصنعوا، أنه أخذ خبزًا وبعدما شكر قال: "اصنعوا هذا لذكري، هذا هو جسدي" وأيضًا أخذ الكأس وشكر وقال: "هذا هو دمي"[١٨١] وقد أعطاهما لهم فقط. وعندما أراد الشياطين الأشرار محاكاة هذا السر أمروا بصنعه في طقوس الإله ميثراس[١٨٢] (Mithras) فكما تعرفون أو يمكنكم بسهولة أن تعرفوا، أنهم يستخدمون خبزًا وكوب ماء مع تعاويذ معينة في طقوسهم السرية.

الفصل السابع والستّون

وهكذا نحن دائمًا نذكِّر بعضنا بعضًا بهذه الأمور. والأغنياء بيننا يسارعون لمساعدة الفقراء، ونبقى معًا دائمًا. كما أننا نبارك خالق الكل على كل الخيرات التي ننعَم بها في ابنه يسوع المسيح والروح القدس. ولنا في اليوم الذي يُدعى يوم الشمس (Day of the Sun - Sunday) [أي يوم الأحد] اجتماع لكل سكان المدن والضواحي وفي هذا الاجتماع تُقرأ مذكرات الرسل [يقصد بها الأناجيل] أو كتابات الأنبياء حسبما يسمح الوقت، وبعد الانتهاء

---

[١٨٠] تتقدس القرابين بناء على الكلمات التي نطق بها المسيح له المجد في يوم العشاء الأخير باستدعاء الروح القدس ليحل عليها وينقلها - على حد تعبير نص القداس الإلهي - إلى جسد ودم الرب الأقدسين.

[١٨١] انظر: لو ٢٢ : ١٩ ومت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٧ ومر ١٤ : ٢٢.

[١٨٢] راجع ترتليان *De praec. Haer.* 40 لقد أصبحت عبادة إله الشمس الفارسي شائعة في عهد هادريان (١١٧ - ١٣٨م) وقد جعل يوليان الجاحد من ميثراس إلهًا له.

من القراءات يتقدم الرئيس ويعِظ الحاضرين ويشجعهم على ممارسة الفضائل. ثم نقف جميعًا لنرفع الصلوات، وكما قلنا من قبل بعد أن ننتهي من الصلوات يتم تقديم الخبز والخمر والماء، ثم يصلي الرئيس ويرفع الصلوات والشكر على قدر استطاعته، أما الشعب فيرد قائلًا "آمين". ثم توزع الإفخارستيا على الحاضرين ويُرسَل منها للغائبين عن طريق الشمامسة. ويُقدِّم الأغنياء إذا أردوا ما يودون أن يتبرعوا به وتُجمَع التبرعات وتترك في عهدة الرئيس. [وبهذه التبرعات] هو يساعد الأرامل والأيتام والمحتاجين بسبب مرض أو خلافه وأيضًا المسجونين والمتغربين عندنا، وباختصار هو يهتم بجميع المحتاجين. ويوم الأحد هو بالحقيقة اليوم الذي نعقد فيه اجتماعنا المشترك، لأنه اليوم الأول الذي فيه حوَّل الله الظلمة والمادة وخلق العالم[١٨٢]، وفيه أيضًا قام مخلِّصنا يسوع المسيح من الموت، لأنهم صلبوه في اليوم الذي يسبق السبت وفي اليوم الذي يليه، أي الأحد، ظهر لتلاميذه ورسله وعلمهم الأشياء التي نقلناها لكم للتأمل فيها.

الفصل الثامن والستّون

إذا رأيتم أن ما نقوله يتفق مع المنطق والحق فاحترموا أقوالنا، وأما إذا بدا لكم أن هذا التعليم سخيف فلا تعيروه اهتمامًا، ولكن لا تفرضوا حكم الموت على من لم يخطئوا كما لو كانوا أعداءً لكم. فها قد سبقنا وحذرناكم أنكم لن تهربوا من حكم الله الذي سيأتي عليكم إذا استمريتم في ظلمكم. وحينئذ سوف نقول "لتكن مشيئة الله"، وكان من الممكن على أساس خطاب أبيكم الإمبراطور هادريان الشهير والعظيم أن نطالبكم بأن تحكموا حسب التماسنا، ولكن ليس بسبب مرسوم هادريان، بل لأننا نعلم أن ما

[١٨٢] راجع الدفاع الأول، فصل ١٠، حاشية ٥٦.

الدفاع الثاني

مقدمة

يقول يوسابيوس في كتابه "التاريخ الكنسي"[1] إن الدفاع الثاني ليوستينوس كان موجهًا للإمبراطور مرقس أوريليوس عندما كان إمبراطورًا وحده (١٦٩ - ١٨٠م)، غير أن النقاد في العصر الحديث ينسبون الدفاعين إلى الفترة الأخيرة من عهد أنطونينوس بيوس (١٤٧ - ١٦١م) واستنتج آخرون أن الدفاع الثاني قد تم توجيهه إلى نفس الأشخاص الذين وُجه لهم الدفاع الأول.

وقد جاء إلينا الدفاع الثاني في مخطوطين حيث سبق الدفاع الثاني الدفاع الأول. وفي النسخة اليونانية الأصلية وكذلك الترجمة اللاتينية الأولى جاء الدفاعان بنفس ذلك الترتيب، إلا أننا قد أشرنا سابقًا[2] إلى أن الدفاع الثاني تلا الأول ليس كملحقًا له بل كدفاع مستقل على الرغم من أنه كتب بعد الأول بقليل. وعلى هذا يكون تاريخ كتابة الدفاع الثاني بين عامي ١٥٥ و١٦٠م في روما.

وهذا الدفاع القصير المكوَّن من ١٥ فصلًا جاء ردًا على إعدام ثلاثة أشخاص مسيحيين على يد أوربيكوس (Urbicus) حاكم روما. ويبدأ ق. يوستينوس دفاعه باتهام الرومان بالظلم لأنهم حكموا على هؤلاء المسيحيين بالموت لمجرد أنهم مسيحيون.

ثم ينتقل ق. يوستينوس إلى الإجابة بتهكم على هذين السؤالين:

١. إذا كان المسيحيون يتطلعون باشتياق لرؤية الله لماذا لا يقدمون على الانتحار ويوفرون على أعدائهم عناء قتلهم؟

٢. إذا كان إلههم لديه القدرة على مساعدتهم فلماذا يسمح لأعدائهم باضطهادهم ومعاقبتهم؟

---

[1] 4.15.18.

[2] انظر مقدمة الدفاع الأول.

الفصل الأول

إن الأمور التي حدثت مؤخرًا[٣] في مدينتكم خلال حكم أوربيكوس[٤] والأعمال الشريرة التي ارتكبها حُكَّامكم بلا سبب دفعَتني لأوجه لكم أيها الرومان هذه الرسالة لأن لكم مشاعر كمشاعرنا، وأنتم إخوة لنا[٥] حتى لو لم تدركوا هذا الأمر أو ترفضون الاعتراف به بسبب عظمة ما تسمونه امتيازاتكم. ففي كل مكان، يحتاج الإنسان إلى من ينصحه سواء كان أبًا أو جارًا أو ابنًا أو صديقًا أو أخًا أو زوجًا أو زوجة ضد أي نقص مثل العناد أو حب الملذات أو صعوبة الحث على فعل الخير (ما عدا الذين يؤمنون بأن الأشرار والشهوانيين سوف يقاسون عقوبة النار الأبدية في حين أن الأفاضل والذين يتشبهون بالمسيح - أي من صاروا مسيحيين - سوف يحيون مع الله بعيدًا عن أي ألم) فإن الشياطين الأشرار الذين يكنون لنا العداء يستخدمون أمثال هؤلاء القضاة الذين يتعبدون لهم ويخدمونهم، ويحضونهم كحكام تحت تأثير الشياطين أن يحكموا علينا بالموت. ولكي تفهموا بوضوح سبب كل ما حدث خلال حكم اوربيكوس سأسرد لكم بدقة ما حدث.

الفصل الثاني

كانت هناك امرأة تعيش مع زوج غير عفيف، وهي أيضًا كانت في وقت ما غير عفيفة، ولكنها بعد أن عرفت تعاليم المسيح صارت تتمتع بضبط النفس، وبالتالي حاولت إحداث هذا التغيير نفسه في

---

٣ هذا التعبير "καὶ τὰ χθὲς δὲ καὶ πρώην" وترجمته الحرفية "وأيضًا أمس وأول أمس" هو أحد تعبيرات هوميروس.

٤ كان أوربيكوس قنصلًا وحاكمًا في بريطانيا وألمانيا تحت حكم الامبراطور أنطونينوس بيوس.

٥ عبر ترتليان عن هذه الفكرة أيضًا في دفاعه، فصل ٣٩.

الفصل الرابع

ولئلا يقول لنا أحد "امضوا جميعكم واقتلوا أنفسكم لتذهبوا فورًا إلى الله وتوفروا علينا قتلكم"، فسأشرح لكم لماذا لا نفعل ذلك ولماذا إذا تم استجوابنا نعترف بإيماننا بشجاعة؛ لقد تعلمنا أن الله لم يخلق العالم بدون هدف، بل أنه فعل ذلك لأجل البشر. فقد ذكرنا من قبل[١٢]، أن الله يسعد بالذين يتمثلون بكماله ولا يسعد بالذين يختارون الشر سواء بالقول أو بالفعل. فإذن إن قمنا جميعًا بقتل أنفسنا، إن كان الأمر متروك لنا، فلن يولد أحد بعد ولن يتعلم أحد التعاليم الإلهية، وهذا أيضًا سيؤدي إلى زوال الجنس البشري. وإن تصرفنا هكذا سوف نكون مخالفين لإرادة الله. ولكن إذا تم استجوابنا فنحن لا ننكر إيماننا، لأننا لم نفعل شيئًا خاطئًا بل نحن نعتبر أن عدم قول الصدق لا يتفق مع التقوى التي ترضي الله. ونحن الآن نريد أن نخلِّصكم من التحيز الظالم.

الفصل الخامس

يجب ألّا يظن أحد أننا عندما نعترف بأن الله هو حامينا، لا يمكن أن يقوى علينا أو يزعجنا أناس ظالمون[١٣]، ولكنني سأشرح هذا الأمر أيضًا. عندما خلق الله العالم ووضع كل شيء على الأرض تحت سلطة الإنسان، ورتب الأجرام السماوية من أجل تغير المواسم وكثرة الثمار، ووضع لها قانونًا إلهيًّا لأنه خلقها من أجل الإنسان، عيَّن ملائكته ليعتنوا بالبشر وكل الأشياء تحت السماء. ولكن

---

[١٢] راجع الدفاع الأول، فصل ١٠.

[١٣] يذكر القديس كليمندس السكندري في *Stromata* 4.11.82 أن هذه كانت أحد الردود المفضلة للوثنيين. راجع أيضًا :
Arnobius, *Adv. nat.* 2.76; Minucius Felix, *Oct.* 12, Lactantius, *Inst. Div.* 5.21

الملائكة عصوا هذا الأمر ووقعوا في الخطية مع النساء وأنجبوا أطفالاً وهم من يُدعَون شياطين[١٤]. وفضلًا عن ذلك، أخضعوا الجنس البشري لهم عن طريق كتابات سحرية من ناحية، وبزرع الخوف فيهم وإنزال العقوبات عليهم وتعليمهم تقديم الذبائح والبخور والسكائب للآلهة بعد أن صاروا عبيدا لشهواتهم وأهوائهم من ناحية أخرى. كما تسبب الشياطين أيضًا في جرائم قتل وحروب وزِنا وكل أشكال الخلاعة وكل أنواع الخطايا بين الناس. ولذلك نسب الشعراء وكتاب الأساطير هذه الأمور لإلههم نفسه [زيوس] وللمدعوين أبناءه، ولأبناء من كانوا يظنونهم إخوته: بوسيدون وهاديس وأبناء أبنائهم غير عالمين أن الملائكة الأشرار والشياطين المولودين منهم هم الذين فعلوا هذه الأشياء للرجال والنساء وللمدن والشعوب. وقد دعاهم الشعراء بالأسماء التي كان كل من الملائكة الأشرار قد أعطاها لنفسه ولأبنائه[١٥].

الفصل السادس

لا يليق أن يُطلَق على الله أبي الكل اسمًا مُختلَقًا لأنه [أي الله] غير مولود، لأن كل من له اسم فقد أُعطي له من شخص يكبره سنًا. إن كلمات الآب والله والخالق والرب والسيد ليست أسماء حقيقية بل ألقاب مستمدة من أعماله الصالحة. ولكن ابن الله هو وحده الذي يُدعى بالحقيقة ابنه، وهو الكلمة الذي كان معه [أي مع الله الآب] والذي وُلِد منه قبل كل المخلوقات والذي به - في البدء

---

[١٤] كان هناك رأي منتشر عند اليهود وبعض الكُتّاب المسيحيين من بعدهم بأن بني الله المذكورين في الآية: "وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم" (انظر تك ٦: ٢ - ٥) هم ملائكة، وقد ظن ق. يوستينوس أن الجبابرة المذكورين هم الشياطين. انظر الدفاع الأول، فصل ٥، وترتليان، الدفاع فصل ٢٢، وإيريناوس كتاب الكرازة الرسولية ترجمة د. نصحي عبد الشهيد و د. جورج عوض، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، فقرة ١٨ ص ٨٣.

[١٥] انظر الدفاع الأول، فصل ٥.

. خلق ودبر الله الآب كل الأشياء، فهو يُدعى المسيح لأنه مُسِح ولأن الآب دبر كل أمور الخليقة به. وهذا الاسم له أيضًا معنى غير معروف تمامًا مثل كلمة "اللّه" الذي هو ليس اسمًا حقيقيًّا بل هو تعبير عن شعور مزروع في طبيعة الإنسان[١٦] يصعب تفسيره. وأما اسم "يسوع" وهو اسمه كإنسان وكمخلِّص فله معنى، لأنه كما ذكرنا من قبل[١٧] صار إنسانا وقد وُلِد حسب إرادة الله لأجل المؤمنين وليهزم الشياطين. وحتى الآن أنتم ترون بعيونكم حقيقة هذه العبارة الأخيرة، لأن الكثير ممن سكنتهم هذه الأرواح الشريرة في العالم أجمع وحتى في مدينتكم قد أخرجها منهم العديد من المسيحيين باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي وقد شفاهم رجالنا وما زالوا يشفون آخرين بإبطال قوة هذه الشياطين وطردها، بعد أن تملكت عليهم، في حين أن المشعوذين لم يستطيعوا أن يشفوهم بالتعاويذ والعقاقير.

الفصل السابع

ويؤجل الله نهاية العالم[١٨] وانهياره ـ حيث يهلك الأشرار من الملائكة والناس[١٩] ـ وسبب هذا التأجيل هو البذرة المسيحية والتي يعرفها [الله] أنها سبب بقاء العالم. ولو لم يكن الأمر هكذا لما تمكنتم من فعل ما تفعلون بتأثير من الشياطين الأشرار، ولكن ستنزل نار الدينونة وسيتلاشى كل شيء مثلما اجتاح الطوفان العالم قديمًا، ولم ينجُ أحد إلا شخص واحد مع أسرته، وهو من

---

[١٦] عبَّر ترتليان عن نفس الفكرة بهذه الكلمات المشهورة :
O testimonium animae naturlaliter Christianae (*Apol.* 17)

[١٧] انظر الدفاع الأول، الفصلين ٢٣ و ٣٣

[١٨] راجع الدفاع الأول، الفصلين ٢٨ و ٤٥ و الحوار مع تريفون، فصل ٣٩ والرسالة إلى ديوجينيتوس الفصل ٦

[١٩] يقصد ق. يوستينوس فناء القوة وليس فناء الوجود.

ندعوه نوح وأنتم تدعونه دوكاليون (Deucalion) ومنه ولد كثيرون بعضهم أشرار والبعض الآخر أبرار. و نحن نقول إن العالم سوف يحترق بالنار في النهاية بهذه الطريقة وليس كما يعتقد الرواقيون[٢٠] بأن كل الأشياء سوف تتغير إلى أشياء أخرى بحسب عقيدة التحول الشائنة. كما أننا لا نعلِّم [كما يفعل الرواقيون] بأن الإنسان يعمل ويتألم كما يملي عليه القدر، بل نؤمن أن كل إنسان يفعل الخير أو الشر بإرادته الحرة، وأن الأبرار مثل سقراط وغيره يواجهون الاضطهاد والسجن بينما نجد سردنابالوس (Sardanapalus) وإبيقور (Epicurus) وأمثالهما يتمتعون بالثراء والمجد. ويدَّعي الرواقيون - نتيجة جهلهم بتأثير الشياطين - أن كل شيء يحدث بحتمية قدرية. لكن بما أن الله منذ البدء خلق جنس الملائكة والناس ولهم إرادة حرة، فهم بعدل سوف يدفعون ثمن خطاياهم في النار الأبدية، فالإنسان بطبيعته له إمكانية الفضيلة والرذيلة، ولن يستحق المديح على أي عمل يعمله ما لم تكن له القدرة على أن يميل إلى أي منهما [أي الخير أو الشر]. ويوضح الفلاسفة والمشرعون هذه الحقيقة في كل مكان عندما يأمرون الناس - تبعًا للمنطق السليم - أن يفعلوا بعض الأشياء ويتجنبوا أشياء أخرى. ونجد أيضًا أن الفلاسفة الرواقيين في تعاليمهم عن الأخلاق يتبعون دائمًا نفس المبادئ، حتى إنه من السهل أن نرى خطأهم في تعاليمهم عن المبادئ والكائنات الروحية. فبقولهم إن أفعال البشر تخضع للقدر هم يعترفون بأنه: إما أن الله ليس سوى تلك الأشياء التي تتحول وتتغير على الدوام وتذوب في العناصر ذاتها - ويبدو أنهم لا يدركون إلا الأمور الفانية - ويؤكدون أن الله ذاته، جزئيًا وكليًا، يوجد في كل خطية، أو أنه لا يوجد ما يسمى بالرذيلة والفضيلة على الإطلاق، وهذا ضد كل رأي وعقل ومنطق سليم.

---

[٢٠] يعتقد الرواقيون أن تدمير العالم بالنار هو مجرد حدث طبيعي وليس عقوبة للخطية.

الفصل العاشر

لا شك إذن أن تعاليمنا أسمى من كل تعاليم البشر لأن اللوغوس الكامل هو المسيح الذي ظهر على الأرض لأجلنا، أي هو اللوغوس الذي صار جسدًا ذا نفس عاقلة[٢٦]، وجميع ما اكتشفه الفلاسفة والمشرعون وعبروا عنه تعبيرًا جيدًا كان بفضل اكتشافهم وتأملهم لجزء ما من اللوغوس. ولكن بما أنهم لم يعرفوا اللوغوس، الذي هو المسيح معرفة كاملة، فقد كانوا أحيانًا يناقضون أنفسهم. وكذلك الذين ولدوا قبل أن يصير المسيح إنسانًا وكانوا يُجَرّون إلى المحاكم ويُتَهمون كهراطقة وكأشخاص متطفلين؛ حيث حاولوا بفكرهم البشري الضيق أن يفكروا ويثبتوا الأشياء بالمنطق. وقد نسبوا لسقراط، وهو الأكثر حماسًا في هذا الصدد، الجرائم ذاتها المنسوبة لنا، وادعوا أنه قدم آلهة جديدة[٢٧] ورفض آلهة الدولة. ولكن ما فعله سقراط هو أنه نبذ هوميروس[٢٨] والشعراء الآخرين وعلَّم الناس أن يطردوا الشياطين الأشرار وهؤلاء الذين يقترفون الأعمال المذكورة في كتابات الشعراء. كما أنه حث الناس أن يعرفوا المزيد عن الله الذي كان غير معروف لديهم عن طريق التأمل فقال: "ليس من السهل العثور على الآب خالق كل الأشياء، حتى وإن وجدوه فهل يعد إعلانه أمام جميع الناس شيئًا آمنًا؟"[٢٩] غير أن مسيحنا فعل كل هذا بقوته الذاتية. ولم يحدث أن أحَدا آمن بسقراط ـ الذي كانت لديه معرفة غير واضحة عن المسيح، لأن المسيح كان وما زال هو اللوغوس الذي

---

[26] Cf. St Augustine, *Sermo.* 214.7.

[27] Cf. Plato, *Apol.* Ch. 14.

[٢٨] هذه العبارة بكاملها مأخوذة من أفلاطون: *Republic* 2.377ff. and 10.595 ff.

[٢٩] اقتباس بتصرف من أفلاطون *Tim.* 28 C. راجع ايضًا أوريجينوس *Contra Celsum* 7.42

يعمل في كل إنسان، وهو الذي تنبأ عن أشياء من خلال الأنبياء[٣٠] . لدرجة أنه مات لأجل تعاليمه، ولكن الذين آمنوا بالسيد المسيح ليسوا العلماء والفلاسفة فقط، بل أيضًا العمال وغير المتعلمين، فهم من احتقروا الخوف والمجد والموت؛ إذ إنه عندما اتخذ طبيعتنا ومشاعرنا البشرية علَّمنا هذه التعاليم نفسها. حقًّا إن هذا تم بقدرة الآب غير الموصوف وليس عن طريق المنطق البشري.

الفصل الحادي عشر

وما كان ليُحكم علينا نحن المسيحيين بالموت ولا يتقوى علينا الناس الأشرار والشياطين لولا أن الموت هو حق على كل إنسان يُولَد. ولذا فإننا عندما نوفي هذا الحق نقدم الشكر. ومن أجل كريسكنس والذين يتشدقون بالكلام مثله نرى من المناسب هنا أن نروي لكم ما كتبه زينوفون[٣١] (Xenophon). يقول زينوفون إن هرقل جاء ذات مرة إلى مكان يتقاطع فيه ثلاثة شوارع وهناك ظهرت له الفضيلة والرذيلة في شكل امرأتين، وكانت الرذيلة ترتدي ثوبًا مثيرًا غالي الثمن، كما كان يعلو وجهها تعبيرًا فتانًا وهي متزينة، وقد كانت ساحرة للنظر فقالت لهرقل إنه إن تبعها فستجعل حياته كلها متعة وبهجة وسيرتدي الملابس الفاخرة مثلما كانت ترتدي هي. أما الفضيلة التي ظهرت بمظهر حقير وملابس حقيرة فقالت له: "إن أطعتني سوف تتزين ليس بزينة فانية أو بجمال وقتي بل بزينة أبدية كريمة". حقًّا نحن نؤمن بأن من يتجنب ما يبدو جيدًا في الظاهر فقط ويسعى نحو ما يبدو عسيرًا وغير منطقي ستتحقق له السعادة، لأن الرذيلة لكي تخفي أفعالها استعارت

---

[٣٠] انظر الدفاع الأول، فصل ٣٣، حاشية ١٢٥.

[٣١] ينسب زينوفون في *Men.* 2.1.21ff هذه القصة الخيالية إلى Prodicus

صفات الفضيلة التي هي ممتازة بالحقيقة وذلك بتقليد ما هو غير قابل للفساد - علمًا بأن الرذيلة لا تمتلك ولا تستطيع أن تتسبب في عدم الفساد - وتستعبد ضعاف العقول وتنسب عاداتها الشريرة إلى الفضيلة. ولكن هؤلاء الذين عرفوا الصالحات يعيشون بغير دنس في الفضيلة. هؤلاء الأشخاص - كما يمكن لكل شخص ذكي أن يستنتج - هم المسيحيون والمجاهدون والذين عملوا أعمالاً رواها الشعراء عمن يدعونهم آلهة[٣٢]. ويمكننا أن نستنتج ذلك من حقيقة أننا نحن المسيحيين نزدرى بالموت الذي يهرب منه الناس.

الفصل الثاني عشر

فأنا نفسي عندما كنت أجد متعة في تعاليم أفلاطون وسمعت عن المسيحيين وكيف يتم الإساءة إليهم ورأيتهم يقفون بلا خوف أمام الموت أو أى شيء آخر من الأشياء التي يراها الآخرون مفزعة، أدركت أنهم من المستحيل أن يعيشوا في الخطية والشهوة. فأي إنسان يطلق العنان لشهواته ورغباته ويوافق على أكل لحوم البشر[٣٣] لا يمكن أن يرحب بالموت ويحرم نفسه من شهواته؟ أ لن يكون من الأفضل له أن يحاول دائمًا الاستمرار في أسلوب حياته هذا ليخدع المسئولين؟ وعلى الأقل أ لن يتراجع عندما تكون العقوبة هي الموت؟ لقد جعل الشياطين الناس الأشرار يفعلون هذا، فإنه بعد إنزال عقوبة الإعدام على البعض بسبب تهم باطلة ضدنا، قاموا بتعذيب أناس من خدمنا ومنهم أطفال ونساء لإجبارهم بهذه الأساليب الرهيبة على الاعتراف بجرائم وثنية يرتكبونها هم علانية. ولكن هذه الجرائم لا تعنينا بشيء لأننا لا نرتكبها، ويشهد على أفكارنا وأفعالنا الله غير

---

[٣٢] مثل هرقل الذي استهان بالموت.

[٣٣] إشارة إلى أكل لحوم البشر، وهو من أشهَر الاتهامات التي أثارها الوثنيون ضد المسيحيين. راجع الدفاع الأول، فصل ٢٦، حاشية ١٠٣.

المولود غير الموصوف. فلماذا إذن [إن كنا نفعل هذه الأفعال] لم نعترف علنًا أننا نعتبر هذه الأشياء صالحة و نؤكد أنها فلسفة إلهية قائلين أننا نتمم طقوس كرونوس[٣٤] (Kronos) حيث نقتل شخصًا ونشرب دماءه ـ كما يُقال أننا نفعل ـ لإننا بذلك نكون قد فعلنا نفس ما تفعلونه أمام الوثن[٣٥] الذي تعبدونه وترشون عليه ليس فقط دم حيوانات بل أيضًا دم بشر مقدمين سكائب من دم الشخص المذبوح بواسطة أكثر الأشخاص نبلًا وتميزًا بينكم؟ أ فلا نستطيع أن نقدم كتابات إبيقور والشعراء الآخرين كدفاع عن أنفسنا أسوةً بزيوس والآلهة الأخرى الذين مارسوا اللواط والعلاقات الآثمة مع نساء؟ ولكن لأننا نُقنع الناس ونحثهم على الابتعاد عن هذه الأفعال وعن الذين يمارسونها وأيضًا من يتمثلون بهم، مثلما نسعى الآن بشدة لإقناعكم بهذه الكلمات، فإننا نُهاجَم بطرق كثيرة، ونحن لا نقلق على الإطلاق لأننا ندرك أن الله مراقِب عادل على الكل. وأود لو أن رجلًا ما صعد على منصة عالية وصاح بصوت عال: "اخجلوا واستحوا يا من تتهمون الأبرياء بارتكاب نفس الجرائم التي ترتكبونها أنتم علانية وتنسبون ذنوبكم وذنوب آلهتكم إلى أشخاص لم يشتركوا فيها فغيِّروا طرقكم وتعقلوا."

الفصل الثالث عشر

وعندما علمت بما فعله الشياطين من تمويه شرير لعقيدة المسيحيين الإلهية لمنع آخرين من اعتناقها ضحكت على من أشاع هذه الأكاذيب وعلى عملية التمويه ذاتها وعلى رد الفعل لدى عامة الشعب. وأنا أعترف بأنني أصلي وأجاهد بكل قواي لكي أُعرَف

---

[٣٤] كان الأولاد هم الضحايا المفضلون لهذا الوثن، انظر Lactantius, *Inst. Div.* 1.21, Tertullian, *Apol.* 9

[٣٥] هذا الوثن هو زيوس لاتياريس (Jupiter Latiaris) راجع ترتليان، الدفاع ٩.

كمسيحي ليس لأن تعاليم أفلاطون تختلف عن تعاليم المسيح، بل لأنها ليست متشابهة معها في كل شيء، وكذلك بالنسبة لتعاليم الآخرين مثل الرواقيين والشعراء والمؤرخين، فكل واحد من هؤلاء من خلال اشتراكه في بذرة اللوغوس الإلهي وما يتعلق به تكلم حسنًا جدًّا. أما الذين ناقضوا أنفسهم في الأمور الهامة فهم لم يكتسبوا الحكمة السماوية والمعرفة القاطعة التي لا تقبل الجدل. إن الحقائق التي تحدث عنها أناس من كل البلاد تنتمي إلينا نحن المسيحيين. لأننا نعبد ونحب الكلمة الذي هو من الله الآب غير المولود غير الموصوف، فالكلمة صار إنسانًا لأجلنا وشاركنا آلامنا لكي يشفينا. حقًّا إن جميع الكتَّاب كان لهم قبس من الحقيقة بواسطة بذرة الكلمة المغروسة فيهم. لأن بذرة الشيء وما شابهها التي تُعطى لكل واحد حسب قابليته هي أمر والشيء نفسه الذي يتم الاشتراك فيه ومحاكاته حسب نعمة الله هو أمر آخر تماما.

الفصل الرابع عشر

ولذا نتوسل إليكم أن تنشروا هذا البيان مع إضافة ما لكم من تعليق عليه لكي يعرف الآخرون عاداتنا ويتحرروا من قيود المعتقدات الباطلة والجهل بما هو صالح، لأنهم بسبب أخطائهم استحقوا العقاب. اعلنوا هذا الكلام لكي يعرف جميع الناس هذه الحقائق لأن الإنسان بطبيعته يستطيع معرفة الخير والشر. ولأنهم يتهموننا نحن الذين لا يعلمون عنا إن كنا حقًّا نفعل هذه الأعمال الشائنة كما يدَّعون، ولأنهم يفرحون بآلهتهم التي ارتكبت هذه الأعمال ذاتها ويسمحون للناس بارتكابها، ولأجل حكمهم علينا بالموت أو بالقيود أو بأية عقوبة مشابهة كما لو كنا ارتكبنا هذه الأفعال، فإنهم يدينون أنفسهم ولا يحتاجون إلى قضاة آخرين.

الحوار مع تريفون اليهودي

مقدمة

وصل إلينا نص الحوار مع تريفون للقديس يوستينوس عن طريق Codex Paris gr. 450 (لعام ١٣٦٤) ولكن بعض أجزائه مفقودة، وهي جزء في المقدمة وآخر في الفصل الرابع والسبعين. وربما كان الجزء الناقص من المقدمة يتضمن إهداء العمل لماركوس بومبيوس الذي يوجَّه له الحديث في الفصل الحادي والأربعين ويشار إليه في الفصل الثامن.

ويعرض نص الحوار مناقشة جرت في مدينة أفسس بين ق. يوستينوس وتريفون اليهودي بعد انتهاء الحرب التي شنها بار كوكبا المتمرد اليهودي ضد السلطة الرومانية حوالى عام ١٣٥م. وبالرغم من أن بعض تفاصيل الحوار قد تكون خيالية إلا أن الإطار العام يبدو أن له أساسًا واقعيًّا. وهناك القليل جدًّا مما نعرفه عن تريفون خصم ق. يوستينوس فربما كان لاجئًا يهوديًّا هرب من فلسطين إلى أفسس أثناء ثورة بار كوكبا. وقد تشكك كثيرون في احتمالية أن يكون هو تارفون الحاخام الفلسطيني الشهير.

وفي حقيقة الأمر، يُعتَبر نص الحوار، الذي كتبه ق. يوستينوس في مدينة روما بعد سنوات من حدوث المناقشة الفعلية (أي بين عامي ١٥٥-١٦١م)، دفاعًا عن المسيحية ضد اليهودية. وبما أن المناقشة استغرقت يومين فيمكن تقسيم الرسالة إلى جزأين: الجزء الأول (الفصول ١ - ٧٤) يحكي ما حدث في اليوم الأول، والجزء الثاني (الفصول ٧٥ - ١٤٢) يحكي ما حدث في اليوم الثاني. أما التقسيم الطبيعي والمنطقي للفصول البالغ عددها ١٤٢ فصلًا فيكون على خمسة أجزاء:

١. مقدمة (الفصول ١ - ٨) وفيها يحدد ق. يوستينوس حدود المناقشة

الفصل الأول

بينما كنت أسير ذات يوم في أحد الشوارع الواسعة[1] تقدم إليَّ رجل ومعه آخرون وقال: "صباح الخير أيها الفيلسوف" ثم سار هو وأصدقاؤه بجانبي. وبعد رد التحية سألته: "ما بالكم تأتون إليَّ، هل تريدون مني شيئًا؟" فأجاب الرجل: "كورنثوس السقراطي علمني في أرجوس ألَّا أستهين أو أتجاهل من يلبسون ملابسك[2]، بل أهتم بهم وأتحدث معهم لأن مثل هذه الأحاديث قد يعود ببعض المنفعة عليهم أو عليَّ فيستفيد كلانا من هذا اللقاء. ولذا، كلما رأيت أحدًا يرتدي هذا الرداء أبادره بالحديث، ولهذا السبب يسعدني أن أرحب بك، وأصدقائي هنا يشاركونني الأمل في سماع شيء مفيد منك."

سألته بابتسامة: "ومَن أنت، يا سيدي، الفاضل؟" فلم يتردد في أن يعرِّفني اسمه ومعلومات عنه قائلًا: "اسمي تريفون[3] وأنا رجل عبراني من أهل الختان لاجئ بعد الحرب الأخيرة[4] وحاليًّا أنا مقيم في اليونان في مدينة كورنثوس." ثم سألته: "كيف تستفيد من الفلسفة بقدر استفادتك من مشرِّع الناموس عندكم ومن الأنبياء؟" فأجاب الرجل: "ولم لا؟ أ لا يتحدث الفلاسفة دائمًا عن الله ويطرحون أسئلة عن وحدانيته وعنايته؟ أ ليست هذه هي مهمة الفلسفة، أي البحث في الإلهيات؟" قلت له: "نعم بالتأكيد. هذا هو رأينا نحن أيضًا، ولكن غالبية الفلاسفة قد تركوا البحث عما إذا كان هناك إله واحد أو آلهة متعددة، أو ما إذا كانت هناك عناية إلهية تعتني بنا، كما

---

[1] غالبًا في مدينة أفسس.

[2] كان الفلاسفة يلبسون عباءة تُدعى (pallium) وتختلف عن ملابس الرجال العاديين (toga).

[3] اعتقد البعض أن تريفون هذا هو تارفون أحد حاخامات فلسطين المتعصبين. انظر التمهيد، حاشية ١٦.

[4] يقصد هنا الحرب الثورية التي أثارها بار كوكبا في فلسطين واستمرت من عام ١٣٢م إلى ١٣٥م، وفيها استولى هادريان على أورشليم وذبح آلاف اليهود.

لو كان هذا الأمر غير ضروري لسعادتنا. على أيه حال هم يحاولون إقناعنا بأن الله يعتني بالكون وبكل الأجناس والأنواع التي تعيش فيه، ولكن ليس بي وبك وبكل فرد وإلَّا فلا داعي لنا أن نصلي له ليلاً ونهارًا. وليس من الصعب أن نرى إلى أين يقودهم مثل هذا المنطق الذي يمنح من ينادي بهذه الآراء مناعة وحرية تعبير ليقولوا ويعملوا ما يريدون دون خوف من عقاب أو أمل في جزاء من الله. وهم يدَّعون أن الأمور ستظل كما هي الآن وأننا سوف نعيش في الحياة الآتية كما نعيش الآن لا بشكل أفضل ولا أسوأ[٥]. ولكنْ هناك آخرون[٦] يظنون أن الروح خالدة ولذلك ينتهون إلى أنهم لن يُعاقَبوا حتى لو كانت لهم خطية لأن الروح إذا كانت خالدة وغير جسدانية فلا يمكن أن تتألم، وإذا كانت خالدة فهي لن تحتاج شيئًا آخر من الله." ثم قال الرجل وهو يبتسم ابتسامة مهذبة: "اشرح لنا رأيك في هذه الأمور، وما هي فكرتك عن الله وما هي فلسفتك."

الفصل الثاني

قلت له: "سأشرح لك آرائي في هذا الموضوع. إن الفلسفة هي بالتأكيد أغلى ما يمتلك المرء، ولها قيمتها الكبيرة في نظر الله لأنها تقودنا إليه وتجعلنا نتحد به، والذين يستخدمون الفلسفة هم بالحقيقة من القديسين. ولكن كثيرون عجزوا عن اكتشاف طبيعة الفلسفة والسبب في نزولها للناس [من السماء] وإلا لما ظهر الأفلاطونيون والرواقيون والمشاؤون والنظريون[٧] والفيثاغوريون، لأن علم الفلسفة هو علم واحد. والآن، دعني أقول لك لماذا تعددت المدارس

---

[٥] ربما تكون هذه إشارة إلى تعاليم الرواقيين القدريين.

[٦] يعني الأفلاطونيين.

[٧] ربما يقصد "الشكاكون" (Skeptics) أو أن يكون هذا الاسم وصفًا لمجموعة من الفلاسفة كرسوا أنفسهم للتأمل والتفكير.

الاضطراب الذهني فكرت في استشارة أحد أتباع أفلاطون وكانت له سمعة طيبة للغاية. وبالفعل أمضيت مع هذا الرجل الحكيم قدرًا كبيرًا من الوقت، وكان الأفلاطونيون يكنون له كل الاحترام على الرغم من وصوله منذ فترة قصيرة إلى مدينتنا[٨]. وتحت قيادته تقدمت في مسيرة الفلسفة يومًا بعد يوم شاعرًا بالانبهار بالأشياء غير المحسوسة وكان عقلي يطير[٩] بنظرية أفلاطون للأفكار، لدرجة أنني في خلال وقت قصير تخيلتُ نفسي رجلًا حكيمًا، ووصلت في حماقتي إلى أنني توقعت أنني أتفرَّس في الله لأن هذا هو هدف الفلسفة عند أفلاطون.

الفصل الثالث

"وبينما كنت في هذه الحالة العقلية راغبًا في العزلة الكاملة بعيدًا عن المعطلات البشرية، كنت أذهب بمفردي لمكان ما قريبٍ من البحر. وفي ذات يوم، وأنا في طريقي لهذا المكان بغرض الانفراد وحدي، تبعني رجل مسن جدير بالاحترام له طلعة وديعة ووقورة. فوقفت والتفتُ على الفور ونظرت إليه. فقال: "هل تعرفني؟" فأجبت بالنفي. قال: "لماذا إذن تحدق النظر فيَّ هكذا؟" أجبته قائلا: "لأنني فوجئت بوجودك هنا؛ إذ لم أتوقع أن أرى أي أحد هنا." قال: "إني قلق لغياب بعض أفراد من أهل بيتي، فكنت أبحث عنهم لعلي أجدهم في مكان ما في هذه المنطقة. ولكن ماذا جاء بك أنت إلى هنا؟" قلت: "أنني أستمتع كثيرًا بالسير على قدميَّ حيث أستطيع التحدث مع نفسي دون عائق، لأنه لا يوجد شيء هنا يشتت ذهني كما أن مثل هذه الأماكن مناسبة للتأمل بعمق فلسفي بالفكر والمنطق[١٠]." قال:

---

[٨] غالبا أفسس. و يعتقد البعض أنها فلافيا نيابوليس وهي مسقط رأسه، أو أنها الإسكندرية.

[٩] تعبير أفلاطوني.

[١٠] استخدم ق. يوستينوس كلمة "Philology" ليشير إلى التأمل الفلسفي.

"هل أنت إذن من محبي الكلام[11] بدلاً من أن تكون محبًّا للأعمال والحق؟ أ لا تسعى لكي تكون رجلاً عمليًّا بدلاً من أن تكون سوفسطائيًّا (Sophist) ؟" قلت: "ماذا يمكن للمرء أن يعمله أعظم من أن يثبت أن العقل والمنطق يسودان على كل شيء، وأن مَن يجعلهما يتسلطان على كل فعل وتصرف ويتقوى بهما، يستطيع أن يزدري أخطاء غيره ويعتبرها ضد العقل ولا ترضي الله؟ كما أنه لا يمكن للإنسان أن يكون حكيمًا وذا عقل ومنطق بدون الفلسفة والفكر المستقيم. لذلك يجب على كل إنسان أن يتمسك بالفلسفة وأن يعتبرها أعظم وأسمى مسعى له. كما أن كل المساعي الأخرى ما لم تكن مرتبطة بالفلسفة فإنها تأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة من حيث القيمة. ومع أن هذه المساعي الأخرى لها قيمتها، وليس هناك اعتراض عليها، ولكن إذا خلت من الفلسفة ولم ترتبط بها بأي شكل من الأشكال ففي هذه الحالة تصبح دنيئة ورديئة لمن يمارسها." فقاطعني قائلًا: "هل الفلسفة إذن تؤدي إلى السعادة؟" قلت: "نعم بلا شك، الفلسفة وحدها." قال: "قل لي ما هي الفلسفة وما هي السعادة التي تنتج عنها، إن كان لا يوجد مانع من أن تتكلم؟" أجبته قائلًا: "الفلسفة هي معرفة ما هو موجود، وهي الفهم الواضح للحقيقة، والسعادة هي المكافأة التي تعطيها هذه المعرفة وهذا الفهم." قال: "ولكن كيف تُعرِّف الله؟" قلت: "الله هو الكائن الذي له طبيعة واحدة لا تتغير، وهو هكذا على الدوام، كما أنه سبب الوجود لكل ما عداه." وسُرَّ بكلامي وسألني ثانية: "أ ليست المعرفة كلمة تطبق بصفة عامة على أمور مختلفة؟ لأن كل مَن هو ماهر في أي من الفنون، في فن الخطط العسكرية أو فن الملاحة أو الطب على سبيل المثال يُقال عنه أنه ماهر، ولكن هذا غير صحيح

[11] استخدم الرجل المسن الكلمة نفسها بمعنى محبة استخدام الكلمات.

بالنسبة للأمور الإلهية والبشرية. فهل يوجد علم يعطينا فهمًا للأمور البشرية والإلهية بالإضافة إلى معرفة أفضل للإلوهة والفضيلة؟" قلت: "بالتأكيد". قال: "وهل معرفة الإنسان والله مثل معرفة الموسيقى والحساب والفلك وغير ذلك؟" قلت: "بالطبع لا" قال: "إجابتك إذن لم يجانبها الصواب، لأننا نكتسب معرفة الأشياء بالدراسة أو بالممارسة، ومعرفة أشياء أخرى بالنظر. والآن، لو أن أحدًا قال لك إنه يوجد في الهند كائن يختلف عن بقية الكائنات جميعًا، من نوع كذا وكذا ويتخذ له أشكالًا وألوانًا كثيرة، فأنت لن تكون لديك معرفة محددة لهذا الحيوان ما لم تره، ولن تستطيع أن تصفه ما لم تسمع عنه من شخص رآه" قلت: "بالطبع لا" قال: "إذن كيف يستطيع الفلاسفة التأمل أو التحدث بشكل صحيح وحقيقي عن الله، في حين تعوزهم معرفته لأنهم لم يروه ولم يسمعوا عنه قط؟" قلت: "ولكن، يا أبتي، الألوهة لا يمكن أن تُرى كما تُرى الكائنات الحيَّة الأخرى. الله يُدرَك بالعقل فقط، كما يؤكد أفلاطون، وإنني أتفق معه في ذلك."

الفصل الرابع

"ثم سألني: "هل تمتلك عقولنا مثل هذه القدرة الجبارة، أم أنها تدرك الموجودات عن طريق الحواس؟ هل يقدر العقل البشري أن يرى الله إن لم يكن هذا بمعونة الروح القدس؟" قلت: "لقد قال أفلاطون - وهو على حق - إن عين العقل لها هذه القدرة الخاصة التي أُعطيَت لنا كي نستطيع أن نرى بها - إذا ما كانت نقية - الكائن الذي هو علة كل ما يدركه العقل والذي ليس له لون أو شكل أو حجم أو أي شيء مما تراه العين لأنه فوق كل جوهر مُدرَك؛ لذا فهو غير موصوف وهو وحده الجميل والصالح الذي يدخل في الحال إلى النفوس الفاضلة

تكن الأنفس موجودة فيه لأنها خُلِقت لأجل الإنسان والكائنات الحية الأخرى، حتى إذا ادّعيت أنت أنها خُلِقت على حِدَة وليس مع أجسادها." قلت: "أعتقد أنك على حق. النفس إذن ليست خالدة[١٣]." قال: "لا ليست خالدة، بما أن العالم نفسه قد خُلِق." وأكمل قائلًا: "ومن ناحية أخرى، أنا لا أدَّعي أن النفس يمكن أن تموت [أي تفنى] لأن ذلك سيكون في صالح الخطاة. فماذا يحدث للنفس إذن [بعد موت الجسد]؟ تسكن أنفس الأبرار في مكان أفضل بينما تسكن أنفس الأشرار والظالمين في مكان أسوأ حيث ينتظرون يوم الدينونة. لذلك فإن هؤلاء الذين اعتُبِروا مستحقين أن يروا الله لن يهلكوا إلى الأبد ولكن الآخرين سوف يكون لهم عقاب طالما أن الله سمح لهم بالوجود وطالما أنه يريد لهم العقاب." قلت: "أ لا يتفق إقرارك هذا مع ما نادى به أفلاطون في كتابه طيمايوس[١٤] عن أن العالم يمكن تدميره بما أنه شيء مخلوق ولكنه لن يتعرَّض للتدمير لأن هذه هي إرادة الله؟ أ لا تعتقد أن الشيء ذاته يمكن أن يقال عن النفس وأيضًا عن كافة المخلوقات الأخرى؟ لأن الله كائن سرمدي أما كل ما عداه مما يُوجَد أو سيُوجَد فله طبيعة قابلة للفساد وبالتالي هو معرض للإضمحلال التام. لأن الله هو وحده غير المولود[١٥] وغير القابل للفساد ولهذا السبب هو الله، وكل ما عداه هو مخلوق وقابل للفساد. لهذا أيضًا تموت النفس وتعاقب لأنها لو كانت غير مخلوقة لما كانت قد أخطأت أو صارت في مثل هذه الحماقة: تارة في جبن وتارة أخرى في جسارة ولما دخلت - بسبب أفعالها - في الخنازير والثعابين والكلاب[١٦]. وأيضًا لو أن هذه النفوس غير مخلوقة لما صح إجبارها على أي شيء،

---

[١٣] المقصود هنا هو أن النفس ليست خالدة في ذاتها، ولكنها أُعطيت الخلود كنعمة من الله.

[14] Cf. *Timaeus*, 41 AB.

[١٥] انظر الدفاع الأول، فصل ١٤، حاشية ٦٧.

[١٦] راجع الحاشية صفحة ١٤١.

لأن غير المخلوق يشابه ويطابق غيره من غير المخلوقات، ولا يمكن تفضيل أحد منهم على الآخر في القدرة أو الكرامة. والخُلاصة إذن هي أنه لا توجد كائنات كثيرة غير مخلوقة لأنه لو كان هناك بعض الاختلافات بينها فلن تستطيع - مهما حاولْتَ - أن تجد سببًا لمثل هذه الاختلافات. ولكن بعد أن توجِّه فكرك دائمًا إلى اللانهائية سوف تتعب أخيرًا وتجد أنك لا بد أن تتوقف عند الوحيد غير المخلوق وأن تقرر أنه هو علة كل الأشياء. هل تظن أن هذه الأمور غابت عن أفلاطون وفيثاغورس، هذين الحكيمين اللذين صارا سندًا وحصنًا لفلسفتنا؟"

الفصل السادس

"قال: "لا يهمني إن كان أفلاطون أو فيثاغورس أو غيرهما قد تبنَّوا مثل هذه الآراء. ما أقوله هو الحق وسأشرح لك كيف تتعلَّمه: إن النفس إما أن تملك الحياة في ذاتها أو تُعطى الحياة من خارجها. فإن كانت تملك الحياة في ذاتها فإنها يمكن أن تُعطِي الحياة لآخر - غير ذاتها - مثلما تُعطِي الحركة لشيء أن يتحرَّك. ولا يستطيع أحد أن ينكر أن النفس تحيا لكن ليس معنى ذلك أنها لها حياة في ذاتها بل أنها أُعطيَت الحياة، لأن مَن يُعطِي يختلف عمَّن يأخذ. وهكذا فإن النفس حيَّة لأن الله أعطاها الحياة ويريدها أن تحيا ولن يكون لها حياة حينما سيريد الله لها ألّا تحيا، لأن المقدرة على الحياة ليست صفة خاصة بالنفس بل هي خاصة بالله. وبما أن الإنسان لا يحيا إلى الأبد وجسده لا يتحد بنفسه إلى الأبد بل ينحل هذا الاتحاد عندما تنفصل النفس عن الجسد ولا يوجد الإنسان فيما بعد، فهكذا أيضًا عندما تكف النفس عن الحياة تُؤخَذ منها روح الحياة فلا توجد بعد، بل ترجع إلى موضع أصلها."

الفصل السابع

"قلت: "إذا كان هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون الحقيقة، فأيّ معلِّم أو أيَّة طريقة نتبع؟" قال: "من زمن بعيد، قبل هؤلاء الفلاسفة بوقت طويل، عاش رجال مباركون أبرار محبوبون من الله، رجال يتكلّمون بوحي من الروح القدس، هؤلاء تنبأوا عن أحداث سوف تحدث في المستقبل، وهي تحدث الآن. ونحن ندعو هؤلاء الرجال أنبياء؛ فهم وحدهم قد عرفوا الحقيقة ونقلوها للناس بلا خوف ولا تأجيل. وكانوا يرددون فقط ما سمعوه ورأوه بوحي من الروح القدس بدون رغبة في المجد الباطل. وكتاباتهم ما زالت موجودة وكل من يقرأها بإيمان صحيح يستفيد كثيرًا في معرفة أصل الأشياء وغايتها وكل الأمور الأخرى التي ينبغي للفيلسوف أن يعرفها. وفي ذلك الوقت، لم يعطوا دليلًا في كتاباتهم على ما يقولون لأنهم كشهود أمناء للحق كانوا فوق مستوى الدليل غير أن الأحداث التي وقعت وتقع الآن تجعلك تصدِّق كلامهم. وهم أيضًا جديرون بالثقة لأجل المعجزات التي صنعوها لأنهم مجدوا الله الآب خالق كل الأشياء وعرَّفوا الآخرين بالمسيح ابنه المرسل منه. وهذا ما لم يفعله قط الأنبياء الكذبة الممتلئون بروح نجس مُضِلّ، ولكنهم يشرعون في عمل بعض العجائب ليبهروا الناس ويمجدوا الشياطين وأرواح الشر. أهم شيء هو أن تتضرَّع إلى الله ليفتح لك أبواب النور لأن الإنسان لا يستطيع أن يرى أو يدرك هذه الحقائق ما لم ينل استنارة من الله ومسيحه."

الفصل الثامن

"وبعد أن قال هذه الكلمات وأشياء أخرى لا مجال الآن لسردها مضى في طريقه ناصحًا إياي أن أتأمل فيما قاله لي ولم أره بعد ذلك.

ولكن روحي اشتعلت على الفور وتملكتني مشاعر من الود نحو الأنبياء وهؤلاء الذين هم أصدقاء المسيح. وبينما أنا أتأمل في كلامه اكتشفت أن ما قاله هو الفلسفة الوحيدة المؤكَّدة والمفيدة. وهكذا الآن أنا فيلسوف، والأكثر من ذلك، أن أمنيتي هي أن يشعر كل واحد بهذه المشاعر ولا يحتقر أبَدا كلمات المُخلِّص لأن فيها جلال عظيم لدرجة أن هذه الكلمات تقدر أن تبث الخوف في الذين حادوا عن طريق البِر، وتبعث التعزية العظيمة للذين يحفظونها. ولذا، إن كنت تهتم بصالحك وخلاص نفسك، وإن كنت تؤمن بالله - لأنني أعلم أنك لست غريبًا عن هذه الأمور - فلك فرصة الحصول على معرفة مسيح الله وأن تتمتع بحياة سعيدة بعد أن تصير مسيحيًّا[١٧]."

وعند هذه الكلمات أيها العزيز بومبي[١٨]، ضحك أصدقاء تريفون، وهو نفسه أجاب مبتسمًا: "لقد أعجبني كلامك ورغبتك العميقة في معرفة الإلهيات، إلّا أنني أرى أنه من الأفضل لك أن تركز على فلسفة أفلاطون أو أي فيلسوف آخر حتى تحصل على الثبات والاعتدال وضبط النفس بدلًا من أن تقع في شرك تعاليم كاذبة وتصير شريكًا لأناس لا قيمة لهم. فحينما كنت تتمسك بمدرستك الفلسفية السابقة وعِشت حياة بلا لوم كان هناك أمل في مصير أفضل لك، ولكن عندما تتحوَّل بعيدًا عن الله وتضع رجاءك في إنسان فما هي فرصة خلاصك؟ إن استمعت لي - لأنني قد اعتبرتك بالفعل صديقًا لي - فعليك أولا أن تختتن ثم تحفظ الأحكام بالنسبة ليوم السبت، وأيام الأعياد، وأهلَّة [جمع هلال] الله الجديدة، أي أن

---

[١٧] الكلمة هنا حرفيًّا بمعنى "تصير كاملا". وقد فهمها البعض على أنها تشير إلى المعمودية، وآخرون على أنها إشارة للكمال في الحياة. لذلك ربما تحمل كلمة "مسيحي" المعنى الأول والثاني معًا.

[١٨] لا يذكر النص اليوناني اسم بومبي (Pompey) لكن النسخة اللاتينية تذكره. وهو الشخص الذي وجَّه له القديس يوستينوس هذا الحوار، وهو مذكور بوضوح في فصل ١٤١.

تحفظ كل الشريعة المكتوبة، حينئذ قد تختبر رحمة الله. أما المسيا فإذا كان قد وُلِد وهو موجود في مكان ما، فهو غير معروف ولا يُدرِك هو نفسه أنه المسيا ولن يكون لديه أيَّة قوَّة حتى يأتي إيليا ليمسحه ويظهره للجميع. لكنكم [أي المسيحيون] قد صدَّقتم هذه الإشاعة الغبية واخترعتم لأنفسكم مسيحًا وتقدِّمون حياتكم من أجله باندفاع."

الفصل التّاسع

قلت: "يا صديقي، أنا أسامحك وليت الرب يغفر لك لأنك لا تعلم ما تقول، فقد علَّمك مُعلِّمون لا يفهمون الكتب المقدسة وأنت تقول كل ما يطرأ على بالك بغير تفكير مثل العرَّاف. أما إذا وافقت أن تسمع معلومات عن المسيح وكيف أننا لم نُخدَع بتعاليم كاذبة وأننا لن نكف عن الاعتراف بإيماننا به حتى لو تعرَّضنا للاضطهاد وحتى لو حاول أعتى الطغاة أن يجبرنا على إنكاره، فسأُثبِت لك هنا والآن أننا لا نؤمن بخرافات أو تعاليم غير منطقية بل بعقائد أُوحِي بها من الروح القدس، وهي مملوءة قوة وتفيض بالنعمة."

ومرَّة أخرى، راح أصدقاء تريفون يضحكون بصوت عال فظ وغير مهذب حتى إنني قمت وكنت على وشك الانصراف عنهم، ولكن تريفون أمسكني من ردائي وقال إنه لن يطلقني حتى أفي بوعدي [أن أدافع عن المسيحيين].

قلت: "إذن لا تدع أصدقاءك يُحدِثون هذا الضجيج ويتصرَّفون بشكل مهين، وإن أرادوا فليستمعوا وإن كان لديهم شيء أهم ليفعلوه فلينصرفوا، حينئذ نَقْدِر أن نذهب إلى مكان آخر لنستريح ونستكمل حديثنا."

فوافق تريفون واتفقنا على أن نذهب إلى وسط إستاد زيستوس

(Xystus) بعد أن انصرف اثنان من أصدقائه وهم يمزحون ويهزأون بحديثنا. وعندما وصلنا إلى ذلك الجزء من الإستاد حيث كانت مقاعد من الحجارة على الجانبين، ذهب أصدقاء تريفون الآخرون للجلوس على الجانب الآخر، وقال أحدهم تعليقًا على الحرب الجارية في اليهودية فراحوا يتحدثون عنها.

الفصل العاشر

وبعد أن انتهوا من حديثهم، ابتدأتُ أحدِّثهم ثانيةً: "يا أصدقائي، هل لديكم أي اتهام ضدنا سوى أننا لا نحفظ الناموس ولا نختتن كما فعل أجدادكم ولا نحفظ السبوت كما تفعلون؟ وهل أنتم تدينون عاداتنا وأخلاقياتنا؟ هذا ما أقوله لكم، لئلا تصدِّقوا أنتم أيضًا أننا نأكل لحم البشر وبعد احتفالاتنا نطفئ الأنوار لننغمس في الفجور والدنس[١٩]. أم أنكم تدينوننا فقط بسبب إيماننا بتعاليم وآراء أنتم تعتبرونها خاطئة؟"

أجاب تريفون: "ما نتعجَّب له هو هذا الاتهام الأخير لأن الاتهامات الأخرى التي يثيرها الغوغاء ضدكم لا يمكن أن تُصدَّق لأنها مقززة للطبيعة البشرية. ولكن التعاليم في ما تسمُّونه الإنجيل هي عظيمة وعجيبة لدرجة أنني أشك أن يقدر أحد أن ينفذها. فقد أخذت على عاتقي أن أقرأها. ولكن ما أدهشني جدًّا هو أنكم أنتم الذين تدَّعون التقوى وتعتقدون أنكم مختلفون عن غيركم لا تعزلون أنفسكم عنهم وطريقة حياتكم لا تختلف عن الأمم، ولا تحفظون الأعياد ولا السبوت، ولا تمارسون طقس الختان. وأيضًا أنتم تضعون رجاءكم في رجل مصلوب وما زلتم تنتظرون بركات من الله بالرغم من أنكم تخالفون وصاياه. أما قرأتم أن الطفل الذكر الذي لا يختتن في اليوم

[١٩] انظر الدفاع الأول، فصل ٢٦، حاشية ١٠٣.

الثامن يُقطَع من شعبه[٢٠]؟ هذه الوصية كانت للغريب والعبد على حد سواء. ولكنكم تزدرون بهذه الوصية كما تحتقرون الوصايا الأخرى التي جاءت بعدها ثم تحاولون إقناعنا أنكم تعرفون الله، في حين لا تعملون تلك الأشياء التي يعملها كل إنسان يخاف الله. إذا استطعت أن تعطي أجابة مُرْضِيَة لتردَّ على هذه الاتهامات وترينا أين تضع رجاءك فسوف نستمع لك عن طيب خاطر برغم رفضك العمل بالناموس وبعد ذلك ننتقل لفحص اختلافاتنا الأخرى بالطريقة نفسها."

الفصل الحادي عشر

قلت له: "يا تريفون، لم يكن أبدًا منذ الأزل، ولن يكون أي إله آخر غير الله الذي خَلَقَ وشكَّل هذا الكون. ثم أننا لا ندَّعي أن إلهنا يختلف عن إلهكم، لأنه هو الله الذي بيد قويَّة وذراع رفيعة أخرج أجدادكم من أرض مصر. ونحن لا نتكل على آخر سواه ـ لأنه بالحقيقة لا يوجد آخر سواه ـ وهو الذي كان اتكالكم عليه، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، غير أن رجاءنا ليس بموسى أو الناموس وإلّا صارت عاداتنا كعاداتكم. وقد قرأت أنه ينبغي أن يكون هناك ناموس حاسم وعهد ملزم أكثر من العهود الأخرى، يحترمه جميع الذين يسعون إلى ميراث الله. فإن الناموس الذي أُعطِيَ على جبل حوريب قد أُبطِل وكان المقصود به اليهود فقط. بينما الناموس الذي أتحدَّث أنا عنه هو ببساطة لجميع الناس. وكما أن أي قانون جديد إذا تعارض مع قانون القديم فهو يُبطِل القديم، فهكذا أيضًا العهد الجديد يَحِل محل القديم. لقد أُعطينا ناموسًا أبديًّا كاملًا، وهو المسيح ذاته، وأخذنا عهدًا جديرًا بالثقة لن يكون بعده أي ناموس

[٢٠] تكوين ١٧: ١٤.

أو فريضة أو وصية. أما قرأتم كلمات إشعيا: "أنصتوا إليَّ، أنصتوا إليَّ يا شعبي وأصغوا إليَّ أيها الملوك، لأن شريعة تخرج من عندي، وقضائي نور للأمم. سريعًا يقترب بِرِّي ويظهر خلاصي. وعلى ذراعي تتكل الأمم" (إش٥١: ٤، ٥)[٢١]. أما بخصوص هذا العهد الجديد، فيقول الرب لإرميا "هوذا تأتي أيام يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، غير العهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أخذت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر" (إر٣١: ٣١، ٣٢). وعلى ذلك، إذا كان الله قد تنبأ بأنه سيقطع عهدًا جديدًا ليكون نورًا للأمم ونحن نرى ونثق أنه باسم يسوع المسيح المصلوب أتى أناس إلى الله تاركين وراءهم الوثنية والممارسات الخاطئة وحفظوا الإيمان وساروا في التقوى حتى الموت، فيستطيع كل أحد أن يرى بوضوح من هذه الأعمال ومن المعجزات القوية أن المسيح هو بالحقيقة الناموس الجديد والعهد الجديد ورجاء هؤلاء الذين من كل أُمة ينتظرون بركات الله. نحن وصلنا إلى الله من خلال هذا المسيح المصلوب ونحن إسرائيل الروحي الحقيقي أبناء اليهودية ويعقوب وإسحق وإبراهيم الذي قبِلَه الله وباركه مع أنه غير مختتن وذلك لأجل إيمانه، وقد دُعي أبًا لأمم كثيرة. وسأثبت لكم كل هذا في معرض حديثنا."

الفصل الثاني عشر

"كما أنني ذكرت أيضًا هذه الفقرة من إشعيا "اسمعوا كلامي فتحيا نفوسكم وسأقطع لكم عهدًا أبديًّا، مراحم داود الصادقة. هوذا قد جعلته شاهدًا للأمم. وأمم لم تعرفك تدعوك، وشعوب لم تعرفك تركض إليك من أجل إلهك قدوس إسرائيل لأنه قد مجدك" (إش ٥٥: ٣ - ٥).

---

[٢١] راجع الدفاع الأول، فصل ٣١، حاشية ١١٤.

وكنبع مياه أو أرض لا تنقطع مياهها" (إش ٥٨: ١ - ١٢). إذن بالأحرى اختنوا غرلة قلوبكم كما يطالبكم الله في الكلمات السابقة."

الفصل السادس عشر

"وقد قال الله ذاته بفم موسى "واختنوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم بعد، لأن الرب إلهكم هو رب الأرباب الإله العظيم القوي المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة" (تث ١٠: ١٦ - ١٧). وأيضًا مكتوب في سفر اللاويين: "لأنهم عصوني وتجاهلوني وسلكوا أمامي معوَجين سلكت معهم باعوجاج وسأهلكهم في أرض أعدائهم فحينئذ يخزى قلبهم غير المختون" (لا ٢٦: ٤٠ -٤١). فإن عادة ختان اللحم التي سلَّمها لكم إبراهيم كانت قد أعطيت لكم كعلامة مميزة تفرزكم عن بقيه الأمم وعنا نحن المسيحيين لكي تقاسوا وحدكم الضيقات التي تواجهونها بعدل الآن؛ إذ قد صارت أرضكم خربة ومدنكم أحرقت بالنار وثمار أرضكم يأكلها الغرباء أمام عيونكم ولا يُسمَح لأحد منكم دخول مدينتكم أورشليم[٢٧]. إن ختان الغرلة يُعتَبر العلامة الوحيدة التي تميزكم عن باقي الناس ولا أعتقد أن أحدًا منكم يجرؤ أن ينكر أن الله له سابق العلم بأحداث المستقبل وأنه لا يُعِد مسبقًا ما يستحقه كل إنسان. إذن، فإن الضيقات المذكورة آنفًا وقعت عليكم بعدل لأنكم قتلتم البار [أي المسيح] وأنبياءه من قَبلِه والآن تزدرون بهؤلاء الذين وضعوا رجاءهم فيه وفي [الآب] ضابط الكل خالق كل الأشياء الذي أرسله. كما أنكم تعملون بكل قوتكم على إهانة كل الذين يؤمنون بالمسيح

[٢٧] يعتبر القديس يوستينوس أن ختان اليهود هو عقاب إلهي؛ إذ بعدما حاصر هادريان أورشليم ودخلها في عام ١٣٥ م ، أصدر مرسومًا بمنع أي يهودي من دخول المدينة. لذا لم يستطِع أي شخص مختتن أن يدخل المدينة. ويقول ترتليان أن بيت لحم كانت مذكورة في قرار منع الدخول أيضًا.

وتلعنونهم في معابدكم[٢٨] وأنتم الآن لا تقدرون أن تستخدموا العنف ضدنا نحن المسيحيين بسبب الحكام الحاليين ولكنكم فيما مضى استخدمتم القوة ضدنا كلما استطعتم. ولهذا السبب يصرخ الله بفم إشعيا قائلًا لكم: "انظروا كيف باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه فإنه من وجه الشر يُضَم الصديق. ويكون دفنه في سلام؛ إذ رُفِع من الوسط. أما أنتم فتقدموا إلى هنا أيها الأبناء الأثمة نسل الفسقة وأبناء الزانية. بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان؟" (إش ٥٧: ١ - ٤)."

الفصل السابع عشر

"إن الأمم الأخرى لم تعامل المسيح ولم تعاملنا نحن أتباعه بمثل ما تعاملوننا به أنتم أيها اليهود من ظلم. فأنتم تحرِّضون الأمم وتدفعونهم إلى رأي شرير من ناحية الرب البار ومن ناحيتنا نحن تلاميذه. لأنكم بعد أن صلبتم الوحيد البار الذي بلا خطية والذي بآلامه يُشفى كل مَن يأتي إلى الآب بواسطته وبعد أن أدركتم أنه قام من بين الأموات وصعد إلى السماوات كما تنبأ الأنبياء لم تتوبوا عن أعمالكم الشريرة بل أرسلتم بعض الرجال المختارين من أورشليم إلى كل أمة[٢٩] ليدَّعوا أن ما ينادي به المسيحيون هو هرطقة وتلك الإشاعات المغرضة ضدنا يرددها مَن لا يعلمون عنا شيئًا. ولذا، فإن اللوم يقع عليكم ليس فقط بسبب ظلمكم بل أيضًا بسبب ظلم الآخرين جميعًا. وبحق يصرخ إشعيا قائلاً: "بسببكم يُجدَّف على اسمي بين الأمم" (إش ٥٢: ٥). وأيضًا: "ويل لنفسهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم قائلين: فلنُقيِّد البار فإنه ثقيل علينا

---

[٢٨] كانت هناك عادة عند اليهود أن يلعنوا المسيحيين ثلاث مرات كل يوم وقد شهد بهذا كل من القديس إبيفانيوس، انظر: *Haer.* 1.9 والقديس جيروم، انظر: *In Isaiam* 52.5

[٢٩] هذا مذكور في يوسابيوس *Hist. eccl.* 4.18

فالآن يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير فإن الشرور تأتيه بحسب عمل يديه" (إش ٣: ٩ - ١١). وأيضًا "ويل لمن يجذبون خطاياهم كما بحبل طويل وآثامهم كأنما برُبط نير العجلة، القائلين ليقترب بسرعة وليأت مقصد قدوس إسرائيل لنعلم. ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًّا الجاعلين النور ظلامًا والظلام نورًا. الجاعلين المر حلوًا والحلو مرًّا" (إش ٥: ١٨ - ٢٠). هكذا، لم تضنوا بجهدكم في نشر اتهامات ظالمة وشريرة ومُرَّة في كل مكان ضد الوحيد الذي بلا لوم أي نور البر المُرسَل إلى الناس من الله. فقد كان كلامه ثقيلًا عليكم حين قال: "مكتوب بيتي بيت صلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١: ١٣). وقلب موائد الصيارفة في الهيكل صارخًا: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث ولم تفكروا في محبة الله والعدل، لأنكم تشبهون قبورًا مُبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهي من الداخل مملوءة عظام أموات"[٢٠]. وقال للكتبة: "ويل لكم أيها الكتبة لأنكم أخذتم مفاتيح المعرفة وما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم أيها القادة العميان" (لو ١١: ٥٢).

الفصل الثامن عشر

"وبما أنك، يا تريفون، تعترف بأنك قرأت تعاليم مخلِّصنا، فلا مانع من أن أضيف بعضًا من أقواله إلى ما قاله الأنبياء: "اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا الشرور من نفوسكم" (إش ١: ١٦). هكذا يأمركم الله أن تغتسلوا في هذا الجرن وتختتنوا الختان الحقيقي. ونحن أيضًا من الممكن أن نمارس ختان الغرلة ونحفظ السبت وكل أعيادكم لو لم نكن على علم بالسبب الذي من أجله فُرِضَت هذه عليكم ألا وهو خطاياكم وقساوة قلوبكم. وإن كنا نحتمل بصبر كل

[٢٠] انظر مت ٢٣: ٢٣، ٢٧ ؛ لو ١١: ١٣.

خلال داود أنه سيقيمه كاهنًا إلى الأبد "على طقس ملكي صادق" (مز ١١٠: ٤). إذن، فالختان ضروري لكم أنتم فقط أيها اليهود لكي "لا يكون شعبكم شعبًا ولا أمتكم أمةً" كما يقول هوشع[٣١] أحد الاثني عشر نبيًا. وكل هؤلاء الرجال كانوا أبرارًا في عيني الرب مع أنهم لم يحفظوا السبوت. وهذا أيضًا يمكن أن يُقال عن إبراهيم ونسله حتى زمن موسى عندما أظهر الشعب شرَّه وعصيانه أمام الله عندما صنعوا صنمًا في البرية على شكل عجل من ذهب. وحينئذ طبَّق الله ناموسه على هذا الشعب الضعيف وأمَرَكم أن تُقدِّموا ذبائح لاسمه لكي ينقذكم من عبادتكم للأصنام، ولم تطيعوا بل وقدَّمتم أطفالكم ذبائح للشيطان. ومن جهة أخرى، فرض الله عليكم حفظ السبت ليدرِّبكم على أن تذكروا الله فقال "لتعلموا أني أنا الله مخلصكم" (حز ٢٠: ٢٠)."

الفصل العشرون

"وقد حرَّم الله عليكم أكل بعض أنواع اللحوم، كي تضعوا الله نُصب أعينكم دائما عندما تأكلون وتشربون، لأنكم في الأصل تميلون إلى نسيانه كما يشهد موسى بذلك: "أكل الشعب وشرب ثم قاموا للعب" (خر ٣٢: ٦). وأيضًا: "أكل يعقوب وشبع وسمن والحبيب رفس. سمن وغلظ واكتسب شحمًا. وترك الإله الذي عمله" (تث ٣٢: ١٥). وقد علَّمكم موسى النبي في سفر التكوين أن الله سمح لنوح البار بأن يأكل من كل أنواع اللحوم ما عدا اللحم المخلوط بدم الحيوان المخنوق."

وبينما كان تريفون على وشك أن يقول: "إنه قد دُفِع إلينا كل هذا كالعشب الأخضر" (تك ٩: ٣) قاطعته قائلًا: "لماذا لا تفسرون

---

[٣١] انظر هوشع ١ ، ٢.

ولسانك اخترع غشًّا. جلستَ وتكلمتَ على أخيك. لابن أمك وضعت معثرة. أنت صنعتَ هذه وأنا سكتُّ. فظننتَ بشرِّك أنني مثلك. أوبخك وأضع خطاياك أمامك. افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا يفترسكم ولا يكون منقذ. ذبيحة التسبيح تمجدني وهوذا الطريق الذي سأريه به خلاصي" (مز ٤٩: ١ - ٢٣)[٣٢]. فذبائحكم إذن ليست مقبولة أمام الله وهو لم يأمركم بتقديمها بسبب احتياجه لها بل بسبب خطاياكم. والشيء ذاته يقال عن الهيكل الذي في أورشليم فقد دعاه الله بيته ليس لأنه في حاجة إلى بيت أو مسكن، بل لأنه أراد أن تجتمعوا معه في هذا المكان فتكفوا عن عبادة الأصنام. وهذا ما دل عليه قول إشعيا: "أي بيت تبنون لي يقول الرب؟ السماوات لي كرسي والأرض موطئ قدميَّ" (إش ٦٦: ١)."

الفصل الثالث والعشرون

"إذا لم نقبل هذه الحقيقة فإننا سنقع في أفكار غريبة؛ إما أن إلهنا ليس هو نفسه الإله الكائن أيام أخنوخ وكل الآخرين الذين لم يختتنوا في اللحم ولم يحفظوا السبوت وكل الطقوس الأخرى التي أمر بها موسى لأنها جاءت في وقت لاحق، وإما أن الله لا يريد لكل جنس البشر على مر العصور أن يصنعوا نفس أعمال البر. وهذان الافتراضان كلاهما سخيف ومناف للعقل. ونحن نرى أن الله أمر بهذه الأشياء وما يماثلها لأجل الخطاة وهو كما هو دائمًا لا يتغيَّر وهو رؤوف وعالم بكل شيء وغير محتاج لشيء وعادل وصالح أيضًا. أيها السادة إن كنت مخطئًا دعوني أسمع آراءكم في هذا الموضوع."

وعندما لم أتلق أي رد استطردت قائلًا: "اسمحوا لي إذن أن أكرر لك يا تريفون ولهؤلاء الذين يريدون التحوُّل إلى المسيحية، التعليم

[٣٢] هذا هو المزمور رقم ٤٩ بحسب نص السبعينية ويقابله مزمور رقم ٥٠ في النص العبري الماسوري وهو النص الذي أخذت عنه الترجمة البيروتية المتداولة.

السمائي الذي أخذته من هذا الرجل العجوز[٣٣]. أ لا ترون أن عناصر الطبيعة لا تتوقف عن الحركة وهي بذلك لا تحفظ السبت؟ فابقوا كما كنتم عند مولدكم. لأنه إن لم تكن هناك حاجة للختان قبل أيام إبراهيم ولا للسبوت والأعياد والذبائح قبل موسى، فكذلك الآن [لا يوجد احتياج] لأنه حسب مشيئة الله وُلِد ابنه يسوع المسيح من العذراء مريم التي من نسل إبراهيم. ومع أن إبراهيم ذاته "كان في الغرلة" (رو ٤ :١١) نجد أن الله بـره وباركه لأجل إيمانه به كما توضح لنا الكتب المقدسة. كما تخبرنا الكتب أن إبراهيم أخذ الختان كعلامة وليس من أجل التبرير ولذا قيل عن شعبكم: "وأما الذي لا يُختن في لحم غرلته في اليوم الثامن فتقطع تلك النفس من شعبها" (تك ١٧: ١٤). وبما أنه لا يجوز ختان الإناث فهذا يبيِّن أن الختان أُعطي كعلامة وليس للتبرير لأن الله أنعم على النساء أيضًا أن يقمن بأعمال صالحة وفاضلة. ومن الواضح أن التكوين الجسدي للذكر يختلف عن التكوين الجسدي للأنثى، ومن الواضح أيضًا أن الشكل الجسدي لا يجعل أيًّا منهما صالحًا أو شريرًا لأن الإنسان يُحكَم عليه بحسب تقواه وصلاحه."

الفصل الرابع والعشرون

"والآن أيها السادة نستطيع أن نرى أن الله قد أعلمنا من خلال هذه الطقوس كيف أن اليوم الثامن له معنى سري أكثر من اليوم السابع ولكن لئلا أبدو الآن كأنني أبعد عن الموضوع افهموا ما أقوله: إن دم الختان قد أُبطِل؛ إذ إننا نؤمن الآن بدم الخلاص وبأن عهدًا آخر وناموسًا جديدًا قد خرج الآن من صهيون. وكما كان الأمر قديمًا،

---

[٣٣] يقصد الرجل العجوز الذي تكلم مع ق. يوستينوس عند شاطئ البحر. راجع الحوار مع تريفون، فصل ٣.

ليتك تشق السماوات فترتعد الجبال أمامك. ويذوب أعداؤك كما يذوب الشمع أمام النار وتحرقهم النار فيعرف أعداؤك اسمك وترتعد الأمم أمامك. حين تصنع العظائم ترتعد الجبال أمامك. منذ الأزل لم نسمع ولم تر أعيننا إلهًا غيرك يصنع كأعمالك لمنتظري رحمتك. هذه تُلاقي الصانعي البر الذين يذكرون طرقك. ها أنت سخطت إذ أخطأنا، لهذا ضللنا وصرنا كلنا نجسين وكثوب عدة كل برنا وقد ذبلنا كورقة بسبب آثامنا وهكذا تحملنا الريح. ليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسك لأنك حوَّلت وجهك عنا وردلتنا لأجل خطايانا والآن عُد يا رب لأننا شعبك كلنا. مدينة قدسك صارت قفرًا، صهيون صارت كقفر، أورشليم صارت لعنة. بيت مقدسنا ومجدنا الذي باركه آباؤنا صار محروقًا بالنار وكل أمجاده سقطت وأنت يا رب تجلَّدتَ وسكتَّ على هذه الأمور وأذللتنا جدًّا" (إش ٦٣: ١٥ - ١٩ ؛ ٦٤: ١ - ١٢).“

فقال تريفون: ”ما هذا الذي تقول، أ لن يرث أحد منَّا ـ نحن اليهود ـ شيئًا على جبل الله المقدس؟“

الفصل السادس والعشرون

أجبت: ”لم أقل هذا، ولكنني أقول إن الذين اضطهدوا المسيح في الماضي وما زالوا يفعلون ذلك ولا يتوبون، هؤلاء لن يرثوا شيئًا على الجبل المقدس ما لم يتوبوا، في حين أن الأمم الذين يؤمنون بالمسيح ويندمون على خطاياهم سوف يرثون مع الآباء والأنبياء وكل الأبرار من نسل يعقوب حتى لو لم يختتنوا ولم يحفظوا السبوت والأعياد. فبلا شك سوف يشاركون في ميراث الله المقدس كما يقول لنا الله بفم إشعيا: "أنا الرب إلهك قد دعوتك بالبر فأُمسك بيدك وأقويك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العميان

الفصل الثامن والعشرون

ثم قال تريفون: "لقد استمعنا إليك بانتباه عندما طرحت سؤالك عن حفظ السبت، والحقيقة أنه سؤال جدير بالانتباه لكن لا يروق لي، ولا لكثيرين غيري، أن نقول إن حفظ السبت هذا يرضي الله. لأن هذا هو الرد الماكر المألوف الذي يُقدِّمه مَن لا يقدر أن يجيب عن السؤال."

قلت: "بما أن كلامي ومقترحاتي تقوم على أساس الكتب المقدَّسة والحقيقة الواقعة فينبغي أن تصدقوني بلا تردد على الرغم من أنني غير مختون لأن الوقت أمامكم قصير لتصيروا مسيحيين. وإن جاءنا المسيح ثانية قبل أن تؤمنوا فستبكون وتتوبون بلا جدوى لأنه حينئذ لن يلتفت إليكم. قد صرخ إرميا للشعب قائلًا: "احرثوا لأنفسكم حرثًا ولا تزرعوا في الأشواك. اختتنوا للرب واختنوا غرلة قلبكم" (إر ٤: ٣ - ٤). إذن لا تزرعوا في وسط الأشواك وفي تربة غير صالحة للحرث لأنكم لن تجنوا منها أي ثمر. اعترفوا بالمسيح وحينئذ تصير قلوبكم أرضًا غنية وخصبة "ها أيام تأتي يقول الرب وأعاقب كل المختونين في غرلتهم، مصر ويهوذا وأدوم وموآب ... لأن كل الأمم غُلف وكل بيت إسرائيل غلف القلوب" (إر ٩: ٢٥ - ٢٦). أ لا ترون أن الله لا يريد هذا الختان الذي أُعطي كعلامة لأنه بلا فائدة للمصريين والموآبيين والأدوميين. وإن كان سكيثي أو فارسي يعرف الله ومسيحَهُ ويحفظ وصايا البرِ الأبدية ومختون بالختان الوحيد الصالح والمفيد فهو مرضي أمام الله وتقدماته مقبولة. وفي هذا الصدد، اسمحوا لي أيها الأصدقاء أن استشهد بالكلمات التي تكلّم بها الله بفم ملاخي أحد الاثني عشر، إذ يقول: "ليست لي مسرة بكم يقول الرب ولا أقبل ذبائحكم من أيديكم لأنه من مشرق الشمس

إلى مغاربها قد تعظم اسمي في الأمم وفي كل مكان تُقدَّم ذبيحة لاسمي وهي طاهرة لأنها تكرم اسمي في الأمم يقول الرب أما أنتم فقد نجستموه" (ملا ١: ١٠ - ١٢). ويقول الله بفم داود: "شعب لم أعرفه تعبد لي، من سماع الأذن سمع لي[٣٦]." "

الفصل التاسع والعشرون

"هيَّا نجتمع معًا أيتها الأمم ونمجِّد الله لأنه تفضَّل ونظر إلينا. ولنمجِّده من خلال ملك المجد و رب الجنود لأنه أظهر لنا نحن الأمم أيضًا إحسانه وهو يستحسن ذبائحنا عن ذبائحكم. فما حاجتي للختان إذا كان الله قد شهد لي؟ وما حاجة من تعمد بالروح القدس إلى اغتسالكم؟ وأنا واثق تمامًا أنني أستطيع إقناع حتى ضعاف العقول لأن الكلمات التي أستخدمها ليست كلماتي أنا ولا هي مُنمَّقة بالبلاغة ولكنها هي كلمات داود كما ترنَّم بها وكما أعلنها إشعيا كبشارة سارة وكما صرح بها زكريا وكتبها موسى. أ لست ملمًّا بها، يا تريفون؟ من الواجب أن تكون ملمًّا بها لأنها موجودة في كتبكم المقدَّسة بل هي كتبنا وليست كتبكم لأننا نؤمن بها ونطيعها، في حين تقرأونها أنتم ولا تفهمون الروح الذي كتبت به، فلا يجب أن تغضبوا علينا أو تلومونا لأننا غير مختونين في الجسد لأن الله خلقنا هكذا. ولا يجب أيضًا أن تعتبروا أن شرب الماء الساخن[٣٧] في يوم السبت شيئًا بغيضًا لأن الله لا يتوقف عن إدارة حركة الكون في هذا اليوم بل يستمر في إدارته كما يفعل في الأيام الأخرى. وأيضًا هناك أناس أبرار يرضى الله عنهم مع أنهم لم يصنعوا قط أي طقس من طقوسكم الناموسية."

---

[٣٦] مز ١٧: ٤٤، ٤٥ س (في البيروتية مز ١٨: ٤٣، ٤٤).

[٣٧] لم يكن مسموحا لليهود بإشعال النار (خر ٣٥: ٣) ولا بطهي الطعام في السبوت (خر ١٦: ٢٣). ولكن منذ قديم العصور كان من المعتاد أن يأتي أممي ويشعل لهم النار في السبت.

الفصل الثلاثون

"قد يقوم الجهلاء أحيانا باتهام الله باطلاً بأنه لم يعط التعاليم الصادقة نفسها للجميع، ولكن السبب في هذا هو خطاياكم. وكثيرون يعتبرون هذه التعاليم بلا معنى وليست صادرة من الله وذلك لأنهم لم يستنيروا بالنعمة فلم يفهموا أن الروح القدس قد دعا - بهذه التعاليم عينها - شعبكم الغارق في الخطية والأمراض الروحية إلى التوبة والإيمان بالمسيح، كما لم يفهموا أن النبوءة التي أعطيت لبني البشر بعد موت موسى هي نبوءة أبدية. وهذا مذكور بالفعل في المزمور[٣٨] أيها السادة. ونحن الذين استنرنا بهذه التعاليم نعتبرها "أحلى من العسل والشهد"[٣٩]. والدليل على ذلك أننا لا ننكر اسمه حتى تحت تهديد الموت. ونطلب إليه نحن المؤمنون به أن يحفظنا من "الغرباء" أي الأرواح الشريرة المُضِلَّة كما تشير كلمات النبوءة بشكل رمزي وكأنها بفم أحد المؤمنين بالمسيح. ونحن نطلب من الله على الدوام بيسوع المسيح أن يحمينا من هؤلاء الشياطين الغرباء عن تقوى الله - الذين كنا نتعبد لهم في القِدَم - لكي نكون بلا لوم بعد أن رجعنا إلى الله بواسطة المسيح الذي ندعوه معيننا وفادينا الذي ترتعد الشياطين من قوة اسمه واليوم يخضعون عندما نخرجهم وننتهرهم باسم يسوع المسيح الذي صُلِب في عهد بيلاطس البنطي والي اليهودية. وهكذا يتضح للجميع أن أباه أعطاه قوة عظيمة حتى إن الشياطين تخضع باسمه وبعلامة آلامه[٤٠]."

---

[٣٨] يقصد المزمور ١٨ في السبعينية الذي يقابله مزمور ١٩ في النص العبري الماسوري.

[٣٩] مز ١٨: ١١ س (في البيروتية مز ١٩: ١٠).

[٤٠] يقصد الصليب الذي هو علامة تدبير الفداء الذي كَمُل بآلام المسيح.

أقام حربًا مع القديسين فغلبهم حتى جاء قديم الأيام وأعطى الحُكم لقديسي العلي وبلغ الوقت فامتلك قديسو العلي المملكة. فقيل لي عن الحيوان الرابع: ستكون مملكة رابعة على الأرض تفوق سائر هذه الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر يفوق الأولين في الشرور ويذل ثلاثة ملوك. ويتكلَّم بكلام ضد العلي ويُبلي قديسي العلي ويظن أنه يغير الأوقات والناموس ويُسلَّمون ليديه إلى زمان وأزمنة ونصف زمان فيجلس القضاء وينزعون عنه سلطانه ليفنوه ويبيدوه إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة كل ما تحت السماء أُعطيَت لشعب قديسي العلي ليتملكه مُلكًا أبديًّا وجميع السلاطين يخضعون له ويطيعونه. إلى هنا نهاية الأمر. أما أنا دانيال فأخذتني الرعدة جدًا وتغيرت عليَّ هيئتي وحفظت الأمر في قلبي" (دا ٧: ٩ - ٢٨)."

الفصل الثاني والثلاثون

وعندما توقفت قال تريفون معترضًا: "إن الفقرات التي تستشهد بها من الكتاب المقدس تثبت أننا ينبغي أن نتطلَّع إلى هذا المسيا العظيم والمُمجَّد الذي كابن الإنسان يأخذ الملكوت الأبدي من قديم الأيام أما مسيحكم المزعوم هذا فكان بلا مجد ولا كرامة لدرجة أنه وقعت عليه أشد لعنة في ناموس الله، أي أنه صُلِب على الصليب."

فأجبت على الفور قائلاً: "أيها السادة، إن لم أكن قد شرحت لكم من الفقرات المذكورة من الكتاب المقدس أن ظهور المسيح كان بلا مجد، وميلاده لا يُوصَف، وأن بموته يتكبَّد الأغنياء الموت وبآلامه نحن شُفِينا وكحَمَل يُساق إلى الذبح، وإن كنت لم أوضح لكم إنه هناك مجيئين للمسيح؛ الأول الذي طُعن منكم فيه، والثاني الذي فيه "سوف تنظرون إلى الذي طعنتموه وتنوح عشائركم،

الفصل الرابع والثلاثون

"ولأظهر لكم جهلكم بالكتب المقدسة، سأشير إلى مزمور آخر قاله الروح القدس بواسطة داود وأنتم ترون خطأ أنه يشير إلى سليمان ملككم في حين أنه يشير إلى مسيحنا، ولكنكم تُضِلون أنفسكم بتفسيركم الخاطئ للعبارات التي قد تحمل أكثر من معنى. فعندما يقال إن "ناموس الرب بلا عيب[٤٧]"، أنتم لا تفهمون أن هذا ينطبق على الناموس المزمع أن يأتي بعد موسى بل تعتقدون أنه ينطبق على [ناموس] موسى ذاته، مع أن الله نفسه وعد بناموس جديد وعهد جديد. وعندما يقول المزمور: "يا الله أعطِ أحكامك للملك[٤٨]"، تدَّعون أنتم أنها تشير إلى الملك سليمان لأنه كان هو الملك في ذلك الوقت بينما تشير الكلمات بوضوح إلى الملك الأبدي أي المسيح. وسأُثبِت لكم من جميع الكتب المقدسة أن المسيح يُشار إليه كملك وكاهن وإله و رب وملاك وإنسان وقائد وصخرة وطفل مولود تحمَّل الآلام ثم صعد إلى السماء وسيعود بمجد ويكون له ملكوت أبدي. ولتفهموا ما أقول سأستشهد بكلمات المزمور القائل: "يا الله أعطِ أحكامك للملك و برَّك لابن الملك ليحكم شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام بِرًّا. يقضي لفقراء الشعب ويُخلِّص أبناء البائسين ويسحق الظالم. يدوم كالشمس وقدام القمر إلى جيل الأجيال. ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيث الذارف على الأرض. يشرق في أيامه البر، وكثرة السلام إلى أن يزول القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. يسقط أمامه الإثيوبيون وأعداؤه يلحسون التراب.

---

[٤٧] مز ١٨: ٧ (في البيروتية مز ١٩: ٧).
[٤٨] مز ٧١: ١ (في البيروتية مز ٧٢: ١).

ملوك ترشيش والجزائر يقدمون تقدمات. ملوك العرب وسبأ يقدمون تقدمات. ويسجد له كل ملوك الأرض وكل الأمم تتعبد له لأنه نجَّى الفقير من الجبار والمسكين الذي لا معين له. يرحم الفقير والمسكين ويُخلِّص أنفس المساكين. ومن الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويُكرم اسمه أمامهم. ويعيش ويُعطَى من ذهب العربية. ويُصلّون لأجله دائمًا. اليوم كله يباركونه. وتكون معونة في الأرض على أعالي الجبال. تعلو على لبنان ثمرته ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. يكون اسمه مباركًا إلى الدهر ويدوم أكثر من الشمس وتتبارك فيه كل قبائل الأرض. كل الأمم يطوبونه. مبارك الرب إله إسرائيل الصانع العجائب وحده ومبارك اسم مجده إلى الدهر وإلى دهر الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين آمين[٤٩]". وفي ختام المزمور مكتوب: "تمت مزامير داود بن يسى".

ونحن جميعًا نعلم أن سليمان كان ملكًا عظيمًا وهو الذي بُني في عهده هيكل أورشليم، ولكن من الواضح أنه لم يحدث لسليمان أي من الأشياء التي قيلت في هذا المزمور، فلم تتعبد له كل الملوك ولم يمتد سلطانه إلى أقاصي الأرض كما أن أعداءه لم يسقطوا أمامه ويلحسوا التراب. وإنني لا أتردد في الاستشهاد بما جاء في سفر الملوك حيث مكتوب أن سليمان عبد الأوثان في صيدون[٥٠] من أجل امرأة. وعلى عكس ذلك، فإن الأمم التي تعرف الله خالق العالم من خلال يسوع المصلوب يفضلون احتمال الآلام والعذابات وحتى الموت على عبادة الأصنام أو أكل ما ذبح للأصنام.

---

[٤٩] مز ٧١: ١ - ٢١ س (في البيروتية مز ٧٢: ١- ٢١).

[٥٠] لم يذكر سفرا الملوك هذه المعلومة، بالرغم من أنها قد تكون حدثت بالفعل. ويعتقد البعض أن كلمة "في صيدون" كانت موجودة كحاشية ولكن أحد النساخ أدخلها في النص فيما بعد. وربما يشير ق. يوستينوس إلى الآلهة التي عبدها سليمان في زمان شيخوخته؛ إذ يقول الكتاب في ١مل ١١ :٥ "فذهب سليمان وراء عشتاروث إلهة الصيدونيين".

في قلوبهم ومع هذا يُسمون أنفسهم مسيحيين مثلما ينقش الأمم اسم الله على تماثيلهم ثم ينغمسون في كل نوع من أنواع الطقوس الإلحادية الشريرة. ومن بين هؤلاء الهراطقة الماركيونيون[٥٥] والفالنتيون والباسيليديون والساترنيليون وغيرهم ممن يُدعَون بأسماء أخرى بحسب اسم مؤسس كل تعليم. إذ، كما ذكرت في بداية المناقشة أن كُلًّا منهم يعتبر نفسه فيلسوفًا يحمل اسم الفلسفة التي يتبعها وفقًا لمؤسس هذه الفلسفة. ومن هذه الأحداث نحن نُقِر، كما قلت، بأن يسوع كان يعلم مسبقًا بما سيحدث له، كما تنبأ أيضًا بأحداث أخرى كثيرة ستحدث لمن يؤمن ويعترف بأنه هو المسيح، وقد تنبأ حتى بالآلام التي لا بد أن نتحملها من أهل بيتنا عندما يسلموننا إلى الموت. وبالتالي، فنحن لا نجد أي عيب لا في كلامه ولا في أعماله. ولهذا نحن نصلي لأجلكم ولأي أحد يكرهنا لكي تتوبوا معنا وتكفوا عن التجديف على يسوع المسيح الذي هو بلا لوم في كل أعماله وفي المعجزات التي تُجرى حتى الآن باسمه وفي تعاليمه والنبوءات التي جاءت بشأنه. نحن نصلي أيضًا لكي تؤمنوا بيسوع المسيح حتى إذا جاء منتصرًا في مجيئه الثاني يخلصكم ولا يدينكم ويسلمكم لنار جهنم."

الفصل السادس والثلاثون

ثم قال تريفون: "قد يكون الأمر كما تقول، أي أن الأنبياء قد تنبأوا بأن المسيح سوف يتألم ويُدعى صخرة وأن مجيئه الأول الذي سيظهر فيه متألمًا سيعقبه مجيء آخر في مجد يكون فيه ديَّانًا لكل البشر وكاهنًا وملكًا أبديًّا. ولكن أثبِت لنا أن يسوع هذا هو مَن تنبأ عنه الأنبياء."

---

[٥٥] Μαρκιανοί هنا لا تشير إلى تلاميذ مرقس الغنوسي الفالنتي، بل إلى تلاميذ ماركيون.

فقلت: "كما تريد، يا تريفون، سأقدم الأدلة التي تطلبها في الوقت المناسب. ولكن الآن اسمحوا لي أن أذكر النبوءات التالية التي توضح أن الروح القدس بالمثل دعا المسيح: الله، و رب الجنود، وإله يعقوب. والله نفسه يقول عن مفسريكم أنهم جاهلون[٥٦]، لأنهم يدَّعون أن هذه النبوءات لا تشير إلى المسيح بل إلى سليمان عندما نقل تابوت العهد إلى الهيكل الذي بناه. وقد قال داود في المزمور: "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها. هو على البحار أسسها وعلى الأنهار هيأها. من يصعد إلى جبل الرب أو من يقوم في موضع قدسه. الطاهر اليدين والنقي القلب الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف لقريبه غشًّا. هذا يأخذ بركة من عند الرب ورحمةً من الله مخلِّصه. هذا هو جيل طالبي الرب، طالبي وجه إله يعقوب. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار في القتال. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد[٥٧]." ومن الواضح أن سليمان ليس رب الجنود. أما مسيحنا فعندما قام من الأموات وصعد إلى السماوات أمر الله الرؤساء السمائيين أن يفتحوا أبواب السماء ليدخل ملك المجد ويجلس عن يمين الآب حتى يضع أعداءه موطئًا لقدميه[٥٨] كما هو مذكور في مزمور آخر. وعندما رأى هؤلاء الرؤساء السمائيون مظهر المسيح بلا جمال أو كرامة أو مجد لم يتعرفوا عليه فسألوا "من هو هذا ملك المجد؟" فأجاب الروح القدس إما باسمه أو باسم الآب قائلًا: "رب الجنود هو ملك المجد" وإنني على يقين أن الكل يعترف بأنه ما كان أحد من حراس أبواب هيكل أورشليم ليجرؤ أن يقول عن

---

[٥٦] انظر إر ٤: ٢٢.

[٥٧] مز ٢٣: ١ - ١٠ س (في البيروتية مز ٢٤: ١ - ١٠).

[٥٨] انظر مز ١٠٩: ١ س (في البيروتية مز ١١٠: ١).

يستنيرون ويأخذون نعمًا من الله حسب استحقاق كل واحد، فواحد يأخذ روح الحكمة وآخر روح المشورة وآخر روح الثبات وآخر روح الشفاء وآخر روح التنبؤ وآخر روح التعليم وآخر روح مخافة الله."

قال تريفون: "أ لا تلاحظ أنك تهذي بقولك هذه الأشياء؟"

قلت: "اسمع، يا هذا، فإنني لست أهذي ولم يجانبني الصواب لأنه قيل أن المسيح بعد صعوده إلى السماء سوف يحررنا من الضلال وينعم لنا بهذه المواهب كما جاء في النبوءة: "صعد إلى العلاء وسبى سبيًا وأعطيت عطايا للناس[٦٤]." والآن بعد أن أخذنا مواهب من المسيح الذي صعد إلى السماء نستطيع أن نبيِّن لكم من النبوءات أنكم أنتم "الحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم" (إش ٥: ٢١) في حقيقة الأمر أغبياء لأنكم تكرِّمون الله ومسيحه بشفاهكم فقط. أما نحن الذين تعلَّمنا الحقيقة كاملة فنكرِّم الله بأعمالنا ومعرفتنا وقلوبنا حتى إلى الموت. والسبب في ترددكم في الاعتراف بأن يسوع هو المسيح - وهي الحقيقة التي تشهد لها الكتب المقدسة والمعجزات التي صارت باسمه - قد يكون رغبتكم في تجنب الاضطهاد العنيف الذي يقوم به المسئولون بإيعاز من الحيَّة - ذلك الروح الشرير الغادر - وهم لن يكفوا عن اضطهاد وقتل الذين يعترفون باسم المسيح حتى يأتي ثانية ليبيدهم جميعًا ويجازي كل واحد كما يستحق."

أجاب تريفون مقاطعًا: "أثبت لنا أن هذا الرجل الذي تدَّعون أنه صُلب وصعد إلى السماء، هو مسيح الله. لقد أثبت لنا بنبوات الكتب المقدسة أن المسيح لا بد أن يتألم وأنه سوف يأتي ثانية في مجد ليملك ملكًا أبديًّا على جميع الأمم وأن كل مملكة سوف تخضع له. ولكن ما نريد أن تثبته لنا هو أن يسوع المسيح هذا هو المسيح الذي تحدَّثْتَ عنه النبوءات."

---

[٦٤] مز ٦٧: ١٩ س (في البيروتية مز ٦٨: ١٨).

الخير وتؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة أمام ملك أشور وتُخلى الأرض التي أنت خائف من ملكَيْها. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال افرايم عن يهوذا أي ملك أشور" (إش ٧: ١٠ - ١٧). وهنا يتضح أنه لم يولد أحد قط أو قيل أنه سيولد من عذراء سوى مسيحنا. وبما أنكم أنتم ومعلِّميكم تقولون بإن كلمات إشعيا الحقيقية لم تكن "هوذا العذراء تحبل" بل "هوذا الشابة تحبل وتلد ابنًا" وإن هذه النبوءة تشير إلى الملك آحاز، فسأحاول أن أشرح وأبيِّن لكم أن هذه النبوءة تنطبق على ذلك الذي نعترف به أنه مسيحنا."

الفصل الرابع والأربعون

"سأحاول أن أقنعكم بكل دليل ممكن لكي أكون بريئًا تمامًا من جهتكم. ولكن إن كنتم مصرِّين على قساوة قلوبكم وضعف عقولكم أو إن رفضتم قبول الحقيقة خوفًا من الموت[١٨] الذي ينتظر كل مسيحي فسوف يقع اللوم عليكم وحدكم. كما أنكم مخطئون إن ظننتم أنكم سوف تشتركون في ميراث البركات التي سيوزعها المسيح حسب وعد الله لمجرَّد أنكم من نسل إبراهيم بالجسد، فلا أحد يستطيع أن يشترك في هذه البركات بأي شكل من الأشكال سوى هؤلاء الذين لهم قوة إيمان إبراهيم والذين يقبلون جميع الأسرار. وأقول إن بعض الوصايا أُعطيت لعبادة الله وممارسة الفضيلة، في حين أُعطيت وصايا وتقاليد أخرى للإشارة إلى سر المسيح أو لقساوة قلوب شعبكم. ولإثبات ذلك يقول الله بفم حزقيال: "إن أرسلت وبأً على تلك الأرض وسكبت غضبي عليها ... وفي وسطها نوح ودانيال وأيوب فحي أنا يقول السيد الرب إنهم لا يخلِّصون ابنًا ولا

[١٨] هذه إشارة إلى عقوبة الموت التي كانت تنتظر كل مسيحي وذلك بسبب كونه فقط مسيحيًا.

ابنة إنما يخلِّصون أنفسهم ببرهم" (حز ١٤: ١٩، ٢٠). و يقول إشعيا النبي نفس الشيء: "ويخرجون ويرون جثث الناس العصاة لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ ويكونون رذالة لكل جسد" (إش ٦٦: ٢٤). وبما أنكم أناس قد نزعتم عن أنفسكم هذا الرجاء، فعليكم أن تعرفوا كيف تنالون غفرانًا لخطاياكم ورجاء المشاركة في البركات الموعودة. ولا يوجد طريق آخر سوى أن تعرفوا المسيح وأن تعتمدوا بالمعمودية التي تطهِّركم من الخطية كما شهد إشعيا النبي وبهذا تعيشون حياة حرَّة من الخطية."

الفصل الخامس والأربعون

وقال تريفون مقاطعًا: "على الرغم من إصرارك على عرض نقاط حديثك بحسب الترتيب الذي سبقتَ وعينته، اسمح لي أن أقاطعك هنا لأطرح عليك سؤالًا في غاية الأهمية."

قلت: "اسألني كما تشاء، ثم بعد انتهاء الأسئلة والإجابات سأواصل حديثي وأحاول تكملته."

قال: "قل لي إذن، هل الذين يعيشون وفقًا لناموس موسى سيحيون مرة أخرى مع يعقوب وأخنوخ ونوح في قيامة الأموات أم لا؟"

قلت: "يا سيدي، عندما ذكرت القول الذي جاء في سفر حزقيال بأن نوح ودانيال وأيوب إذا طلبوا لأجل [خلاص] أبنائهم أو بناتهم فلن يُعطى لهم، بل أن كل واحد سوف يخلص ببره، قلت أيضًا إن الذين يطيعون ناموس موسى سوف يخلصون أيضًا. لأن الوصايا التي في ناموس موسى هي صالحة ومقدسة وعادلة في طبيعتها، وقد كُتبت لأجل من سيطيعونها [أي المسيحيين] كما كُتبَت وصايا أخرى لسبب قساوة قلوب شعب إسرائيل، وقد عمل بهذه الوصايا مَن هم تحت الناموس. وبما أن هؤلاء الذين عملوا الأفعال الصالحة بحسب البديهة

والطبيعة والأبدية هم مُرضيّون لله فهكذا سوف يخلصون في القيامة مع أجدادهم الأبرار نوح وأخنوخ وأيوب وغيرهم ممن يؤمنون بالمسيح ابن الله الكائن قبل كوكب الصبح وقبل القمر، إلّا أنه صار جسدًا ووُلِد من العذراء التي من نسل داود لكي بذلك التدبير يهزم الحيَّة والملائكة الذين سقطوا في الخطية. وفي المجيء الثاني سيُبطِل الموت فلا يعود له قوة على الذين يؤمنون به [أي بالمسيح] ويرضونه وسوف يدان البعض ويعذبون في النار الأبدية، في حين يتحرَّر الآخرون من العذاب والفساد والحزن ويحيَون إلى الأبد."

الفصل السادس والأربعون

ثم استفسر تريفون قائلًا: "ولكن إن أراد البعض أن يعيشوا بحسب شريعة موسى مع أنهم يؤمنون بأن يسوع المصلوب هو مسيح الرب وله أعطي أن يدين كل إنسان بدون إستثناء، فهل سيخلصون أيضًا؟"

قلت: "دعنا نفحص هذا الأمر معًا لترى ما إذا كان من الممكن لأحد الآن أن ينفذ جميع ما جاء في شريعة موسى."

قال: "لا، لأننا ندرك كما قلت إنه من المستحيل أن نقدِّم خروف الفصح في أي مكان آخر، أو أن نقدِّم الماعز المطلوب للصوم أو أيَّة تقدمات أخرى."

فقلت: "إذن أرجوك أن تقل لي بعض الوصايا التي يمكن تنفيذها ومن هنا يمكن أن تقتنع بأن الإنسان حتى إذا لم يكن يمارس أو ينفذ ما تسمونه بالوصايا الأبدية فهو يستطيع بالتأكيد أن ينال الخلاص."

أجاب تريفون: "حفظ السبت وممارسة الختان والاحتفال بالشهور والاغتسال بعد لمس أي شيء حرَّمه موسى أو بعد العلاقات الجنسية."

المسيح ويعملون أعمال البر والتقوى ويعيشون معنا نحن المسيحيين المؤمنين دون أن يحولوا إقناعنا بأن نختتن مثلهم كما قلت أو أن نحفظ السبت وغيرها من الممارسات، ففي رأيي أننا نحن المسيحيين يجب علينا أن نقبلهم ونخالطهم كأهل وإخوة. ولكن، يا تريفون، إن اعترف أحد منكم بإيمانه بالمسيح وفي الوقت نفسه أجبر المسيحيين من الأمم على أن يحفظوا ناموس موسى أو رفض أن يختلط بهم فأنا بالتأكيد لا أوافق على مثل هذا. وإنني أظن أن هؤلاء الأممين الذين أُجبروا على حفظ الناموس اليهودي مع أنهم يعلنون إيمانهم بمسيح الله سوف يخلصون على الأرجح. أما الذين آمنوا واعترفوا علانية أن يسوع هو المسيح ثم لسبب ما أنكروا الإيمان وتحولوا إلى ناموس موسى فهؤلاء لا يمكن أن يخلصوا ما لم يتوبوا قبل أن يموتوا. كذلك مَن هم مِن نسل إبراهيم ويحفظون الناموس ويرفضون الإيمان بالمسيح إلى النفس الأخير، فهؤلاء لن يخلصوا خاصةً الذين منهم قد لعنوا ولا زالوا يلعنون في مجامعهم مَن آمنوا بالمسيح لكي ينالوا الخلاص ويهربوا من عقاب النار. إن صلاح الله ورحمته وغناه الذي لا يُحَد يعتبر أن الخاطي الذي يتوب قد صار بارًّا وبريئًا، كما أعلن من خلال حزقيال النبي[٧١]. أما مَن يحيد عن طريق البر والتقوى ليسير في طريق الظلم وعدم التقوى فيعتبره الله من الخطاة الظالمين الأشرار. ولذلك يحذرنا ربنا يسوع المسيح بقوله: "الحال التي آخذكم فيها سأحاسبكم عليها[٧٢]." "

---

[٧١] انظر حز ٣٣: ١١ - ٢٠.

[٧٢] هذه الكلمات ليست موجودة في العهد الجديد وقد استخدمها القديس كليمندس السكندري في كتاب (Quis dives salvetur) ويعتقد البعض أنها مُقتبَسَة من أحد أناجيل الأبوكريفا مثل إنجيل العبرانيين. وربما كانت هذه الجملة أحد أقوال المسيح التي تم نقلها من خلال التقليد الشفاهي.

الفصل الثامن والأربعون

أجاب تريفون مقاطعًا: "لقد سمعنا رأيك في هذه الأمور، والآن أكمل كلامك من حيث توقفت، لأنه يبدو لي أن الكلام لا يُعقَل على الإطلاق، بل ويفتقر تمامًا إلى دليل. إن قولك بأن هذا المسيح هو الله الكائن قبل كل الدهور الذي ارتضى أن يولد ويصير إنسانًا مع أنه ليس من أصل بشري لا يبدو مجرد كلام متناقض بل منافٍ للطبيعة والعقل أيضًا."

قلت: "إنني أدرك أن قولي هذا لا بد أن يبدو متناقضًا عندكم أنتم معشر اليهود، لأنكم لا تهتمون قط بمعرفة الله أو عمل ما يرضيه، بل تهتمون فقط بأمور معلميكم كما يشهد الله نفسه عليكم. ولكن، يا تريفون، كون هذا الرجل مسيح الله فهذا أمر لا يمكن إنكاره، حتى لو لم أستطع أن أثبت أنه وهو الله، كان كائنًا كابن لخالق الكون، وقد صار إنسانًا عن طريق عذراء. وبما أنني قد أثبت أنه هو مسيح الله بلا أدنى شك وسيظل هو هكذا حتى وإن لم أستطع إثبات أنه كائن قبل كل الدهور وقد رضي أن يصير إنسانًا له جسد ومشاعر مثلنا بحسب مشيئة الآب، ففي هذه النقطة فقط تقدر أن تقول بحق إنني مخطئ. ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنه هو المسيح حتى وإن كان ظاهريًّا من أصل بشري لأنه صار مسيحًا باختيار الآب. وهناك أيها الأصدقاء بعض الناس من بني جنسكم[٧٣] يعترفون بأن يسوع هو المسيح ولكنهم يدَّعون أنه من أصل بشري خالص. وإنني أختلف بالطبع مع هؤلاء الأشخاص ولن أتفق معهم حتى وإن كان غالبية من يتفقون معي في آرائي يقولون بهذا،

[٧٣] في الأغلب يقصد ق. يوستينوس الإبيونيين (وهي كلمة عبرية تعني الفقراء) وقد كانوا يؤمنون بأن يسوع هو المسيح لكنه إنسان عادي وليس إلهًا وقد دُعيوا بذلك الاسم إشارة إلى فقر معتقدهم في الله.

لأن المسيح ذاته قال لنا ألَّا نتبع تعاليم الناس بل فقط تعاليم الأنبياء القديسين وتعاليمه هو."

الفصل التاسع والأربعون

قال تريفون: "يبدو لي أن الذين يقولون إنه مِن أصل بشري قد مُسح بالاختيار [ليكون المسيح] يقدِّمون عقيدة أكثر قبولاً من عقيدتكم. ونحن اليهود نتوقع أن المسيح سوف يكون إنسانًا من أصل بشري فقط، وأن إيليا سوف يأتي ليمسحه. وإذا كان هذا الرجل هو المسيح فلا بد أن يكون من نسل بشري، ولكن بما أن إيليا لم يأتِ بعد، فلا بد أن أؤكد أن هذا الرجل ليس هو المسيح."

فسألته: "أ لم يذكر سفر زكريا[٧٤] أن إيليا سوف يأتي قبل يوم الرب العظيم والمخوف؟"

قال: "بكل تأكيد."

قلت: "إذن الكتاب يأمركم بالاعتراف بمجيئين للمسيح حسب النبوءات في المجيء الأول يكون متألما وبلا كرامة ولا جمال، وفي المجيء الثاني يعود في مجده ليدين جميع الناس كما أثبتُّ لكم بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس، ومن هنا ألَّا يجب أن نفهم أن كلمة الله تخبرنا عن مجيء إيليا كسابق لليوم العظيم والمخوف، أي يوم مجيئه الثاني؟"

قال: "بالتأكيد."

قلت: "لقد علَّمنا الرب نفسه هكذا أن إيليا سوف يأتي ونحن نعلم أن هذا سيحدث عندما يوشك الرب يسوع المسيح على المجيء من السماء في مجده، وقد سكن روح الله الذي كان في إيليا في شخص يوحنا النبي الذي مِن جنسكم الذي لم يظهر بعده أي نبي

---

[٧٤] ليس زكريا بل ملاخي ٤: ٥.

أخلى ذاته من المجد في مجيئه الأول، هكذا أيضًا ظهر إيليا في مجيئه الأول بغير مجدٍ وهو الذي فيه كان الروح طاهرًا[٧٧]. ويُقال إن الرب سيحارب عماليق بيد خفية، وعليكم الإعتراف بأن عماليق قد سقط. ولكن إن كانت الحرب سوف تشن ضد عماليق عند المجيء الثاني للمسيح في مجده فكيف يتوافق هذا مع كلام الكتاب "الله يحارب عماليق بيد خفية"[٧٨]؟ أنتم ترون إذن أن قوة الله الخفية كانت في المسيح المصلوب الذي أمامه ترتعد الشياطين وكل القوات والسلطات على الأرض."

الفصل الخمسون

قال تريفون: "يبدو أنك تناقشت مع أشخاص كثيرين في جميع الموضوعات وبالتالي فأنت على استعداد لإجابة أي سؤال من أسئلتي. قُل لي أولًا، كيف تقدر أن تثبت أنه يوجد إله آخر إلى جانب خالق العالم وأنه تنازل ليُولَد من عذراء؟"

قلت: "اسمح لي أولًا أن أذكر بعض النصوص من سفر إشعيا عن يوحنا المعمدان الذي كان أيضا نبيًّا والذي كان المُبشِر بربنا يسوع المسيح."

قال: "تفضل."

قلت: "ها هي نبواءت إشعيا عن يوحنا كسابق للمسيح: "فقال حزقيا لإشعيا جيد هو قول الرب الذي تكلمتَ به، فإنه يكون سلام وأمان في أيامي. عزوا شعبي. أيها الكهنة طيِّبوا قلب أورشليم وعزوها فإن اتضاعها قد كثر. إن خطيتها قد عُفي عنها فإنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخٍ في البرية أعدوا طرق

---

[٧٧] المقصود أن شخص إيليا لم ينقسم عندما انتقل الروح القدس الذي كان حالًا فيه إلى يوحنا.
[٧٨] خر ١٧: ١٦.

باب في مدخل قرية اسمها بيت فاجي، وركب على الجحش عند دخوله أورشليم، وهو ما قالت النبوءة إن المسيح سيفعله، وبما أن يسوع قد أتم هذا فقد قدم برهانًا واضحًا أنه هو المسيح. وعلى الرغم من حدوث كل هذه الأشياء والتي سبق أن أنبأتكم بها الكتب المقدسة، إلا أنكم ما زلتم تصرون على رفض الإيمان. إن زكريا أحد الأنبياء الاثني عشر تنبأ عن هذا الحدث عندما قال: "ابتهجي جدًّا يا ابنة صهيون. اهتفي وبشِّري، يا ابنة أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو بار ومُخلِّص ومتواضع وراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان" (زك ٩: ٩) وقد كان ما ذكره روح النبوَّة وأيضًا أبونا يعقوب عن الأتان وابن الأتان وأن المسيح سيستخدم كليهما. وأيضًا طلب المسيح من تلاميذه أن يُحضِروا إليه الاثنين معًا كما ذكرتُ. كل هذا كان إشارة إلى أن المزمعين أن يؤمنوا به سيكونون مِن اليهود ومِن الأمم معًا. فكما أن ابن الأتان الذي لم يركبه أحد كان رمزًا للأمم، فهكذا كانت الأتان التي اعتادت حمل النير رمزًا للمزمعين أن يؤمنوا من شعبكم، لأن لديكم الناموس الذي وضعه عليكم الأنبياء مثل النير. وقد تنبأ زكريا النبي بأن المسيح سوف يُضرَب وأن تلاميذه سوف يتفرقون وهذا قد حدث بالفعل. لأن بعد صلبه تفرق تلاميذه حتى قام من بين الأموات وأثبت لهم أنه كان لا بد له أن يتألم. وعندما اقتنعوا بذلك خرجوا إلى العالم كله يبشرون بهذه الأمور[٧٩]. وهكذا نحن ثابتون في إيماننا به ويتعاليمه، لأن إيماننا قائم على أساس الأنبياء والرسل الذين عبدوا الله علانية في كل العالم بإسم المصلوب. وقد قال زكريا النبي: "استيقظ أيها السيف على راعيَّ وعلى رجل شعبي يقول رب الجنود. اضرب الراعي فتتفرق خرافه" (زك ١٣: ٧)."

[٧٩] انظر مر ١٦: ٢٠.

الفصل الرابع والخمسون

"إن كلمات يعقوب النبوية التي سجلها موسى "يغسل بالخمر رداءه وبدم العنقود ثوبه" (تك ٤٩: ١١) تشير إلى أنه سيغسل بدمه كل الذين يؤمنون به. لأن الروح القدس يدعو الذين غفر المسيح خطاياهم "ثوبه"، فهو حاضر بينهم على الدوام بقوته ويحضر معهم بشخصه في مجيئه الثاني. وعبارة "دم العنقود" تشير مجازيًّا إلى أن دم المسيح ليس من زرع بشر بل مِن قوَّة الله. فكما أن الله وليس الإنسان هو الذي صنع دم الكرمة فهكذا تنبأ [الكتاب] أن دم المسيح لن يكون من زرع بشر بل من قوة الله. إن هذه النبوءة التي ذكرتها أيها السادة تثبت أن المسيح ليس إنسانًا [عاديًّا] من نسل بشري وليس مولودًا بالطريقة البشرية المعتادة."

الفصل الخامس والخمسون

قال ترفون: "سنتذكَّر تفسيرك هذا إذا استطعت أن تثبت كلامك بإثباتات أخرى. أما الآن فلنعُد إلى موضوعنا الأصلي لتثبت لنا ما إذا كان روح النبوة قد قال في أي وقت بوجود إله آخر إلى جانب الله خالق جميع الأشياء. واحذر من أن تذكر الشمس والقمر التي تقول لنا الكتب أن الله ترك الأمم يعبدوها كآلهة[٨٠]. وكثيرًا ما استخدم الأنبياء هذه الطريقة في السرد مثلما قيل: "الرب إلهك هو إله الآلهة و رب الأرباب" وكثيرًا ما كانوا يضيفون "العظيم والجبار والمهوب"[٨١]. فإن استخدام هذا التعبير لا يعني أنه حقًّا توجد آلهة أخرى بل أن الإله الحقيقي خالق الكل هو وحده رب كل الذين يُعتبرَون

[٨٠] ربما يقوم اليهود بتفسير هذه الآية (تث ٤: ١٩) بهذه الطريقة، ولكن ق. يوستينوس يثبت من خلال كلمات الأنبياء أن الله وحده هو من تجب عبادته.

[٨١] تث ١٠: ١٧.

خطأً آلهة أو أربابًا. ولكي يقنعنا الروح القدس بهذا يقول بفم داود إن "آلهة الأمم أصنام شياطين"[٨٢] وليست آلهة، كما أنه يلعن هؤلاء الذين يصنعون أو يعبدون هذه الأصنام."

قلت: "يا تريفون، هذه ليست الإثباتات التي كنت سأقدِّمها لأنني أعلم أن مَن يعبدون هذه الأشياء يدانون بعدل، ولكنني مستعد أن أقدم براهين لا يمكن لأحد أن ينقاضها، وقد تبدو غير مألوفة لكم رغم أنكم تقرأونها كل يوم. ولذا نحن نفهم أن الله - بسبب خطاياكم - أخفى عنكم القدرة على فهم الحكمة في كلامه ما عدا قلة منكم حفظهم بعظيم رحمته بذرةً للخلاص كما قال إشعيا لئلا يهلك شعبكم تمامًا مِن هذه الأرض كما كان الحال مع شعب سدوم وعمورة. استمعوا إذن لهذه النصوص الكتابية التي لا تحتاج إلى تفسير بل فقط إلى استماع."

الفصل السادس والخمسون

"يقول لنا موسى خادم الله الأمين والمبارك إن مَن ظهر لإبراهيم عند بلوطات ممرا هو الله الذي أُرسِل بصحبة ملاكين ليدين سدوم من قِبل آخر، [وهذا الآخر] هو مَن يسكن في سماء السماوات والذي لم يره ولم يتحدث معه إنسان قط والذي ندعوه الآب خالق الكل. وها هي ذي كلمات موسى: "وظهر له الله عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت الظُهر. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال ..."[٨٣] إلى أن تصل لهذه الكلمات: "وبكَّر إبراهيم في الغد إلى

---

[٨٢] انظر مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥) وكلمة δαίμων التي كان اليونانيون يقصدون بها إلهًا أو وثنًا كان المسيحيون يقصدون بها شيطانًا وكان هذا يتفق مع الفكر السائد بأن الأوثان تسكنها شياطين.

[٨٣] تك ١٨: ١ - ٢.

المكان الذي وقف فيه أمام الرب وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر وإذا دخان يصعد مِن الأرض كدخان الأتون"[٨٤]."

وهنا سألتهم إذا كانوا قد فهموا هذا النص فأجابوا أنهم يعرفون معنى الكلام ولكن لا يجدون فيه ما يثبت أنه يوجد إلى جانب خالق العالم أي إله أو رب آخر يذكره الروح القدس.

قلت: "إذن بما أنكم تفهمون هذه النصوص من الكتاب المقدس، سأحاول إثبات ما أقوله، أي أنه يوجد إله و رب آخر تحت الله خالق كل الأشياء[٨٥] كما هو مذكور في الكتاب المقدس، وهو يُسمَّى أيضًا ملاكًا[٨٦] لأنه يعلن للإنسان كل ما يريد خالق الكل ـ الذي لا يوجد إله آخر فوقه ـ أن يعلنه لهم."

وبعد أن أعدت ذكر النصوص السابقة سألت تريفون ما إذا كان يؤمن أن الله ظهر لإبراهيم تحت بلوطات ممرا كما يقول الكتاب.

قال: "نعم، بالتأكيد."

قلت: "هل كان هو أحد الثلاثة الذين يقول روح النبوة إن إبراهيم رآهم كرجال؟"

قال تريفون: "لا، بل الله ظهر له قبل أن يرى ثلاثة الرجال. وهؤلاء الثلاثة الذين يقول عنهم الكتاب رجالاً هم ملائكة. وكان الله قد كلف اثنين منهم لإهلاك سدوم في حين أرسل الثالث لإبلاغ سارة بأنه سيكون لها ابن وقد انصرف بعد انتهاء مهمته."

قلت: "كيف تفسِّر إذن قول واحد من الثلاثة، الذي كان في

---

[٨٤] تك ١٩: ٢٧ ـ ٢٨.

[٨٥] تعبير "إله آخر" هنا، ليس المقصود به وجود إلهين، بل الحديث عن أقنوم الكلمة وتعبير "تحت الله خالق كل الأشياء" إنما يعني "الذي به خلق الأب كل شيء". والجدير بالذكر أن هذه تعبيرات هي تعبيرات بدائية عن عقيدة الثالوث التي عبَّرت عنها الكنيسة فيما بعد بتعبيرات أدق وأوضح.

[٨٦] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣، حاشية ١٧٢.

الخيمة، "إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة إمرأتك ابن[٨٧]" وأنه رجع بالفعل بعد أن ولدت سارة ابنًا؟ أ لم تؤكد النبوءة أنه اللّٰه؟ ولاستبيان حقيقة كلامي بشكل أوضح، استمع لكلمات موسى الواضحة: "ورأت سارة ابن هاجر الجارية المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح مع اسحق ابنها فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق. فقبح الكلام جدًّا في عين إبراهيم لسبب ابنه. فقال اللّٰه لإبراهيم لا يقبح في عينك من أجل الغلام والجارية، فاسمع لسارة في كل ما قالته لك، لأنه بإسحق يدعى لك نسل"[٨٨]. أ لا ترى إذن أن الذي وعد تحت البلّوطة أنه سيعود قد عاد بالفعل حسب الكتب لأنه كان يعلَم أن إبراهيم سيحتاج إلى مشورة ليفعل ما تريده سارة، وأنه هو اللّٰه كما تشير هذه الكلمات: "فقال اللّٰه لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام والجارية"؟ (تك ٢١: ١٢)"

قال تريفون: "هذا صحيح، ولكنك لم تثبت بعد أنه يوجد إله إلى جانب اللّٰه[٨٩] الذي ظهر لإبراهيم والآخرين من البطاركة والأنبياء. كل ما أثبتَّه هو أننا كنا مخطئين في قولنا أن الثلاثة الذين كانوا في الخيمة مع إبراهيم هم جميعًا ملائكة."

قلت: "إذا كنت لم أستطِع أن أثبت لكم من الكتاب المقدس أن أحد هؤلاء الثلاثة هو اللّٰه وهو أيضًا يُدعى ملاكًا ـ أي مُعلِن لأنه قد أعلن ما أراد خالق الكل أن يعلنه كما سبق أن قلت ـ وأن هذا الذي ظهر لإبراهيم على الأرض في شكل رجُل مع الملاكين هو بالحقيقة

---

[٨٧] تك ١٨: ١٠.

[٨٨] تك ٢١: ٩ ـ ١٢.

[٨٩] رد تريفون هنا يُظهِر أن مفهوم الثالوث وتمايز الأقانيم لم يكونا واضحين بالنسبة للعقلية اليهودية التي يعبِّر عنها تريفون، رغم الإعلانات الواضحة عن هذه العقيدة في نصوص كثيرة من العهد القديم. راجع أيضًا عب ١: ١، ٢.

الله الكائن قبل كل الخليقة، هل من المنطق أن تتمسكوا بما يعتقده عامة شعبكم؟"

قال: "بلا شك، لأن هذا هو إيماننا حتى الآن."

قلت: "دعنا نعود إلى الكتاب المقدس، وسأحاول إقناعك أن الذي قيل إنه ظهر لإبراهيم ويعقوب وموسى ويُدعى إلهًا، هو يتمايز عن الله خالق الكل، وذلك من جهة العدد وليس من جهة الإرادة. وإنني أقرُّ أنه لم يفعل شيئًا أو يقول شيئًا قط بخلاف ما يريد أن يفعله أو يقوله خالق الكون الذي لا يعلو عليه أي إله آخر."

قال تريفون: "أثبِتْ لي أنه موجود حتى نتفق معًا على هذا لأنك تنفي أنه يفعل أو يقول شيئًا مخالفًا لإرادة خالق الكل."

قلت: "النصوص الكتابية التي ذكرتها ستوضح لك هذا. ها هي ذي الكلمات: "وأشرقت الشمس على الأرض ودخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء وقلَبَ تلك المدن وكل الدائرة" (تك ١٩: ٢٣ - ٢٥)."

وتكلَّم الصديق الرابع لتريفون وهو الذي ظل معه قائلًا: "لا بد إذن من الاعتراف بأن أحد الملاكين اللذين نزلا إلى سدوم، والذي يسميه موسى في الكتاب ربًّا، يختلف عن الأول - الذي هو الله - الذي ظهر لإبراهيم."

قلت: "علينا أن نعترف بأنه بالإضافة إلى خالق الكل يوجد آخر يسميه الروح القدس ربًّا، ليس بسبب هذا النص فقط. وليس لأن هذا هو ما شهد به موسى فقط، بل أيضًا داود عندما قال: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك"[٩٠] وفي موضع آخر يقول: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب مُلْكِك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله

---

[٩٠] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك"[٩١]. أجيبوني هل الروح القدس في رأيكم يدعو إلهًا وربًّا غير الآب ومسيحه، فقد أخذت على عاتقي أن أثبت لكم من الكتب المقدسة نفسها أن المدعو ربًّا ليس أحد الملاكَيْن اللذين نزلا إلى سدوم بل ذاك الذي رافقهم والذي دُعي إلهًا وتراءى لإبراهيم."

قال تريفون: "أسرِع وقدِّم الإثبات إذن لأن الوقت قد مضى كما ترى ونحن لسنا مستعدين لإعطاء إجابات متسرعة لأننا لم نسمع أحدًا قط يبحث ويستقصي ويشرح هذه الأمور. وفي الواقع لم نكن لنسمع لك حتى الآن لو لم تكن على الدوام تأتي بشواهد من الكتاب المقدس لإثبات وجهه نظرك ولو لم تقل إنه لا يوجد إله يعلو على خالق العالم."

قلت: "أنتم بالتأكيد تعرفون أن الكتاب يقول: "فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في هذا الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن" (تك ١٨: ١٣ - ١٤). ونقرأ بعد قليل: "ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وعمورة وكان إبراهيم ماشيًا معهم ليشيعهم. فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم عبدي ما أنا فاعله؟" (تك ١٨: ١٦ - ١٧) وأيضًا: "قال الرب صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدًّا. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إليَّ أم لا كي أعلَم. وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما إبراهيم فكان واقفًا أمام الرب. فاقترب إبراهيم وقال أ فتهلك البار مع الأثيم؟" (تك ١٨: ٢٠ - ٢٣). (إلى آخر هذه الآيات، فأنا لا أرى أنه من الضروري أن أكرر الكلام الذي كتبته قبلًا بل سأذكر فقط الإثباتات المهمة التي قلتها لتريفون وأصدقائه).

---

[٩١] مز ٤٤: ٧ - ٨ (في البيروتية مز ٤٥: ٦ - ٧).

ثم وصلت إلى الكلمات التالية من الكتاب المقدس: "وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه. فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً وكان لوط جالسًا عند باب سدوم" (تك ١٨: ٣٣ ؛ ١٩: ١). وما يلي ذلك حتى: "فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب" (تك ١٩: ١٠) وما يليها حتى: "أمسك الرَّجُلان بيده وبيد امرأته وبأيدي ابنتيه لشفقة الرب عليه. وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنهم قالوا نجِّ، نجِّ نفسك. لا تلتفت إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك. فقال لهما لوط: أرجوك، يا سيد، هوذا عبدك وجد نعمة في عينك وعظَّمتَ لطفك الذي صنعت إليَّ باستحياء نفسي. أمَّا أنا فلا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعل شرًّا يدركني فأموت. هوذا المدينة الصغيرة هذه قريبة للهرب إليها، أهربُ إلى هناك فإنها صغيرة فتحيا نفسي. فقال له إنني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضًا أن لا أقلب المدينة التي تكلمتَ عنها أسرع وأهرب إلى هناك لأنني لن أستطيع أن أفعل شيئًا حتى تدخل إلى هناك. لذلك دُعيَ اسم المدينة صوغر. وإذ أشرقت الشمس دخل لوط إلى صوغر فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء. وقلَبَ تلك المدن وكل الدائرة" (تك ١٩: ١٦ - ٢٦).“

حينئذ سألتهم: ”أ لا ترون، يا أصدقائي، أن واحدًا من الثلاثة هو إله و رب وسفير لمن هو في السماء وهو رب الملاكين؟ لأنهما عندما ذهبا إلى سدوم، مكث هو [الرب] ليتحدث مع إبراهيم كما ذكر موسى. ثم انصرف بعد أن فرغ من الحديث ورجع إبراهيم إلى مكانه. وعندما جاء إلى سدوم لم يكن هناك الملاكان بل الرب هو الذي تكلَّم مع لوط كما يتضح من نص الكتاب. إنه هو بالفعل الرب الذي كُلِّف من الرب الذي في السماء - أي الله خالق الكل - بإنزال

هذه العقوبة على سدوم وعمورة كما يقول الكتاب: "أمطر الرب على سدوم وعموره كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤)."

الفصل السابع والخمسون

وبعد أن انتهيت مِن الكلام اعترف تريفون قائلا: "الكتاب المقدس يضطرنا لأن نتفق معك، ولكنك لا بد أن تبرر حيرتنا إزاء القول بأن الرب أكل الطعام الذي أعده وقدمه له إبراهيم."

قلت: "إنه مكتوب بالفعل أنهم أكلوا. ولكن قيل إن الثلاثة أكلوا وليس الاثنين فقط اللذين كانا ملاكين وطعامهم في السماء ليس الطعام نفسه الذي يأكله البشر، لأن الكتاب يقول عن المن الذي أكلَه آباؤكم في البرية أنهم "أكلوا طعام الملائكة"[٩٢]، وعندما يؤكد الكتاب أنهم أكلوا فإننا نفهم هذا التعبير كما نفهم القول بأن النيران تلتهم كل شيء لا بمعنى أنهم أكلوا بمضغ الطعام بالأسنان والفك. ولذا لا يوجد ما يُحيِّر إذا كانت لنا معرفة - ولو قليلة - باستخدام أساليب التعبير المجازي."

قال تريفون: "إن تفسيرك لطريقة الأكل قد يحل اللغز بشأن ضيوف إبراهيم الذين قيل إنهم أكلوا الطعام المُقدَّم لهم. والآن واصل حديثك لإثبات أن الله هذا الذي ظهر لإبراهيم، والذي هو في خدمة خالق الكون، قد وُلِد من عذراء وصار إنسانًا - كما تدَّعي - وتألَّم مثل البشر."

قلت: "قبل أن أقدم الدليل الذي تريدونه، اسمحوا لى أن أذكر شواهد أخرى عن موضوع مناقشتنا لعلكم تقتنعون."

قال: "تفضَّل، فهذا يروق لي."

---

[٩٢] انظر مز ٧٧: ٢٥ (في البيروتية مز ٧٨: ٢٥)

الفصل الثامن والخمسون

قلت: "أود أن أورد لكم نصوصًا من الكتاب المقدس لتعضيد ما أقول حتى وإن كنت غير حاذق في الحديث لأنني أفتقر لهذه المهارة ولكنني قد أُعطيتُ هذه النعمة من الله أن أفهم كتابه المقدس وأنا أدعو كل واحد ليشارك فيها بوفرة وبلا حدود لئلا أُحاسَب في يوم الدينونة الذي سوف يقيمه الله خالق الكل بربي يسوع المسيح."

قال تريفون: "بعملك هذا أنت تظهر تقوى حقيقية نحو الله. ولكن عندما تقول إنك ليس عندك موهبة في فن الجدال فأنا أظن أنك تتظاهر فقط بعدم المعرفة."

قلت: "إذا كان هذا ما تظن فليكن مع أنني أظن أنني تكلمت بالصدق. لكن انتبهوا لما أقول حتى أعرض لكم بقية الإثباتات."

قال: "تفضَّل."

قلت: "يا أصدقائي، ذكر موسى أن الذي يُدعَى الله والذي ظهر للآباء دُعيَ أيضًا ملاكًا وربًّا حتى إنكم، بهذه العبارات، تعرفوه كخادم لأبي الكل. وهذا ما اعترفتم به بالفعل وسوف تؤمنون به بأكثر ثبات عندما تسمعون بقية الدلائل. إن كلمات الله كما سجَّلها موسى تتحدث عن يعقوب حفيد إبراهيم على النحو التالي: "وحدث في وقت توحُّم الغنم أني نظرت بعينيَّ في حلم وإذا الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة. وقال لي ملاك الله في الحلم يعقوب، يعقوب. فقلت هأنذا. فقال ارفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخطَّطة ورقطاء ومنمَّرة. لأنني قد رأيت كل ما يصنع بك لابان. أنا الله الذي ظهر لك في بيت إيل [أي بيت الله] حيث مسحتَ لي عمودًا وحيث نذرتَ لي نذرًا. والآن قُم واخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك وسأكون معك"

(تك ٣١: ١٠ - ١٤). وفقرة أخرى تتحدث هكذا عن يعقوب: "ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق . أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز كل ما كان له. فبقي يعقوب وحده. وصارعه ملاك حتى الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه. فانخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال له: أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال: له ما اسمك. فقال: يعقوب. فقال: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك لأنك مع الله انتصرت ومع الناس أنت قوي. وسأله يعقوب وقال: أخبرني ما اسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعى يعقوب اسم المكان وجه اللّٰه [فنيئيل] قائلًا لأنني نظرت الله وجهًا لوجه ونجَت نفسي" (تك ٣٢: ٢٢ - ٣١).

وفي مكان آخر نقرأ عن يعقوب أيضًا: "فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان، وهي بيت إيل هو وجميع القوم الذين كانوا معه. وبنى هناك مذبحًا ودعا ذلك المكان بيت إيل لأن هناك ظهر له اللّٰه عند هروبه من وجه أخيه. وماتت دبورة مُرضِعة رفقة ودُفِنَت تحت بيت إيل تحت البلُّوطة. فدعا يعقوب اسمها بلُّوطة النحيب. وظهر اللّٰه ليعقوب أيضًا في لوز حين جاء مِن بين نهري سوريا[٩٣] وباركه وقال له اللّٰه: لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل" (تك ٣٥: ٦ - ١٠)."

ثم قلت: "هو يُدعى اللّٰه، فهو اللّٰه وسيظل كذلك إلى الأبد."

وعند سماعهم هذه الكلمات أومأوا جميعًا برؤوسهم علامة الموافقة، فقلت: "إنني أرى أنه من المناسب هنا أن أورد النص الكتابي الذي يُثبِت أن الملاك والرب والإله الذي ظهر لإبراهيم في هيئة رجُل

[٩٣] ورد اسم هذه المنطقة في النص العبري الماسوري: "فدان آرام" وعنه أخذت الترجمة البيروتية.

يُعتبَر ملاك [أو مُعلِن] الخالق لأنه أعلن[٩٤] للناس إرادة الآب خالق الكل."

قلت: "أريد الآن، يا تريفون، أن أثبت لك أن الذي دُعيَ ملاكًا في الرؤيا التي نتحدث عنها هو الله، وهو وحده الذي رآه موسى وتكلم معه. وها هو الدليل من الكتاب المقدس: "تراءى له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة. فلما رأى الرب أنه اقترب لينظر ناداه الرب من وسط العليقة" (خر ٣: ٢ - ٤) والآن كما أن الكتاب يشير إلى الذي ظهر ليعقوب في الحلم كملاك ثم يؤكِّد أن هذا الملاك قال ليعقوب في الحلم "أنا هو الله الذي ظهرت لك في بيت إيل عند هربك من وجه أخيك عيسو"[٩٥]، كما يشير الكتاب أيضًا إلى أنه في دينونة سدوم في أيام إبراهيم، نفذ الرب إرادة الله الذي في السماوات، كذلك عندما يشير هنا إلى أن ملاك الرب ظهر لموسى ثم يعلن أنه هو الرب الإله، فالمقصود هو نفس الشخص الذي عرفناه في شواهد أخرى قد أوردتها في السابق أنه سفير الله الذي هو فوق العالم ولا يوجد إله أعلى منه."

الفصل الحادي والستّون

قلت: "الآن، يا أصدقائي، سأُبيِّن لكم من الكتاب المقدس أن الله قد وَلَد قوةً عاقلة كبدء[٩٦] قبل كل خليقة؛ إذ يشير الروح القدس إلى هذه القوة بصفات كثيرة، مثل: مجد الرب أو الابن أو حكمة أو ملاك أو إله أو رب أو كلمة. وفي إحدى المرات دعا نفسه "رئيس جند الرب" عندما ظهر كإنسان ليشوع بن نون. وهو بالحقيقة يستحق كل

---

[٩٤] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣، حاشية ١٧٢.

[٩٥] انظر تك ٣٥: ٧.

[٩٦] الكلمة اليونانية ἀρχή تعني "بدء" وليس "في البدء".

هذه الصفات لأنه يصنع إرادة الآب ولأنه وُلِد بإرادة الآب[٩٧]. ولكن أ لا يحدث شيء مشابه معنا نحن البشر؟ فعندما ننطق بكلمة نستطيع أن نقول إننا نلد الكلمة، لكن ليس بعزلها عنا، بمعنى أن قدرتنا على نطق الكلام سوف تزول. ونحن نلاحظ مثلاً مشابهًا في الطبيعة عندما تبدأ نار في إشعال نار أخرى[٩٨] دون أن تفقد النار الأولى شيئًا بل تظل كما هي. وتظل النار التي تم إشعالها قائمة بذاتها ومُضيئة دون أن تنقِص من وهج النار الأولى. ويشهد لي كلمة الحكمة وهو ذاته الإله المولود مِن أبي الكل، وهو كلمة مَن وَلدَه وحكمته وقدرته ومجده. وها هي ذي كلماته بفم سليمان: "وإن عرَّفتكم ما يحدث يومًا فيوم فسأذكر ما كان منذ البدء: الرب قناني أول طُرُقِه لأجل أعماله. قبل الدهر أسَّسني، في البدء قبل أن يخلق الأرض وقبل أن يخلق الهاوية، قبل أن توجَد ينابيع الغمر وقبل أن تُثبَّت الجبال، وقبل أن تكون كل التلال وَلَدَني. صنع الله مُدُنًا وقفارًا ومرتفعاتٍ مسكونةً تحت السماء. عندما أعدَّ السماء كنت أنا معه. وعندما وضع عرشه على الرياح، عندما صنع سُحُبًا قوية في العلاء وشدَّد ينابيع الغمر، عندما ثبَّت أساسات الأرض كنت عنده صانعًا وكنت أنا مَن يُفرحه كل يوم مبتهجًا دائمًا قُدَّامه، لأنه سُرَّ؛ إذ أكمل المسكونة وفَرِحَ مع بني آدم. فالآن يا ابني اسمع لي. فطوبى لمن يسمع لي وللإنسان الذي يحفظ طرقي ساهرًا كل يوم عند أبوابي حارسًا قوائم مداخلي. لأن مخارجي هي مخارج الحياة وإرادتي قد أُعِدَّت مِن قِبَل الرب. ومَنْ يخطئون إليَّ يعصون على أنفسهم. ومُبغضيَّ يحبون الموت" (أم ٨: ٢١ - ٣٦).

---

[٩٧] لم يكن ق. يوستينوس يفرق بين الولادة بالطبيعة من جوهر الآب والولادة بإرادة الآب وهو ما يبدو واضحًا من كلامه التالي، فعلى الرغم من أنه يقول عن الإبن إنه ولد بإرادة الآب إلا انه يصفه بأنه كلمة الآب وحكمته وقدرته ومجده وهذا في الحقيقة يتماشى مع التعليم بأن الإبن مولود بالطبيعة وليس بالإرادة من جوهر الآب. وهذا الأمر قد حسمه الآباء في مجمع نيقية فيما بعد حيث أكدوا أن الإبن مولود بالطبيعة من جوهر الآب وليس بإرادة الآب.

[٩٨] هذا يشابه تعبير "نور من نور" الذي تبناه قانون الإيمان النيقيّ.

الفصل الثاني والستّون

وقلت: "يا أصدقائي، قال الله بفم موسى هذا الكلام ذاته عندما أعلن لنا أنه حين خلق الله الإنسان قال: "فلنخلق الإنسان على صورتنا وشبهنا فيتسلَّطون على سمك البحر وطيور السماء والبهائم، على جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم الله قائلًا أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها" (تك ١: ٢٦ - ٢٨). ولئلا يخطئوا في تفسير هذه الكلمات بترديد ما يقوله معلموكم الذين يقولون إنه إما أن الله قال لنفسه: "نعمل الإنسان" كما نقول نحن أحيانًا لأنفسنا: "لنعمل"، أو أن الله قال: "نعمل" لعناصر الطبيعة أي للأرض أو المواد المختلفة التي نعتقد أن الإنسان قد تكوَّن منها. وهنا أود أن أذكر ما قاله موسى لقطع الشك باليقين، أن الله كان يتكلّم مع شخص له عقل، ويختلف عنه من جهة العدد. وها هي ذي كلمات موسى: "وقال الرب الإله هوذا آدم قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر" (تك ٣: ٢٢) إن عبارة "كواحد منا" تشير بوضوح إلى أنهم عدد من الأشخاص معًا أوعلى الأقل أنهم اثنان. وأنا لا أقبل بالبدعة التي يُقال بإنها عندكم والتي تقول بإن هذه الكلمات كانت موجهة إلى الملائكة، أو إن الجسم البشري هو مِن عمل ملائكة. لكن هذا المولود الحقيقي من الآب، كان مع الآب قبل كل الخليقة وتكلَّم معه الآب كما يذكر الكتاب المقدس بفم سليمان الذي يقول إن هذا الابن أو الحكمة كما يدعوه سليمان قد وُلِد كبداءة وكمولود مِن الله قبل كل أعماله. وقد شهد الله لهذه الحقيقة عند ظهوره ليشوع بن نون. ولتقتنعوا تمامًا، استمعوا لهذه الكلمات من سفر يشوع: "وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل

واقف قبالته فسار يشوع إليه وقال له: هل أنت لنا أم لأعدائنا فقال: أنا رئيس جند الرب، الآن أتيت. فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له: يا سيد ماذا تطلب مِن عبدك؟ فقال رئيس جند الرب ليشوع: اخلع نعليك من رِجليك لأن المكان الذي أنت واقف عليه أرض مُقدَّسة. وكانت أريحا مُغلقة ومُحصَّنة ولم يكن أحد يخرج منها. فقال الرب ليشوع: انظر. هوذا أدفع أريحا ليدك وملكها الذي فيها مع جبابرة البأس" (يش ٥: ١٣ - ١٦ ؛ ٦: ١ - ٢)."

الفصل الثالث والستّون

قال تريفون: "يا صديقي، أنت قد قمت بإثبات هذه الأمر ببراهين كثيرة وقوية. والآن أثبت لنا أنه تنازل ليصير إنسانًا [مولودًا] مِن عذراء وفقًا لإرادة أبيه وليُصلَب ويموت. أثبت لنا أيضًا أنه قام من الموت وصعد إلى السماء."

قلت: "أيها السادة، لقد أثبتُّ ذلك بالفعل من نبوات سبق أن ذكرتها لكم، ولكن لكي تقتنعوا سأذكرها ثانية وأشرحها لكم. أ لم يقُل إشعيا "وميلاده مَن يُخبِر به لأنه تُقطَع مِن الأرض حياته" (إش ٥٣: ٨) أ لا ترى أن ما قيل يُشير إلى أن الذي سلَّمه الله [الآب] للموت من أجل خطايا الشعب لم يكن مِن أصل بشري؟ وموسى أيضًا في حديثه عن دم المسيح في مَثَل سبق أن ذكرناه قال "يغسل ثوبه بدم العنقود"[٩٩] لأن دمه لم ينشأ مِن زرع بشر بل مِن إرادة الله. وأيضًا يقول داود: "في بهاء قديسيك. من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك. أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق"[١٠٠]. أ لا تثبت هذه الكلمات أنه منذ القِدَم كان قصد

---

[٩٩] انظر (تك ٤٩: ١١).

[١٠٠] مز ١٠٩: ٣ - ٤ (في البيروتية مز ١١٠: ٣ - ٤).

الله الآب أن يُولَد ابنه مِن رحم بشري؟ وفي مكان آخر سبق أن ذكرته يقول الله: "كرسيك، يا الله، إلى دهر الدهور. قضيب الاستقامة هو قضيب مُلكِك. أحببت البر وأبغضت الإثم مِن أجل ذلك مسحك الله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك. المر والعود والسليخة مِن ثيابك. ومِن قصور العاج التي أبهجتك. بنات ملوك في كرامتك. قامت الملكة عن يمينك بثوب مُوَشًّى بالذهب مُزيَّنة بأنواع كثيرة. اسمعي يا ابنة وانظري وأميلي أذنك. وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك لأنه هو ربك وله تسجدين"[١٠١]. وهذه الكلمات توضح أيضًا أن الله الآب الذي صنع كل هذه الأشياء شهد بأن يسوع ينبغي أن يُسجَد له كإله وكمسيح. كما توضِّح هذه الكلمات أيضًا أن كلمة الله يتحدث إلى المؤمنين به كنفس واحدة وكنيسة واحدة كما إلى ابنة، التي هي الكنيسة، التي أسسها على اسمه وتشارك في هذا الاسم - لأننا كلنا نُدعى مسيحيين - وهكذا نحن مُطالَبون بأن ننسى عادات أجدادنا القديمة كما تقول الكلمات التالية: "اسمعي يا ابنة وانظري وأميلي أذنك. وانسي شعبك وبيت أبيك. فيشتهي الملك حسنك لأنه هو ربك وله تسجدين." "

الفصل الرابع والسّون

قال تريفون: "أنتم الذين من الأمم تُدعَون مسيحيين على اسمه وبإمكانكم أن تعترفوا به كرب ومسيح وإله كما تفيد الكتب ولكن نحن اليهود الذين نعبد الله الذي صنع المسيح[١٠٢] لسنا مضطرين أن نعترف به أو نعبده."

---

[١٠١] مز ٤٤: ٧ - ١٢ (في البيروتية مز ٤٥: ٦ - ١٢).

[١٠٢] إن تعبير "الله الذي صنع المسيح" قد يعني هنا أن الله هو خالق طبيعته البشرية مثلما فسر ق. أثناسيوس الآية "الرب قناني أول طرقه". ومن الجدير بالذكر أن هذا التعبير جاء على لسان تريفون وليس ق. يوستينوس.

بالحق. لتحمل الجبال سلامًا للشعب والآكام برًّا. يقضي لمساكين الشعب يُخلِّص بني البائسين ويُذل الظالم. يدوم كالشمس وقُدَّام القمر إلى جيل الأجيال"[١٠٤] والبقية حتى هذه الكلمات: "يدوم اسمه قُدَّام الشمس وتتبارك به كل قبائل الأرض، كل الأمم يطوبونه. مُبارَك الرب إله إسرائيل الصانع العجائب وحده. مبارك اسم مجده إلى الأبد ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين آمين"[١٠٥] وتذكَّر أيضًا أنه مِن كلمات أخرى لداود ذكرتها من قبل يمكن إثبات أنه سيأتي من أعلى السماوات وسيصعد ثانية إلى هناك حتى تعلَم أنه أتى كإله من الأعالي وصار إنسانًا وعاش في وسط الناس وسوف يعود إلى الأرض في يوم ما، حينئذ سينظر ويبكي الذين طعنوه. وها هي ذي الكلمات: "السماوات تحدِّث بمجد الله والفَلَك يُخبِر بعمل يديه. يوم إلى يوم يُبدي قولاً وليل إلى ليل يُظهِر علمًا. لا قول ولا كلام. الذين لا تُسمَع أصواتهم في كل الأرض خرج منطقهم. وإلى أقصاء المسكونة خرَجَت أقوالهم. جعل في الشمس مظلته. مثل العريس الخارج مِن خدره. يتهلل مثل الجبار الذي يسرع في طريقه. مِن أقصى السماء خروجها، ومنتهاها إلى أقصى السماء ولا شيء يختفي مِن حرارتها[١٠٦]." "

الفصل الخامس والستّون

قال تريفون: "أنا في حيرة مِن هذه النصوص الكثيرة مِن الكتاب المقدس ولست أعرف كيف أفسر تلك الفقرة من إشعيا حيث يقول الله إنه لا يعطي مجده لآخر: "أنا الرب الإله هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر" (إش ٤٢: ٨)."

قلت: "لو أنك، يا تريفون، ذكرت هذه الفقرة بأمانة وبدون خبث

---

[١٠٤] مز ٧١: ١ - ٥ (في البيروتية مز ٧٢: ١ - ٥).
[١٠٥] مز ٧١: ١٧ - ١٩ (في البيروتية مز ٧٢: ١٧ - ١٩).
[١٠٦] مز ١٨: ١ - ٦ (في البيروتية مز ١٩: ١ - ٦).

وتوقَّفت قبل أن تذكر الكلمات التي قبلها وبعدها لكان لك عذر. ولكن للأسف أنت تخطئ إذا كنت تقول هذا أملاً في إحراجي لكي أعترف أن بعض النصوص في الكتاب المقدس تناقض بعضها البعض؛ إلّا إنني لن أتجاسر أن أقول أو أتخيل هذا الأمر. إذا كان مثل هذا النص يبدو مُناقضًا لنص آخر ـ وأنا واثق تماما بأنه لا يوجد تناقض بين نصوص الكتاب المقدس وبعضها ـ كنت بالأحرى أعترف بصراحة أنني لا أعرف معنى النص، وأحاول قدر استطاعتي أن يشاركني الرأى هؤلاء الذين يظنون أن الأسفار المقدسة بها تناقضات. إن الله وحده يعلم لماذا أثرتَ هذه المسألة الأخيرة ولكن سأعيد على مسمعك النص كما هو بالضبط لكي ترى أن الله يعطي مجده هذا لمسيحه فقط. وسأضيف، يا سادة، بعض الكلمات من النص الذي ذكره تريفون وما يليه مباشرة. وهذه الكلمات ليست من إصحاح آخر بل من النص ذاته ولذا أطلب منكم التأمل فيها: "هكذا يقول الرب الإله خالق السماوات وناشرها، باسط الأرض وما فيها، مُعطي الشعب الذي عليها نسمة والماشين عليها روحًا: أنا الرب الإله قد دعَوتُك بالبر فأمسك بيدك وأقويك وأجعلك عهدًا للشعب ونورًا للأمم لتفتح عيون العُمي وتُخرِج المأسورين مِن القيود والجالسين في الظلمة مِن بيت السجن. أنا الرب الإله هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوْلَيَات قد أتت والحديثات أنا مُخبِر بها. قبل أن تنبُت أُعلِمكم بها. سبِّحوا للرب تسبحة جديدة بدايتها مِن أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكَّانها لتفرح البريَّة ومدنها ومساكنها وليفرح سكَّان قيدار. ليهتف سكَّان صخرة على أعالي الجبال. ليعطوا الرب مجدًا ويُخبِروا بتسبيحه في الجزائر. الرب إله القوات يخرُج يسحق الحرب ويُنهِض غيرة. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه" (إش ٤٢: ٥ - ١٣)."

ثم استطردتُ: "أ لا ترون أن الله يؤكد أنه سيعطي مجده للذي عيَّنه وحده ليكون نورًا للأمم، وليس كما يدَّعي تريفون أنه سيحتفظ بمجده لذاته فقط؟"

قال تريفون: "سوف نرى ذلك والآن أكمل كلامك في الموضوع."

الفصل السادس والستّون

فبدأت كلامي مِن حيث توقفت؛ إذ كنت أُثبِت لهم أن المسيح وُلِد مِن عذراء وأن إشعيا قد تنبَّأ بذلك، وكررت لهم كلمات النبوءة كما وردت: "ثم عاد الرب فكلَّم آحاز قائلًا: اطلب لنفسك آية من الرب إلهك، عمِّق طلبك أو ارفعه إلى فوق. فقال آحاز: لا أطلب ولا أجرِّب الرب. فقال إشعيا: اسمعوا يا بيت داود هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الرب أيضًا؟ لذلك يعطيكم السيد ذاته آية. هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويدعون اسمه عمانوئيل. زبدًا وعسلاً يأكل قبل أن يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير. لأنه قبل أن يَعرف الصبي الخير والشر هو يرفض الشر ليختار الخير، وتؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة أمام ملك أشور وتُخلى الأرض التي أنت خائف من ملكَيْها. يجلب الرب عليك وعلى شعبك وبيت أبيك أيامًا لم تأتِ منذ يوم اعتزال إفرايم عن يهوذا أي ملك أشور" (إش ٧: ١٠ - ١٧)."

وأضفت قائلًا: "الكل يعرف أنه مِن بين جميع نسل إبراهيم بالجسد لم يُولَد أحد من عذراء قط، أو حتى ادَّعى أنه وُلِد هكذا، سوى مسيحنا."

الفصل السابع والستّون

فقال تريفون معترضًا: "إن النص ليس "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا"، بل "هوذا الشابة تحبل وتلد ابنًا" إلى آخر النص كما ذكرته،

غير أن النبوءة ككل تشير إلى حزقيا لأن الأحداث المذكورة فيها تحققت في هذا الملك. وأيضًا يوجد في الأساطير الإغريقية قصة تتحدث عن كيفية ولادة بيرسيوس من داناي وهي عذراء عندما نزل عليها المدعو زيوس في هيئة وابل مِن المطر الذهبي. وأنتم المسيحيون يجب أن تستحوا مِن ترديد مثل هذه القصص ويجب عليكم بالأحرى أن تعترفوا بأن يسوع هذا هو مجرد إنسان من أصل بشري. وإذا كنت تقدر أن تُثبِت مِن أسفار الكتاب أنه هو المسيح فلتعترف بأنه حُسِب أهلًا ليكون المسيح بسبب حفظه الكامل للناموس ولكن حذار أن تتحدث عن معجزات لئلا تُتهَموا بالحماقة مثل الإغريق."

قلت: "يا تريفون، أريد أن تتأكد أنت وغيرك مِن الناس أنك حتى إذا لجأت إلى التوبيخ والسخرية فلن تستطيع أن تثنيني عن إيماني الثابت وسأستمر في استخدام الكلمات والأمثلة ذاتها التي ذكرتها أنت كدليل على آرائك والنصوص مِن الكتاب المقدس لإثبات صحة ما أقوله. ولكنك لم تكن منصفًا أو صادقًا عندما حاولت تجاهل النقاط التي اتفقنا عليها بالفعل مثل بعض أحكام الناموس التي وضعها موسى من أجل قساوة قلوب شعبكم، لأنك قلت إنه إذا ثبت أن يسوع هو بالحقيقة المسيح فإن ذلك بسبب تمسكه الكامل بناموس موسى."

قال تريفون: "ولكنك اعترفت بأن يسوع قد اختتن وحفظ بقية أحكام ناموس موسى."

قلت: "نعم قلتُ هذا[١٠٧] ولا أزال أعترف به، ولكنني لا أعترف بأنه خضع لهذه الأُمور [أي الختان والناموس] من أجل تبرير ما، بل فقط لتتميم خطة الفداء وفقًا لإرادة أبيه رب وإله وخالق كل الأشياء. وإنني أُقِر أيضًا أنه تنازل ليصير إنسانًا وأنه صلب ومات بعد احتمال كل

[١٠٧] هذه هي أول إشارة يذكرها ق. يوستينوس إلى موضوع ختان يسوع المسيح وحفظه للناموس حيث لم يتعرَّض لهذا الموضوع مِن قبل.

الفصل الثامن والستّون

قال تريفون: "إنك تحاول أن تُثبِت ما هو غير معقول وغير قابل للتصديق، وهو أن الله تنازل لكي يُولَد ويصير إنسانًا."

قلت: "لو أنني حاولت أن أُثبِت هذا فقط مِن تعاليم الناس لكنتم على حق في عدم الاستماع. ولكنني ألجأ دائمًا لنصوص كثيرة مِن الكتاب المقدس لأُثبِت ما أريده وأتوسل إليكم أن تفهموا هذه النصوص، إلا أن عنادكم يمنعكم مِن معرفة تدبير الله وإرادته. وإذا كنتم ترفضون التغيير فلن يضيرني شيء، ولكن لأنني متمسك بمعتقداتي فسوف أمضي في طريقي."

قال تريفون معترضًا: "يا صديقي، تذكَّر أنك قد أُعطيتَ أن تفهم هذه الحقائق بعد تعب وعناء. وبالتالي يجب علينا نحن أيضًا أن نفحص بتدقيق شديد كل ما يقابلنا قبل أن نوافق على ما تقوله الأسفار المقدسة."

قلت: "أنا لا أسألكم أن تمتنعوا عن الفحص الدقيق لكل نقطة في مناقشتنا، ولكن أرجوكم ألَّا تنكروا ما كنتم قد اعترفتم به بالفعل عندما تكونون في حيرة مما تجيبون به."

قال تريفون: "سنحاول أن نعمل ما تريده."

قلت: "والآن لكي ننتهي مِن هذه المناقشة على وجه السرعة، أريد أن أوجِّه لكم بعض أسئلة أخرى."

قال: "تفضل واسأل."

قلت: "هل يوجد في رأيكم إله آخر يستحق العبادة ويُدعى في الأسفار المقدسة ربًّا وإلهًا غير خالق العالم والمسيح الذي صار إنسانًا كما هو مثبَت في نصوص كتابية كثيرة؟"

قال تريفون: "كيف نعترف بمثل هذا القول في حين لم نتأكد

بعد من خلال مناقشتنا المطوَّلة ما إذا كان يوجد إله آخر غير الآب؟"

قلت: "لا بد من أن أسأل هذا السؤال لكي أعرف ما إذا كان لديكم رأي مختلف عما اعترفتم به بالفعل."

قال: "لا، ليس لدينا رأي مختلف."

قلت: "بما أنكم تعترفون بصحة هذه الأمور، وبما أن الكتاب يقول "وميلاده مَن يُخبِر به؟" (إش ٥٣: ٨) أ لا يجب أن توافقني على الفور أنه ليس من أصل بشري؟"

قال ترينون: "كيف إذن يقول الكتاب إنه من نسل داود سيتخذ الله لنفسه ابنًا ويثبِّت مملكته ويُجلسه على عرش مجده؟"

قلت: "يا ترينون، إذا كانت نبوءة إشعيا "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا" لم تنطبق على بيت داود بل على بيت آخر من الأسباط الاثني عشر، فالمشكلة قد تكون صعبة ولكن بما أن النبوءة ذاتها تنطبق على بيت داود، فقد شرح إشعيا بدقة كيف يتحقق ما قاله الله في سر لداود. لعلكم، يا أصدقائي، لا تدركون أن كثيرًا مِن الأقوال التي عبَّر عنها الكتاب مجازيًّا أو بشكل رمزي قد شرحها الأنبياء الذين جاءوا بعد الذين نطقوا بها."

قال ترينون: "لا شك في هذا."

قلت: "وإن أثبتُّ لكم حقيقة أن نبوءة إشعيا هذه تتحدث عن مسيحنا وليس عن حزقيا كما تدَّعون، هل تشكُّون في معلميكم الذين يتجاسرون على القول بأن ترجمة الأسفار المقدسة التي قام بها سبعون من شيوخكم في بلاط الملك بطليموس هي غير دقيقة في بعض الأحيان؟ لأنه عندما يظهر في الأسفار المقدسة نقض واضح لما يعتقدونه في غباء وكبرياء، يبادرون بالتأكيد على أن هذا الكلام لم يُكتَب هكذا في النص الأصلي. ويتآمرون على تحوير عبارات أخرى لتتواءم مع أعمال بشرية مُدَّعين أنها لا تشير إلى مسيحنا

يسوع بل إلى مَن يحاولون تفسير النبوءة عنه. فعلى سبيل المثال، هم علَّموكم أن هذه النبوءة التي نتحدَّث عنها تشير إلى حزقيا، ولكنني سأُثبِت لكم أن هذا خطأ كما وعدت. ولكنهم يضطرون تحت الضغط أن يوافقوا على أن بعض النصوص التي ذكرناها، والتي تثبت بوضوح أن المسيح لا بد أن يتألم ويُسجَد له ويُدعى إلهًا، تشير إلى المسيح. ولكن معلميكم ينكرون بجسارة أن الذي نعبده هو المسيح ولكنهم يعترفون أن مسيحًا سوف يأتي ويتألم ويحكم ويُسجَد له كإله. وسأثبت لكم أن هذا الرأي منافٍ للعقل ولا معنى له. وحيث إنني مضطر للإجابة أولاً عما تقولونه في سخرية فسأجيبكم أولاً ثم أنتقل بعد ذلك إلى إثبات أمور أخرى."

الفصل التاسع والستون

قلت: "فلتطمئن، يا تريفون، أن معرفتي بالأسفار المقدسة وإيماني بها إزداد ثباتًا بسبب الأعمال المزيفة التي قدَّمها الشيطان في الأساطير التي انتشرت بين اليونانيين مثلما فعل من خلال السحرة المصريين والأنبياء الكذبة في أيام إيليا. فعندما يقولون إن ديونيسوس وُلِد نتيجة تزاوج زيوس مع سيميلي ويروون أنه هو الذي اكتشف الكرمة، وبعد أن قُطِّع إربًا ومات، قام ثانيةً وصعد إلى السماء، وعندما يستخدمون الخمر في طقوسهم، أ ليس واضحًا أن الشيطان يحاكي النبوءة التي سبق أن ذكرتها لكم عن يعقوب كما سجَّلها موسى؟ وعندما يُقال أن هرقل[١٠٨] بن زيوس وألكميني، كان جبارًا وقد جاب الأرض كلها، وأنه بعد موته صعد أيضًا إلى السماء، أ ليست هذه محاكاة لما جاء في الكتاب المقدس عن المسيح أنه "مثل

[١٠٨] يعترض ق. يوستينوس هنا على قصة هرقل، ويرد على تريفون بوضوح أكثر في الفصل القادم عندما يتحدث عن أسطورة برسيوس.

الجبار الذي يسرع في طريقه[١٠٩]"؟ وعندما يقدم الشيطان أسكلبيوس كإنسان يقيم الموتى ويشفي الأمراض، أ لا نقول إنه (أي الشيطان) يحاكي النبوءات عن المسيح؟ وبما أنني لم أذكر لكم بعد نصًّا مِن الكتاب المقدس يُثبِت أن المسيح سيقوم بهذه الأعمال، فلا بد أن أذكر لكم نصًّا منه لكي تدركوا مِن خلاله كيف أن الكتاب المقدس تنبأ بأن هؤلاء الذين أعوزهم معرفة الله ـ أي الأمم الذين كانت لهم أعين ولا يبصرون وقلوب ولا يفهمون ولذا عبدوا الأصنام ـ هؤلاء سوف يتركون أصنامهم ويضعون رجاءهم في المسيح. وها هو ذا النص: "لتفرح الأرض العطشى وليبتهج القفر ويُزهِر كالنرجس. وتزهر وتفرح براري الأردن. فيُدفع إليها مجد لبنان وبهاء الكرمل ويرى شعبي عزة الرب ومجد الله. تشدَّدي أيتها الأيادي المسترخية والرُكَب المشلولة. اطمئنوا يا صغيري القلوب، تشدَّدوا ولا تخافوا. هو ذا إلهنا يجلب انتقامًا. هو يأتي ويخلِّصنا. حينئذ تنفتح أعيُن العميان وتسمع آذان الصم. حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت مياه في البرية وأنهار في القفر. ويصير القفر أجمًا والأرض العطشى ينبوع ماء." (إش ٣١: ١ - ٧)"

ثم أكملت قائلا: "إن ينبوع الماء الحي الذي تفجَّر مِن عند الله على الأرض التي تفتقر إلى معرفة الله ـ أى أرض الأمم ـ هو مسيحنا الذي جاء مِن جنسكم وشفى العمي والصم والعرج منذ ولادتهم. شفاهم بكلمة حتى إنهم مشوا وسمعوا وأبصروا. وبإقامة الموتى مِن الموت جعل الناس في ذلك الزمان أن يعرفوه ولكن على الرغم مِن أنهم رأوا هذه المعجزات بعيونهم إلا أنهم نسبوها إلى أعمال السحر حتى إنهم تجاسروا واعتبروه ساحرًا يُضِل الشعب. أما هو فقد عمل هذه الأعمال لإقناع أتباعه في المستقبل بأنه حتى إذا كان لأحدهم إعاقة

---

[١٠٩] مز ١٨: ٦ (في البيروتية مز ١٩: ٥).

في الجسد ينبغي أن يظل أمينًا لتعاليمه لأنه سوف يُقيمه معافى تمامًا عند مجيئه الثاني، وسوف يحرره من الموت ومن الفساد والألم إلى الأبد."

الفصل السبعون

"والآن عندما يدَّعي أتباع الإله ميثراس أنه وُلِد من صخرة ويسمون المكان الذي يُقبَل فيه مؤمنيه كهفًا، أ ليس صحيحًا أن نقول إنهم يقلِّدون قول دانيال "قُطِع حجر بغير يدين من جبل كبير" (دا ٢: ٣٤) وحاولوا بطريقة مماثلة محاكاة جميع أقوال إشعيا، فإن الشياطين دفعوا كهنة ميثراس لاقتباس كلمات إشعيا التي تحث على فعل البر. وها هي ذي كلمات إشعيا لكي تعلموا أن الأمر هكذا: "اسمعوا أيها البعيدون ما صنعت واعرفوا أيها القريبون قوَّتي. ارتعب الخطاة الذين في صهيون. أخذت الرعدة المنافقين. مَن يرشدكم إلى الموضع الأبدي؟ السالك بالبر والمتكلم بالاستقامة الرازل الإثم والمعصية النافض يديه من الرشوة الذي يسد أذنيه عن سمع قضاء سفك الدماء ظلمًا ويغمض عينيه لكي لا يرى شرًّا. هذا يسكن في مغارة عالية في صخرة قوية. يُعطَى له خبزًا ومياهه مأمونة. الملك ببهائه تنظرون، وعيونكم تنظر بعيدًا. نفسكم تتطلب خوف الرب. أين الكاتب؟ أين المشير؟ أين الذي يعدُّ الآكلين؛ صغار وكبار الشعب؟ الذين لم يستشيروه ولم يعرفوا عمق الأصوات حتى إنهم لم يسمعوا. شعب مُحتَقَر، ليس فهم لمَن يسمع" (إش ٣٣: ١٣ - ١٩). من الواضح أن هذه النبوءة تشير أيضًا إلى الخبز الذي أعطانا مسيحنا إياه لنصنعه ذكرى تجسُّده لأجل الذين يؤمنون به والذين تألَّم لأجلهم، كما تشير إلى الكأس التي علَّمنا أن نصنعها في سر الإفخارستيا تذكارًا لدمه. وتقول النبوءة إننا سوف نرى هذا الملك في

بهاء مجده وأن الذين سوف يؤمنون به في المستقبل سيكون لديهم مخافة الله. أما الذين يظنون أنهم يعرفون كل حرف من الكتب المقدسة ويستمعون إلى النبوءات فهم لا يفهمون شيئًا منها. وأنا عندما أسمع، يا تريفون، أن برسيوس وُلِد من عذراء أعلم أن هذه أكذوبة أخرى من أكاذيب الحية المخادعة."

الفصل الحادي والسبعون

"إنني بالتأكيد لا أثق في معلميكم؛ إذ لا يعترفون بصحة ترجمة الأسفار المقدسة التي قام بها السبعون شيخًا في بلاط بطليموس ملك مصر ويحاولون عمل ترجمة أخرى خاصة بهم. ويجب أن تعلموا أيضًا أنهم حذفوا أجزاء كثيرة من النسخة التي ترجمها هؤلاء الشيوخ الذين كانوا مع بطليموس؛ تلك الأجزاء التي تشير بوضوح إلى أن المصلوب هو إله وإنسان وأنه سيُصلَب ويموت. وبما أنني أعلم أنكم كيهود تنكرون هذه الأجزاء فلن أجادلكم في هذا الموضوع بل سأكمل نقاشي باستخدام الأجزاء التي تقرونها. وحتى الآن أنتم تعترفون بصحة جميع النصوص التي ذكرتها ما عدا "هوذا العذراء تحبل وتلد" وتدَّعون أن العبارة هي "هوذا الشابة تحبل وتلد" وأنا عند وعدي أن أُثبِت لكم أن هذه النبوءة لم تكن تشير إلى حزقيا كما تقولون بل إلى المسيح."

قال تريفون مُقاطِعًا: "قبل هذا نريد منك أن تذكر بعض النصوص التي تقول إنها حُذِفَت تمامًا من ترجمة الشيوخ السبعين."

الفصل الثاني والسبعون

"سأفعل كما يحلو لكم؛ لقد حذفوا هذا الجزء من الفقرات التي يتحدَّث فيها عزرا عن قانون الفصح: "وقال عزرا للشعب: هذا الفصح هو مخلِّصنا وملجأنا وإذا فهمتم ودخل هذا قلبكم أننا سوف نهينه

على الصليب وبعد ذلك نضع رجاءنا فيه، فإن هذا المكان لن يُترك إلى الدهر يقول رب القوات، لكن إن لم تؤمنوا به ولم تستمعوا لتعاليمه ستكونون سخرية للأمم"[١١٠] ومِن سفر إرميا حذفوا: "وأنا كحمل يُساق إلى الذبح. فكَّروا عليَّ أفكارًا قائلين هلموا نضع خشبة في خبزه ونقطعه مِن أرض الأحياء فلا يُذكَر اسمه بعد"[١١١]. وبما أن هذه الفقرة من سفر إرميا ما زالت توجد في بعض النسخ في المجامع اليهودية ـ لأنها قد حُذِفَت منذ زمن قصير ـ وبما أن هذه الكلمات تشير إلى تآمر اليهود على قتل المسيح بالصلب، فقد أُعلن أنه "كخروف يُقتاد إلى الذبح"[١١٢] كما تنبأ إشعيا، وقد مُثل هنا "كحمل بلا عيب". ومثل هذه الكلمات قد أربكتهم إلى درجة أنهم لجأوا للتجديف. وأيضًا حذفوا هذه الكلمات من سفر إرميا "الرب الإله تذكَّر موتاه مِن بني إسرائيل الراقدين في القبور ونزل إليهم ليبشرهم بخلاصه"[١١٣].

الفصل الثالث والسبعون

"وفي المزمور ٩٥ [١١٤] تم حذف عبارة "على خشبة" ففي حين أن النص يقول "قولوا بين الأمم: الرب قد ملك على خشبة"[١١٥] فقد تركوا فقط:

---

[١١٠] إن أصل هذا النص غير معروف ولو أن لاكتانتيوس يستشهد به أيضًا في *Inst. div.* 4.18

[١١١] إر ١١: ١٩.

[١١٢] انظر إش ٥٣: ٧.

[١١٣] هذه الفقرة غير موجودة في نص الكتاب المقدس مع أن ق. إيرينيوس ذكرها في (*Adv haereses* 3, 20) وينسبها لإشعيا النبي، لكن في (*Preaching* 78) ينسبها لإرميا النبي. وهذه الفقرة تتفق في المعنى مع ما كتبه بطرس الرسول: "بُشِّر الموتى أيضًا" (١بط ٤: ٦) وما كتبه بولس الرسول: "إنه نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى" (اف ٤: ٩).

[١١٤] وهو يقابل المزمور ٩٦ في الترجمة البيروتية.

[١١٥] مز ٩٥: ١٠ (في البيروتية مز ٩٦: ١٠) عبارة "على خشبة" ـ أي على الصليب ـ كثيرًا ما استشهد بها الآباء اللاتين مثل ما جاء في ترنيمة (*Vexilla Regis*) التي كتبها فورتوناتوس (Fortunatus) في نهاية القرن السادس، وهي موجودة أيضًا في كل

"قولوا بين الأمم: الرب قد ملك". والآن، لا يوجد أحد من شعبكم قيل إنه ملك كإله وملَكَ على الأمم سوى المسيح المصلوب الذي يشهد له الروح القدس في المزمور نفسه أنه تحرر مِن الموت بقيامته. وهكذا أظهر أنه ليس مثل آلهة الأمم لأن "آلهة الأمم أصنام شياطين". ولتوضيح هذه النقطة سأعيد على مسامعكم المزمور كله: "سبِّحوا الرب تسبيحًا جديدًا، سبِّحي الرب يا كل الأرض، سبِّحوا الرب وباركوا اسمه. بشِّروا مِن يوم إلى يوم بخلاصه. حدِّثوا في الأمم بمجده وبين جميع الشعوب بعجائبه، لأن الرب عظيم ومُسبَّح جدًّا. مرهوب هو أكثر مِن كل الآلهة. لأن كل آلهة الأمم شَيَاطين، أما الرب فصَنعَ السماوات. الجلال والبهاء قدَّامه، الطُّهر والجمال العظيم في قدسه. قدِّموا للرب، يا جميع قبائل الأمم، قدِّموا للرب مجدًا وكرامةً، قدِّموا للرب مجدًا لاسمه. احملوا الذبائح وادخلوا دياره، اسجدوا للرب في دياره المقدسة. فلتتزلزل الأرض كلها من أمام وجهه. قولوا بين الأمم إن الرب قد مَلكَ على خشبة، وأيضًا ثبَّت المسكونة فلن تتزعزع. يُدين الشعوب بالاستقامة. فلتفرح السماوات ولتبتهج الأرض وليعج البحر وملئه، تفرح الوديان وكل ما فيها، حينئذ يبتهج كل شجر الغاب أمام وجه الرب لأنه يأتي، يأتي ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بحقِّه[١١٦]."

قال تريفون: "الله وحده يعلم ما إذا كان معلمونا قد حذفوا أجزاء من الكتاب المقدس كما تقول أم لا، لكن هذا القول يبدو غير معقول."

قلت موافقا إياه: "نعم يبدو بالفعل غير معقول لأنه عمل يفوق في

مخطوطات الترجمة القبطية البحيرية، لكنها ليست موجودة في النص العبري وفي باقي ترجمات ومخطوطات السبعينية إلّا في مخطوطة واحدة تعود للقرن السادس هي (Codex Veronensis).

[١١٦] مز ٩٥: ١ - ١٣ (في البيروتية مز ٩٦: ١ - ١٣).

شناعته إقامة العجل الذهب الذي صنعوه وهم متخمون بالمن الذي نزل على الأرض، كما يفوق في بشاعته تقديم أطفالهم ذبائح للشياطين أو ذبح الأنبياء. ويبدو أنك لم تسمع حتى عن الكتب المقدسة التي قمتم ببترها كما قلت. ولكن تكفي النصوص الكثيرة التي ذكرتها لكم بالفعل بالإضافة إلى تلك التي احتفظتم بها، لإثبات النقاط التي نختلف عليها."

الفصل الرابع والسبعون

قال تريفون: "نحن نعلم أنك ذكرت لنا هذه النصوص بناء على طلبنا. أما مزمور داود الذي ذكرته للتو فيبدو أنه لا يشير سوى للآب الذي خلق السماوات والأرض. ولكنك تقول إنه يشير إلى ذاك الذي تألَّم والذي تريد أن تبرهن لنا أنه هو المسيح."

قلت متوسلاً: "أرجوكم أن تفكِّروا مليًّا في كلمات الروح القدس في هذا المزمور وستفهمون أن حديثي ليس بدافع الخبث أو الخداع. وعندما تختلون بأنفسكم ستستوعبون أقوالاً أخرى قالها الروح القدس. يقول المزمور: "سبِّحوا الرب تسبيحًا جديدا، سبِّحي الرب يا كل الأرض، سبِّحوا الرب وباركوا اسمه. بشِّروا مِن يوم إلى يوم بخلاصه. حدِّثوا في الأمم بمجده وبين جميع الشعوب بعجائبه"[١١٧]. بهذه الكلمات يأمر الرب جميع سكان هذا الكون الذين يعرفون سر الخلاص ـ الذي تمَّ بآلام المسيح ـ الذي به نالوا الخلاص أن يرنموا ويسبِّحوا على الدوام لله الآب فهم يعلمون أنه مخوف ومسبَّح وهو خالق السماوات والأرض وفادي البشرية لأنه بعد أن مات على الصليب استحق أن يملك على العالم أجمع. وأيضًا . . . [١١٨] "وقال الرب لموسى

---

[١١٧] مز ٩٥: ١ ـ ٣ (في البيروتية مز ٩٦: ١ ـ ٣).

[١١٨] النص هنا قد فقد، ولا يمكن معرفة الكمية المفقودة، فالبعض يظن أنها عدة كلمات، لأن الموضوع ذاته تتم مناقشته في الكلمات التالية، ولكن آخرون يعتقدون أن الجزء المفقود

ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويزني وراء آلهة الأجنبيين أهل الأرض التي هو داخل إليها ويتركونني وينكثون عهدي الذي قطعته لهم في ذلك اليوم. فأتركهم وأحجب وجهي عنهم فيكون مأكَلَة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم: لأن الرب إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور. وأنا أحجب وجهي عنهم احتجابًا في ذلك اليوم لأجل جميع الشرور التي عملوها؛ إذ التفتوا إلى آلهة أخرى" (تث ٣١: ١٦ - ١٨)."

[نهاية مناقشات اليوم الأول]

الفصل الخامس والسبعون

"في سفر الخروج يشير موسى النبي بشكل سرِّي إلى أن اسم الله ذاته - الذي يقول إنه لم يعلنه لإبراهيم أو يعقوب - هو يسوع؛ إذ إنه مكتوب: "وقال الرب لموسى قُل لهذا الشعب هوذا أنا أُرسِل ملاكي أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته لك. احترز منه واسمع له ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عنك لأن اسمي فيه" (خر ٢٣: ٢٠ - ٢١) فكِّروا جيدًا، مَن قاد آباءكم إلى أرض الموعد؟ أ ليس هو الذي سُمِيَ أولاً أوسس [أو هوشع] ثم فيما بعد سُمِيَ يسوع [أو يشوع][١١٩]؟ إذا فهمتم هذا فستعرفون أن اسم ذاك الذي قال لموسى إن "اسمي فيه" (خر ٣: ٢١) هو يسوع. وقد سُمِيَ أيضًا إسرائيل وهو الاسم الذي منحه ليعقوب. وقد تعلَّمنا من إشعيا أن الأنبياء الذين أُرسِلوا ليحملوا رسائل الرب للناس كانوا يُدعَون ملائكة ورسل الله لذلك يستخدم إشعيا عبارة "أرسِلني" (إش ٦: ٨)

طويل لأن ق. يوستينوس لم يذكر نهاية مناقشات اليوم الأول وبداية مناقشات اليوم الثاني. وربما تكون مناقشات اليوم الأول قد انتهت هنا والنص المفقود ليس إلا فصلًا واحدًا يتحدث عن نهاية المناقشات، ومعه بقية مناقشات المتعلقة باليوم السابق.

[١١٩] لقد قام موسى بتغيير اسم هوشع إلى "يشوع" عندما أرسله لتجسس أرض الميعاد. واسم "يسوع" هو الطريقة اليونانية لنطق الاسم العبري "يشوع".

السماوات. وأما بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١١ - ١٢). وأيضًا: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أ ليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين؟ باسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرِّح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (مت ٧: ٢٢ - ٢٣) كما أنه بكلمات أخرى سيدين المسيح جميع الذين لا يستحقون الخلاص؛ فهو يقول: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥: ٤١) ويقول أيضًا: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو ١٠: ١٩). نعم، نحن نؤمن بالرب يسوع الذي صُلِبَ في عهد بيلاطس البنطي وأخرج كل الشياطين والأرواح الشريرة وأخضعهم تحت سلطاننا. فإذا كان الأنبياء قد أعلنوا بطريقة خفية أن المسيح سيتألم أولاً ثم يكون ربًّا للكل، فإن ذلك [الإعلان] لم يكن من الممكن لأحد أن يستوعبه إلى أن قام هو [أي المسيح] بنفسه بإقناع رسله بأن هذه الأمور أُعلِنَت بوضوح في الأسفار المقدسة. لأنه قال قبل صلبه: "إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيرًا ويُرفَض مِن الشيوخ ورؤساء الكهنة ويُقتَل وبعد ثلاثة أيام يقوم" (مر ٨: ٣١) وقد تنبأ داود بأنه يُولَد مِن البطن قبل الشمس والقمر بحسب إرادة الآب وأعلن أنه المسيح ولذا فهو الله القدير المسجود له."

الفصل السابع والسبعون

قال تريفون: "أنا أعترف أن البراهين التي تقدمها كثيرة وقوية لدرجة إنني متحير، ولكنني ألفِت نظرك مرة أخرى إلى أنني أريد دليلًا على ذلك النص [الكتابي] كما وعدت. فأرجو منك الآن أن تواصل حديثك لترينا أن ذلك النص يشير إلى مسيحك وليس إلى حزقيا كما نعتقد نحن اليهود."

يسمونه الكهف. وبعد أن عزف المجوس عن العودة إلى هيرودس كما طلب منهم وانصرفوا إلى بلادهم مِن طريق آخر كما قيل لهم، وبعد قدوم يوسف ومريم والطفل إلى مصر كما أُوحيَ إليهم مِن الله، أمر هيرودس بقتل جميع الأطفال الذين في بيت لحم بدون استثناء؛ إذ لم يعرف مَن هو الصبي الذي جاء المجوس ليسجدوا له. وهذا أيضًا قد تنبأ به إرميا عندما تكلم الروح القدس بفمه قائلاً: "صوت سُمِع في الرامة نوح وبكاء كثير. راحيل تبكي أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (إر ٣١: ١٥) ولأجل الصوت الذي سُمِع على بعد مسافة طويلة حتى الرامة أي في العربية ـ فحتى اليوم يوجد مكان في العربية يُدعى الرامة ـ وصَلَ النواح المكان حيث ترقد راحيل زوجة يعقوب الذي دُعيَ إسرائيل ـ أي في بيت لحم ـ إذ ناحت النساء على أطفالهن الذين ذُبِحوا وليس لهن عزاء على ما حدث. أما كلمات إشعيا "تؤخذ قوة دمشق وغنائم السامرة" (إش ٨: ٤) فهي تعني أن قوة الشيطان الشرير الذي سكن دمشق سيسحقها المسيح عند مولده. وهذا ما حدث لأن المجوس المُستعبَدين لكل عمل شرير بقوة هذا الشيطان، أعلنوا تمردهم على هذه القوة التي تملكتهم كفنيمة، والتي يقول عنها الكتاب مجازيًّا إنها كانت في دمشق وظهر تمردهم في مجيئهم للسجود للمسيح. وعلى سبيل التشبيه سُميَت هذه القوة الشريرة السامرة. ولا ينكر أحد بينكم أن دمشق هي جزء مِن أرض العربية مع أنها الآن تابعة لفينيقية سوريا (Syrophoenicia). ولذا فمن الأفضل، يا أصدقائي، أن تتعلموا ما لا تفهمونه، منّا نحن المسيحيين الذين نلنا نعمة الله، وأن لا تحاولوا جاهدين أن تدافعوا عن تعاليمكم الخاصة مزدرين تعاليم الله. ويبيِّن إشعيا لماذا منع الله عنكم هذه النعمة وأعطانا إياها بقوله: "لأن هذا الشعب يقترب إليَّ بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده بعيدًا عني. وصارت

مخافتهم لي باطلة؛ وصايا أناس وتعليم معلمين. لذلك هأنذا أعود أنزع هذا الشعب، أنزعهم وأبيد حكمة حكمائه وأمحو فهم فهمائه" (إش ٢٩: ١٣ - ١٤)."

الفصل التاسع والسبعون

وكان تريفون غاضبًا كما بدا على وجهه لكنه احترم الكتاب المقدس وقال لي: "إن كلمات الله هي بالتأكيد مقدسة ولكن تفسيركم لها ليس فقط تفسيرًا سطحيًّا كما هو واضح مِن الأمثلة التي ذكرتها، بل أيضًا يُعتبَر تجديفًا لأنك تقول إن بعض الملائكة أخطأوا وعصوا الله."

ورغبة مني في الاحتفاظ بانتباهه. أجبته بلهجة لطيفة: "يا سيدي، إني أحترم تقواك، وأسأل أن يكون لك هذا الشعور ذاته تجاه الله الذي تخدمه الملائكة، كما يقول دانيال: "شبه ابن إنسان اقترب إلى قديم الأيام فأُعطيَ له كل المُلك إلى أبد الأبد"[١٢٤]. ولكي أريك، يا صديقي، أنه ليس من باب الاجتراء نقول بهذا التفسير الذي تنتقده، أود أن أدلل على ما أقوله مِن كلمات إشعيا النبي نفسه الذي قال إن الملائكة الأشرار سكنوا ولا يزالون يسكنون مدينة تانيس المصرية. وها هي ذي كلمات إشعيا: "ويل للبنين المتمردين يقول الرب. قد أجريتم مشورة ليست مني. واتفقتم اتفاقًا ليس بروحي لتزيدوا خطية على خطية. الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوني ليلتجئوا إلى فرعون ويحتموا بظل مصر فيصير لكم حصن فرعون خزيًا وللمُتوكلين على المصريين عارًا. لأن الرؤساء فى تانيس ملائكة أشرار. باطلًا يتعبون لأجل شعب لا ينفعهم. ليس للمعونة ولا للمنفعة بل للخزي والعار" (إش ٣٠: ١ - ٥) وحتى زكريا يؤكد كما قد

---

[١٢٤] انظر دا ٧: ١٣، ١٤.

ذكرت أنت نفسك ويقول "وأراني يهوشع[١٢٥] الكاهن العظيم قائمًا قُدَّام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه يقاومه. فقال للشيطان لينتهرك الرب الذي إختار أورشليم" (زك ٣: ١، ٢). وها هي ذي أيضًا شهادة أيوب: "وجاء الملائكة ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضًا في وسطهم"[١٢٦]. وفي بداية سفر التكوين يقول موسى إن الحية خدعت حواء ولذا لُعِنَت. كما أننا نعلَم أيضًا أنه كان في مصر سحرة حاولوا عمل نفس المعجزات التي عملها الله بواسطة عبده الأمين موسى. وقد قال داود: "لأن كل آلهة الأمم شياطين[١٢٧]".

الفصل الثمانون

قال تريفون: "يا سيدي، لقد قلت لك قبلًا إنك حريص جدًّا على الالتزام الشديد بالكتاب المقدس في كل ما تقوله. ولكن قل لي بصدق هل تؤمن حقًّا أن أورشليم سيُعاد بناؤها، وهل تتوقع فعلًا أنكم أنتم المسيحيون ستجتمعون هناك لتعيشوا بفرح مع المسيح عندما يأتي ومع الآباء والأنبياء وقديسي شعبنا وهؤلاء الذين اهتدوا إلى الله قبل مجيء مسيحكم، أم أنك تقول هذا كي تظهر كأنك انتصرت علينا في المناقشة؟"

قلت: "يا تريفون، أنا لست مراوغًا لهذه الدرجة حتى أقول غير ما اؤمن به. وكما قلت لك قبل ذلك[١٢٨] إنني وكثيرين معي نؤمن أن هذا سيحدث وقد ذكرت أيضًا أن كثيرين مِن المسيحيين الأتقياء لا يشاركوننا هذا الرأي. وقد قلت إن هناك مسيحيين بالاسم فقط وفي حقيقة الأمر هم هراطقة[١٢٩] بعيدون عن الإيمان والتقوى ينادون

---

[١٢٥] اسم يهوشع في اللغة اليونانية له نفس نطق اسم يسوع.

[١٢٦] انظر أي ١: ٦ ؛ ٢: ١.

[١٢٧] مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥).

[١٢٨] ربما ورد ذلك في الجزء المفقود من الحوار.

[١٢٩] يقصد الإبيونيين والغنوسيين . . . إلخ.

بتعاليم تجديف وإلحاد وحماقة. وعلى أيه حال، لكي أطمئنكم أنني لا أقول هذا الكلام أمامكم فقط، أعدكم أن أدوِّن حوارنا هذا كله في كتاب بشكل جيد على قدر المستطاع، وفيه سأذكر ما قلته لكم للتو لأنني لا أريد أن أتبع البشر وتعاليمهم بل اللّه وتعاليمه. وإذا قابلتم أي أحد يُدعى مسيحيًّا ولا يعترف بهذه العقيدة [الحكم الألفي] بل يجدِّف على إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب بإنكاره قيامة الأموات ويقول إن النفس تُرفَع إلى السماء في لحظة الموت، فلا نعتبر مثل هذا مسيحيًّا حقيقيًّا مثلما أنه لا يمكن للمرء بعد فحص دقيق أن يعتبر الصدوقيين[١٣٠] ومَن يشابههم مِن هرطقات الجِنِستاي (Genistæ) والمِرِستاي (Meristæ) والجليليين والهللينيين (Hellenists) والفريسيين والمعمدانيين[١٣١] هم مِن اليهود ـ لا تؤاخذوا صراحتي إذ أقول ما أعتقد ـ فهؤلاء يُعتبَرون يهودًا وأبناءً لإبراهيم بالاسم فقط مُقدِّمين عبادة شفهية للّه، في حين قلوبهم مبتعدة بعيدًا عنه. أما أنا وكل مسيحي قويم الاعتقاد فنؤمن بقيامة الجسد يتبعها ألف سنة[١٣٢] في مدينة أورشليم التي ستُبنى مِن جديد بشكل أوسع وأجمل كما يعلن الأنبياء حزقيال وإشعيا وغيرهم."

---

١٣٠ كان الصَدُّوقيون ينكرون قيامة الأجساد بعد الموت.

١٣١ هذه الطوائف ليس معروف عنها الكثير؛ الجِنِستاي: ربما دُعيوا بهذا الاسم لنقاء سلالتهم، لأنهم لم يتزوجوا من الأمم على الإطلاق، وبخاصة في أيام السبي البابلي. المِرِستاي: ربما تشير إلى اليهود القدريين الذين اقتطعوا أجزاء من الكتاب المقدس. الجليليون: هم أتباع يهوذا الجليلي الذي قام بثورة يهودية ضد الرومان في عام ٦ ميلادية. الهللينيون: ربما هم أنفسهم من كانوا يشتهرون باسم الهيرودسيين، الذين كانوا يدعمون الحكم الروماني في فلسطين.

١٣٢ لم يكن الاعتقاد بالحكم الألفي منتشرًا كما توحي كلمات ق. يوستينوس. وقد كان بابياس من هيرابوليس، وإيرينيوس هما الوحيدين اللذين أيَّدا هذه العقيدة. ولقد اعترض كثيرون من الكتاب المسيحيين على هذه العقيدة التي تؤمن بألف سنة من السعادة الأرضية مع المسيح في أورشليم بعد القيامة من الأموات. وعلى كل فقد أعلن ق. يوستينوس منذ بداية هذا الفصل أن آراءه تلك لا يشاركه فيها الجميع.

الفصل الحادي والثمانون

"ها هي ذي كلمات إشعيا عن فترة الألف عام: "لأنه تكون سماءً جديدة وأرضًا جديدة فلا يَذكُرون الأولى ولا تخطر على بال. بل يجدون فيها فرحًا وابتهاجًا كل ما أنا خالقٌ، لأنني هأنذا خالق أورشليم بهجةً وشعبها فرَحاً. فأبتهج بأورشليم وأبتهج بشعبي ولا يُسمَع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. ولا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه. لأن الصبي يكون ابن مائة سنة أما الخاطئ فيموت ابن مائة سنة ويكون ملعونًا. ويبنون بيوتًا وهم يسكنون فيها ويغرسون كرومًا وهم يأكلون أثمارها. لا يبنون وآخرون يسكنون ولا يغرسون وآخرون يأكلون. لأنه كأيام شجرة الحياة تكون أيام شعبي وستدوم أعمال تعب أيديهم. فإن مُختاريَّ لا يتعبون باطلاً ولا يلدون للعَن لأنهم يكونون زرعًا بارًّا ومباركين مِن قِبَل الرب ونسلهم معهم. ويكون قبلما يدعون أنني استجيب لهم وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع. عندها سترعى الذئاب والحملان معًا والأسد يأكل التبن كالثور. أما الحية فالتراب لها كالخبز. لا يُؤذون ولا يُهلِكون في كل جبل قدسي يقول الرب." (إش ٦٥: ١٧ - ٢٥) وفي الكلمات التالية: "لأنه كأيام شجرة الحياة تكون أيام شعبي وستدوم أعمال تعب أيديهم" إشارة إلى الألف سنة في تعبير مجازي. وعندما قيل عن آدم أنه "يوم يأكل منها موتًا يموت" (تك ٢: ٧) لم يكن آدم قد بلغ ألف سنة مِن العمر. ونحن أيضًا نعتقد أن الآية التي تقول أن "يوم الرب كألف سنة"[١٣٣] تقود إلى النتيجة نفسها. وقد كان بيننا رجل يُدعى يوحنا وهو أحد رسل المسيح وقد رأى رؤيا بأن أتباع المسيح سيعيشون في أورشليم لمدة ألف

[١٣٣] مز ٨٩: ٤ (في البيروتية مز ٩٠: ٤).

سنة ثم بعد ذلك قيامة الأموات والأبدية والدينونة[١٣٤]. وقد شهد بذلك الرب نفسه عندما قال: "لا يزوِّجون ولا يزوَّجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضًا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة." (لو ٢٠: ٣٥ - ٣٦)."

الفصل الثاني والثمانون

"وفي وقتنا هذا نجد أن مواهب النبوة تتواجد بيننا نحن المسيحيين وأن المواهب التي كانت توجد بين شعبكم قد تحولت وصارت لنا الآن. وكما كان يوجد أنبياء كذبة في أيام أنبيائكم القديسين، هكذا يوجد الآن أيضًا في وسطنا معلمون كذبة كثيرون، الذين حذَّرَنا منهم الرب نفسه كي نكون مستعدين لأي شيء؛ إذ كان يعلَم مسبقًا ما كان سيصيبنا بعد قيامته مِن الأموات وصعوده إلى السماوات. فقد تنبأ الرب بأننا سنكون مكروهين من أجل اسمه وأننا سنُقتَل وأن أنبياء كذبة كثيرين ومسحاء كذبة سوف يأتون باسمه ويُضلُّون كثيرين، وهو ما قد حدث بالفعل. فقد قام كثيرون بنشر تعاليم إلحاد وتجديف وشر واضعين اسمه على هذا كله كما أنهم علَّموا وما زالوا يقولون كل ما يخطر على بالهم بإيحاء من الشيطان ذلك الروح النجس. ونحن نعمل على قدر استطاعتنا لتحذيرهم وأنتم أيضًا لئلا ينخدعوا لأننا نعرف بالتأكيد أن مَن يقدر أن يتكلم بالحق ولا يتكلم فهذا سيدينه الله الذي قال بفم حزقيال: "قد جعلتك رقيبًا لبيت يهوذا. إذا أخطأ الخاطئ وما أنذرته أنت فهو يموت بإثمه. أما دمه فمنك أطلبه. أما إن أنذرته فتكون بريئًا"[١٣٥] ولذلك نحن نحرص على التكلم بكلام الكتب المقدسة لا حبًّا في

---

[١٣٤] يقصد رؤ ٢٠: ٤ - ٦.

[١٣٥] انظر حز ٣: ١٧ - ١٩.

منذ البدء. ولكنكم تتجاسرون على تغيير ترجمة هذا النص والتي قام بها شيوخكم في بلاط بطليموس الملك المصري مؤكدين على أن المعنى الحقيقي للنص ليس كما ترجمه هؤلاء الشيوخ بل: "هوذا الشابة تحبلّ كما لو كان أمرًا عجيبًا أن تحبل امرأة بعد الاتصال الجنسي كما يحدث مع كل امرأة شابة ما عدا العاقر. وحتى أولئك قد يلدن إذا أراد الله، فأم صموئيل التي كانت عاقرًا ولدت ابنًا بفضل إرادة الله، وكذلك سارة زوجة إبراهيم، وأليصابات التي ولدت يوحنا المعمدان وكثيرات أخريات. ولذا يجب أن ندرك أن الله قادر على فعل أي شيء حسب إرادته وخاصة عندما توجد نبوءة أن هذا سيحدث، فلا تحاولوا حذف أو إساءة تفسير النبوءات لأنكم بهذا تسيئون إلى أنفسكم وليس إلى الله."

الفصل الخامس والثمانون

"وأيضًا يتجاسر البعض منكم على القول بأن الكلمات التالية "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد"[١٤٠] تشير إلى حزقيا، في حين يقول آخرون إنها تشير إلى سليمان. ولكن لا يُمكن لأحد أن يُثبت أن هذه الكلمات تشير إلى هذا أو ذاك أو إلى أي ملك آخر مِن ملوككم، بل هي تشير إلى مسيحنا الذي ظهر بلا كرامة ولا جمال ـ كما يشهد بذلك إشعيا وداود وجميع الكتب المقدسة ـ وهو رب الجنود بإرادة أبيه الذي وهبه هذه الكرامة، وهو مَن قام مِن الأموات وصعد إلى السماء، كما جاء في المزمور وفي نصوص كتابية أخرى معلنة أنه هو رب الجنود. وأنتم تقدرون أن تروا بسهولة صحة هذا الكلام فقط إذا فتحتم أعينكم لتبصروا الأشياء التي تحدث حولكم. فكل الشياطين تنهزم وتخضع

---

[١٤٠] مز ٢٣: ٧ (في البيروتية مز ٢٤: ٧).

عند انتهارها باسم ابن الله بالحقيقة، الذي هو بكر كل الخليقة المولود مِن عذراء، وهو الذي تألم وصُلِب بواسطة شعبكم في عهد بيلاطس البنطي ومات وبعد قيامته مِن الأموات صعد إلى السماوات. وعندما تحاولون انتهار الشياطين باسم أي إنسان مولود بينكم سواء ملك أو رجل بار أو نبي أو أحد الآباء البطاركة، فلن تخضع لكم ولكن إذا انتهرها أحدكم باسم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب فربما تخضع لكم. أما بعض السحرة عندكم فهم كما سبق أن ذكرت يخاطبون الشياطين بواسطة فن السحر كما يفعل الأمم مستخدمين الأبخرة والتعاويذ. وإن كلمات داود توضح أن هناك ملائكة وقوات تتلقى الأوامر، كما أشارت نبوءة داود، بأن ترفع الأبواب ليدخل يسوع المسيح رب الجنود القائم مِن الأموات بإرادة الآب. ولأجل هؤلاء الذين لم يكونوا حاضرين معنا أمس سأُعيد على مسامعكم نبوءة داود وسألخِّص لكم غالبية ما قيل في ذلك الوقت. والآن إن قلت لكم هذه [الآيات] - بالرغم مِن أنني قد كررتها على مسامعكم مِن قبل - إلا أنني أعرف أن هذا ليس في غير محله. فإنه مِن السُّخْف أن نراقب الشمس والقمر والنجوم وهي تدور في أفلاكها فتتوالى فصول السنة بغير تغيُّر، أو ننظر إلى متخصص في الرياضيات وهو يجيب على الدوام بالرقم أربعة كلما يُسأل عن حاصل ضرب اثنين باثنين، ونستمع للحديث المتكرر عن الحقائق الثابتة والتي قد ثبتت صحتها، ولكننا عندما نتحدث عن تفسير النبوءات الموجودة في الكتاب المقدس نفضل ألّا نذكر النص ذاته بل نظن أننا قادرون على المجيء بكلمات تفوق كلمات الأسفار المقدسة. وها هو ذا النص الذي فيه يظهر الله لنا أنه يوجد ملائكة وقوات في السماء: "سبحوا الرب مِن السماوات. سبحوه في الأعالي. سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده" (مز ١٤٨: ١ - ٢)."

الشعب، أمسكها بيديه وهو في مقدمتهم وشق البحر. وبهذه العصا ضرب الصخرة فخرج منها ماء. وأيضًا طرح موسى شجرة في مياه مارة المُرَّة فصارت عذبة. كذلك وضع يعقوب قضبانًا أمام مساقي الماء مما جعل غنم خاله تتوحم حتى يستولي على صغارها. ويفتخر يعقوب بأنه عبر النهر بعصاه وأنه رأى سلمًا والله جالس عليها، كما يقول الكتاب ـ وقد بيَّنا أن هذا لم يكن الله الآب ـ وقد صبَّ يعقوب زيتًا على الحجر الذي مسحه عمودًا في نفس المكان إكرامًا لله الذي تراءى له كما شهد الله ذاته الذي تراءى له. وقد أثبتنا أنه في نصوص كتابية كثيرة يُشار إلى المسيح رمزيًّا بالحجر، وأن كل مسحة سواء بالزيت أو المُر أو أي خليط مِن البلسم كانت إشارة له (أي للمسيح)، لأن الكتاب يقول: "أحَببت البر وأبغضت الإثم لأجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر مِن رفقائك"[١٤٣]. فجميع الملوك والمسحاء نالوا منه نصيبهم في أسمائهم كملوك ومسحاء، كما أنه هو ذاته أخذ من الآب لقب ملك ومسيح وكاهن وملاك وغيرها مِن هذه الألقاب التي له. وهارون عندما أزهرت عصاه أظهرت أنه هو رئيس كهنة، وقد تنبأ إشعيا بأن المسيح سيأتي كعصا مِن أصل يسى. كما أن داود أعلن أن البار "كالشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في حينه وورقها لا يندثر" (مز ١: ٣) وأيضًا أن الصديق "كالنخلة يزهو"[١٤٣]. وظهر الله لإبراهيم مِن شجرة كما هو مكتوب "عند بلوطات ممرا" (تك ١٨: ١) وبعد أن عبر الشعب الأردن وجدوا سبعين شجرة صفصاف واثني عشر ينبوع ماء. ويقول داود إن "عصا الله وعكازه هما يعزيانه"[١٤٤]. وأليشع عندما ألقى قطعة خشب في نهر الأردن، طفا رأس الفأس الحديد على الماء وكان أبناء الأنبياء قد بدأوا

---

[١٤٢] مز ٤٤: ٨ (في البيروتية مز ٤٥: ٧).

[١٤٣] مز ٩١: ١٣ (في البيروتية مز ٩٢: ١٣).

[١٤٤] انظر مز ٢٢: ٤ (في البيروتية مز ٢٣: ٤).

يقطعون الخشب بالفؤوس لتشييد المبنى[١٤٥] الذي كان مِن المُقرَّر أن يقرأوا ويدرسوا شريعة الله فيه، وكذلك المسيح بصلبه على خشبة الصليب وتقديسنا نحن المسيحيين بالماء (أي المعمودية)، أقامنا نحن الذين كنا منغمسين في وحل خطايانا وجعلنا بيوت صلاة وعبادة. وأخيرًا، العصا هي التي دلَّت على أن يهوذا هو أبو التوأم الذيَن وُلِدا لثامار بسر عظيم."

الفصل السابع والثمانون

وبعد أن انتهيت من الكلام قال تريفون: "والآن أسألك السؤال التالي ولكن أريدك أن تعلم أنني أسأله ليس لكي أناقضك بل فقط لأحصل على معلومات بشأن هذا الموضوع الذي أسأل عنه؛ اشرح لي كلمات إشعيا هذه: "ويخرج قضيب مِن أصل يسى وتنبت زهرة من جذوره ويرتاح فيه روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى وتملأه مخافة الرب" (إش ١١: ١ - ٣) وأنت قد اعترفت أن هذه الكلمات تشير إلى المسيح الذي تدَّعي أنه سابق الوجود كإله، وتجسَّد بإرادة الله مولودًا مِن عذراء. فكيف تقدر أن تُثبِت أنه سابق الوجود في حين أنه قد ملأته مواهب الروح القدس التي ينسبها إليه هذا النص من إشعيا كما لو كانت تنقصه؟"

أجبت: "لقد طرحتم سؤالاً معقولًا وذكيًّا جدًّا وقد يبدو كأنه مشكلة، ولكن إن أردتم حلاً لهذا الأمر فأرجو أن تصغوا لي. إن الكتاب المقدس يذكر أنه قد أُعطِيَت له مواهب الروح القدس هذه ليس لأنه كان محتاجًا إليها بل لأنها سترتاح فيه، أي تجد كمالها فيه، حتى لا يكون بعد أنبياء آخرون بين شعبكم كما كان في

---

[١٤٥] انظر ٤مل ٦: ١ - ٨ (في البيروتية ٢مل ٦: ١ - ٨) انظر الحوار مع تريفون، فصل ٣٩، حاشية ٦٣.

القديم، وهو ما يمكنكم أن تلاحظوه. أرجو أن تنتبهوا جيدًا لما أقوله حتى تدركوا أن كل واحد من أنبيائكم بعد أن نال موهبة أو موهبتين مِن الله قال وفعل ما نعلمه من الكتاب المقدس. فسليمان كان له روح الحكمة، ودانيال روح الفهم والمشورة، وموسى روح القوة والتقوى، وإيليا روح المخافة، وإشعيا روح المعرفة. وهكذا فإن لكل نبي موهبة أو إثنتين وأيضًا إرميا والأنبياء الإثني عشر وداود، وباختصار جميع أنبيائكم. إذن فالروح حلَّ أي توقف عندما جاء المسيح. وبعد أن أتمَّ الفداء، أُبطِلَت هذه المواهب بينكم بتوقفها فيه وأُعطِيَت، كما قال هو، للمؤمنين به كلٌ حسب استعداده[١٤٦]. وقد قلت مِن قبل وأقول ثانيةً إنه قد تُنُبِّئَ بأنه سوف يفعل هذا بعد صعوده إلى السماء كما جاء في النبوءات: "صعد إلى العلاء وسبى سبيًا وأعطى عطايا لبني البشر"[١٤٧]. وأيضًا في نبوءة أخرى يقول: "ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم." (يوئيل ٢ : ٢٨ - ٢٩)"

الفصل الثامن والثمانون

"وإذا نظرتم حولكم يمكنكم أن تروا مِن بين المسيحيين رجالاً ونساءً قد أخذوا مواهب مِن روح الرب. إذن لم يكن المسيح محتاجًا إلى هذه المواهب التي تنبأ إشعيا أنها ستحل عليه بل فقط لأنها لن يكون لها وجود بعد ذلك. وكدليل آخر، تذكروا ما قلته لكم عن المجوس كيف أنهم أتوا مِن العربية بعد ميلاد المسيح مباشرةً وسجدوا له لأنه حتى في وقت مَولِده كانت له قوته [الإلهية]، لكنه نما مثل باقي البشر الآخرين مستخدمًا ما يناسب كل مرحلة مِن

[١٤٦] كان تعليم ق. يوستينوس عن حلول الروح القدس على المسيح يتفق مع بقية الآباء في كون المسيح لم يكن يحتاج إليه (لأنه هو الابن) ولكنه لم يتوصل إلى السبب في الحلول الذي قدمه آباء القرن الرابع وهو أنه كان لا بد أن يحل على الطبيعة البشرية المتحدة بالإبن حتى نستطيع أن نستقبله نحن في أنفسنا.

[١٤٧] مز ٦٧: ١٩ (في البيروتية مز ٦٨: ١٨).

مراحل نموه ومتغذيًا بكل نوع من أنواع الطعام حتى بلغ الثلاثين من عمره، عندما تقدَّم يوحنا كسابق أمامه معلنًا عن مجيئه ومبشرًا بمعموديته كما ذكرت لكم قبلاً. وعندما أقبل يسوع إلى نهر الأردن حيث كان يوحنا يُعمِّد، نزل في الماء فاشتعلت نار في مياه الأردن[١٤٨] وعند صعوده من الماء حلَّ الروح القدس عليه في شكل حمامة كما يشهد بذلك رسل المسيح نفسه. ونحن نعلم بالطبع أنه لم يأتِ إلى النهر لأنه كان محتاجًا إلى المعمودية أو إلى حلول الروح القدس عليه في شكل حمامة. كذلك فإن المسيح لم يتنازل ويُولَد ويُصلَب لأنه كان محتاجًا للميلاد أو الصلب بل فعل هذا فقط لأجل الإنسان الذي منذ وقت آدم وهو ساقط تحت سلطان الموت وغواية الحية؛ إذ كان لكل إنسان تعدياته وشروره الخاصة. وإذ أراد الله أن يفعل الملائكة والناس ما أعطاهم القدرة على أن يفعلوه، وهبهم حرية الإرادة والقدرة على الاختيار حتى إنهم إذا اختاروا أن يفعلوا ما يرضيه يحفظهم للحياة الأبدية بلا دينونة، ولكن إذا فضلوا أن يفعلوا الشر فهو يعاقب كل واحد كما يشاء. ولم يكن حدث دخوله إلى أورشليم على أتان - كما أوضحنا أنه مذكور في النبوءة - هو الذي أعطاه السلطان أن يكون المسيح بل أن هذا الحدث أثبت للناس أنه هو المسيح بالفعل، كما أن الناس في أيام يوحنا المعمدان أرادوا دليلًا لمعرفة مَن هو المسيح لأن يوحنا كان يلبس رداءً من وبر الإبل ويأكل فقط الجراد والعسل البرى وهو جالس بجانب نهر الأردن مبشرًا بمعمودية التوبة فظنوه أنه هو المسيح، ولكنه أقرَّ أمام سامعيه "أني لست أنا المسيح ... أنا صوت صارخ في البرية ... يأتي بعدي مَن هو أقوى مِني الذي لستُ أهلًا أن أحمل حذاءه"[١٤٩]. وعندما أقبل يسوع إلى الأردن ظنوه أنه ابن

---

[١٤٨] ربما يكون ق. يوستينوس قد تعلَّم ذلك إما من التقليد أو من كتابات الأبوكريفا مثل إنجيل الإبيونيين أو (Praedicatio Pauli) واللذان يذكران هذه الظاهرة.

[١٤٩] يو ١: ٢٠ و ٢٣ ؛ مت ٣: ١١.

يوسف النجار إذ لم يكن له شكل ولا منظر ـ لأنه وهو على الأرض بالجسد كان يعمل نجارًا[١٥٠] يصنع المحراث والنير معطيًا درسًا في ضرورة أن نعمل وأن نحيا حياة البر ـ وقد حلَّ عليه الروح القدس، كما ذكرت، في شكل حمامة لأجل البشر وفي نفس اللحظة صار صوت مِن السماء ينطق بكلمات كان داود قد سبق أن تنبأ بها عمَّا سيقوله الآب فيما بعد للمسيح "أنت ابني أنا اليوم ولدتك" (مز ٢ : ٧) وبقوله "أنا اليوم ولدتك" يعني أن ميلاده بدأ بالفعل بالنسبة للناس عندما أدركوا مَن هو."

الفصل التاسع والثمانون

قال تريفون: "أنت تعلم جيدًا أننا نحن اليهود نتطلع جميعًا إلى مجيء المسيح ونعترف أن جميع النصوص الكتابية التي ذكرتها تشير إليه. وأنا أيضًا أعترف أن اسم يسوع [أو يشوع] الذي أُعطيَ لابن نون جعلني أميل لهذا الرأي، ولكننا نشك في ضرورة صلب المسيح بهذا الشكل المشين لأن الناموس يقول أن مَن يُصلَب فهو ملعون[١٥١]. وبالتالي ليس من السهل إقناعي بهذه النقطة. ومع أن الأسفار المقدسة تذكر أن المسيح ينبغي أن يتألَّم ولكن عليك أن توضح لنا ـ إن أمكن ـ ما إذا كان هذا الألم مِن النوع الذي لعنه الناموس."

قلت له: "إن لم يكن مِن الضروري للمسيح أن يتألَّم ولم يتنبأ الأنبياء أنه سيموت بسبب خطايا الناس بعد أن يُهان ويُعذب ويُحسَب بين الخطاة ويُساق كحمل للذبح وهو الذي لا يقدر أحد أن يصِف ميلاده ـ كما يقول النبي ـ لكان لاستغرابكم مُبِّرر. أمَّا إذا كانت هذه الأمور هي خصائص فريدة تُميِّزه أمام الجميع فكيف لا نؤمن

---

[١٥٠] انظر لو ٣: ١٦.

[١٥١] انظر تث ٢١: ٢٣.

به بكل ثقة؟ وكل مَن فَهِم معنى كلمات الأنبياء بأنه سوف يُصلَب يؤكِّد على الفور أنه هو المسيح وليس آخر سواه."

الفصل التّسعون

قال تريفون: "إذن أرِنا هذا مِن الكتاب المقدس حتى نصدِّق نحن أيضًا ما تقوله. ونحن بالفعل على يقين أنه كان لا بد له أن يتألَّم وأن يُساق كحمل للذبح. ولكن ما نريد أن تُثبِته لنا هو أنه كان لابد له أن يُصلَب وأن يموت هذه الميته المشينة المخزية التي لعنها الناموس. إذ أننا نرى مثل هذا مستحيل."

قلت: "أنتم تعلمون، كما اعترفتم لنا، أن كل ما قاله أو فعله الأنبياء كان بأمثال ليخفوا الحقائق التي تحتويها، وبالتالي لا يكون سهلًا على الجموع أن يفهموا كل ما علَّمه الأنبياء، بل فقط الذين يجتهدون في طلب المعاني."

قال: "لم نشك في ذلك قط."

قلت: "إذن أرجو أن تستمعوا لما سأقوله. إن موسى كان أول مَن أعلن عن هذه اللعنة بالنسبة للمسيح، وذلك بأعمال رمزية قام بها."

قال تريفون: "أية أعمال تقصد؟"

قلت: "عندما حارب شعبكم عماليق وكان يسوع [أو يشوع] بن نون قائد المعركة، مد موسى يديه وصلَّى إلى الله طالبًا منه المعونة. وقام حور وهارون برفع يديه طوال اليوم لئلا يتعب وينزلهما وكان رفع يديه على شكل صليب. ولما كان موسى ينزل يديه كان الشعب ينهزم - كما يشهد بذلك موسى نفسه - في حين إذا ظل موسى في وضع رفع اليدين كان الشعب ينتصر على عماليق، وكان الأقوياء يستمدون قوتهم من الصليب. وفي الواقع لم يكن الشعب ينتصر بفضل صلاة موسى بل بفضل اسم يسوع [أو يشوع] الذي كان في مقدمة المعركة

ونحن أيضًا بسبب إيماننا بالله في المسيح حتى ولو لم نختتن بالجسد فلنا الختان المفيد أي ختان القلب، ولنا رجاء أن نحيا في البر وأن نرضي الله لأننا قد أخذنا بالفعل هذه الشهادة منه مِن خلال كلمات الأنبياء. ولكنكم أنتم اليهود قد أُمِرتم أن تحفظوا السبت وتقدموا الذبائح وسُمِح لكم أن تشيدوا مكانًا تطلبون الله فيه حتى لا تعبدوا أصنامًا وتنسوا الله فتصيرون عديمي الإيمان والتقوى. وهكذا حالكم على الدوام ـ ولهذا السبب بالتحديد أصدر الله أوامره بالنسبة للسبوت والتقدمات كما أثبت لكم في كلماتي السابقة ولكن لأجل الذين انضموا إلينا اليوم، يفضل أن أعيد عليكم معظم هذه الإثباتات ـ وإن لم يكن السبب هو إنقاذكم من الوثنية، فقد يتهم البعض الله بأن ليس له سابق علم ولا يعلِّم جميع الناس أن يعرفوا ويحفظوا الشرائع العادلة ذاتها ـ لأنه كان يوجد بالتأكيد أجيال كثيرة من الناس قبل موسى ـ وقد يحكم البعض أيضا على الأسفار المقدسة بأنها باطلة في قولها "إن جميع سبله عدل. إله أمين لا جور فيه"[١٥٣] وبما أن الكتاب المقدس صادق بلا شك فإن الله لا يريد أن تظلوا على الدوام في جهل وكبرياء كما أنتم الآن، بل أن تخلصوا بالمسيح الذي أرضى الله كما أوضحت لكم مِن كتابات الأنبياء القديسين."

الفصل الثالث والتسعون

"إن الله يُظهِر لكل جنس البشر في كل زمان ومكان ماهية البر، وكل إنسان يعرف أن الزنا والفسق والقتل وما يشابهها هو شر. وعلى الرغم مِن أن جميع الأشرار يرتكبون مثل هذه الأفعال إلا أنهم يعلمون أنهم يخطئون كلما أقدموا على فعل ذلك، ما عدا هؤلاء

[١٥٢] تث ٣٢: ٤ ؛ مز ٢٤: ١٠ ؛ ٩١: ١٦ (في البيروتية مز ٢٥: ١٠ ؛ مز ٩٢: ١٥).

الذين بهم روح نجس أو فسدت عقولهم بسبب تعاليم وعادات رديئة وقواعد شريرة أفقدتهم الشعور الطبيعي بالذنب. والمُلاحظ أن هؤلاء الأشخاص لا يريدون تحمُّل ما يُبتلَى به الآخرون. وبضمير خبيث ينتقدون الآخرين لأجل أشياء هم أنفسهم يفعلونها. ولذا فإنني أرى أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح شرح بشكل مناسب للغاية مبدأ أن البر والتقوى يتلخصان في هاتين الوصيتين: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ... وتحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢: ٣٧ - ٣٩)، لأن مَن يحب الله بكل قلبه وكل فكره يكون عقله مكرَّسًا لله ولن يعبد آخر سواه بل يعبد المسيح الذي أرسله الرب الإله لأن هذه هي إرادة الله. والإنسان الذي يحب قريبه كنفسه سيتمنى له البركات ذاتها التي يتمناها لنفسه. والمرء لا يتمنى الشر لنفسه. وبالتالي فمَن يحب قريبه سيصلي ويعمل لكي ينال قريبه البركات ذاتها التي ينالها هو. ومَن هو قريب الإنسان إلا ذلك المخلوق الذي له عقل ومشاعر مثل ما له، أي الإنسان. إذن فإن البر يوجَّه نحو هدفين وهما الله والناس، لأن الكتاب يقول إن كل من يحب الرب الإله بكل قلبه وبكل قدرته ويحب قريبه كنفسه لا بد أن يكون بارًّا. أما أنتم اليهود فلم تُبرهِنوا بأعمالكم على وجود أية صداقة أو محبة نحو الله أو الأنبياء أو نحو بعضكم البعض بل دائمًا ما تظهرون أنفسكم على أنكم عبَدَة أوثان وقتلة الأبرار، حتى إنكم رفعتم أيديكم على المسيح ذاته. بل إنكم تستمرون في طريق الشر حتى يومنا هذا لاعنين مَن يُثبِت لكم أن الذي صلبتموه هو المسيح. والأكثر مِن هذا أنكم تدَّعون أنه صُلِب كعدو ملعون من الله، مما يدل على عدم سلامة قواكم العقلية. ومع أن لديكم الأساس لتفهموا أن هذا الإنسان هو المسيح مِن خلال العلامات التي أعطاها موسى، لكنكم لا تريدون أن تفهموا، والأكثر مِن هذا

قد تعلَّمنا بنعمته مِن الكتب المقدسة أن نعرفه كابن الله الوحيد المولود منه قبل كل الخليقة، وكابن الآباء البطاركة لأنه تجسَّد مِن عذراء مِن جنسهم وتنازل ليصير إنسانًا لا جمال له ولا منظر وعُرضة للألم. فهو قد أشار إلى آلامه الوشيكة بقوله: "إن ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيرًا ويُرفَض مِن الكتبة والفريسيين ويُصلَب وبعد ثلاثة أيام يقوم"[١٥٨]. وقد دعا نفسه ابن الإنسان إما لأنه ولد من العذراء التي من نسل داود ويعقوب وإسحق وإبراهيم، أو لأن آدم ذاته كان أبًا لكل هؤلاء الآباء البطاركة الذين مِن نسلهم جاءت مريم. ومِن الواضح أن آباء البنات يُعتبرون آباء الأبناء الذين يولدون لبناتهم. وقد غيَّر المسيح اسم أحد تلاميذه من سمعان إلى بطرس[١٥٩] عندما عرف باستنارة من الآب أن المسيح هو ابن الله. وبما أنه مكتوب في مذكرات الرسل [أي الأناجيل] أنه هو ابن الله، وبما أننا ندعوه بهذا الاسم ذاته فإننا نفهم أنه هو بالحقيقة الذي خرج مِن عند الآب قبل كل الخليقة بقوته وإرادته، وقد دُعيَ في الكتابات النبوية بطرق مختلفة؛ الحكمة والنهار والشرق والسيف والحجر والعصا ويعقوب وإسرائيل. كما أننا نؤمن أنه مولود مِن عذراء لكي يزيل العصيان - الذي تسببت فيه الحية - بالطريقة نفسها التي نشأ بها هذا العصيان. لأن حواء وهي عذراء عفيفة حبلت كلمة الحية وولدت العصيان والموت، ولكن العذراء مريم الممتلئة إيمانًا وفرحًا عندما أعلن لها الملاك البشارة بأن روح الرب يحل عليها وقوة العلي تظللها والمولود منها يدعى ابن الله قالت: "ليكن لي كقولك" (لو ١: ٣٥) وبالفعل ولدت الذي أشار إليه الكتاب المقدس كثيرًا والذي به يسحق الله الحية، ويسحق هؤلاء الملائكة والناس الذين صاروا مثل الحية، ويحرر مِن الموت هؤلاء الذين يتوبون عن خطاياهم ويؤمنون به.

---

[١٥٨] انظر مت ١٦: ٢١ ؛ مر ٨: ٣١ - ٣٩ ؛ لو ٩: ٢٢ - ٢٧.

[١٥٩] انظر مت ١٦: ١٥ - ١٨.

الفصل الأول بعد المئة

"وما يلي ذلك في المزمور: "عليك اتكل آباؤنا، اتكلوا فنجيتهم. إليك صرخوا فخلصوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان. عار الناس ومُحتَقَر الشعب". هذه الفقرة تثبت أنه [السيد المسيح] اعترف بأن آباءه هم أولئك الذين اتكلوا على الله فنجوا والذين كانوا أيضًا آباء العذراء التي منها وُلِد وتأنَّس وهو يذكر أيضًا أن الله سينجيه وفي تواضعه لا يدَّعي أنه يفعل شيئًا بإرادته أو قوته الذاتية. وقد فعل الشيء ذاته عندما كان على الأرض؛ إذ سأله أحد أتباعه قائلاً: "أيها المعلم الصالح .... فقال له لماذا تدعوني صالحًا. ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" (مت ١٩: ١٦، ١٧) وعندما قال: "أنا دودة لا إنسان، عار الناس ومُحتَقَر الشعب" كان يتنبأ بما سيحدث له بوضوح. فهو في كل مكان سبب لومنا مِن الجميع نحن الذين نؤمن به، كما أنه مُحتَقَر مِن شعبكم وقد تحمل كل المهانة منكم. وفي الكلمات التالية: "كل الذين يروني استهزأوا بي. تكلَّموا بالشفاه وحرَّكوا الرأس [قائلين] اتكل على الرب فلينجِه ليخلِّصه لأنه يريده"، يخبرنا الرب أيضًا بما كان سيحدث له. فالذين رأوه على الصليب كانوا يهزون رؤوسهم ويحركون شفاههم باستهزاء ويرفعون أنوفهم قائلين كما جاء في مذكرات الرسل "دعا نفسه ابن الله فلينزل من الصليب ويمشي ولينقذه الله[١٦٠]." "

[١٦٠] انظر مت ٢٧: ٣٩ - ٤٣ ؛ لو ٢٣: ٣٥ - ٣٧. كلمة "ويمشي" أضافها ق. يوستينوس.

الفصل المئة والثاني

"ثم يقول المزمور: "أنت رجائي منذ ثديي أمي. عليك أُلقيت مِن الرحم ومِن بطن أمي أنت هو إلهي. لا تبتعد عني لأن الضيق قريب، فإنه لا معين لي. أحاطت بي عجول كثيرة، اكتنفتني ثيران سمان. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مُفترِس مُزمجِر. كالماء انسكبَتْ وتفرَّقَت كل عظامي. صار قلبي كالشمع الذائب في داخلي. يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحَلْقي". هذه الفقرة أيضا نبوءة عن أحداث قادمة. ويمكن شرح عبارة "أنت رجائي منذ ثديي أمي" هكذا: بمجرد أن وُلِد المسيح في بيت لحم ـ كما ذكرتُ قبلًا ـ علم هيرودس الملك عنه من المجوس ودبر لقتله ولكن يوسف أخذ الصبي مع مريم بأمر مِن الله وذهب إلى مصر[١٦١]. لأن خطة الآب أن يموت ابنه الوحيد بعد أن يكون قد بلغ سن الرجولة وبشَّر الناس. وإن سأل أحد لماذا لم يقتل الله هيرودس، نقول: هل منذ البدء لم يكن يقدر أن يقتل الحية بدلاً مِن أن يقول "أضع عداوة بينَكِ وبين المرأة وبين نسلك ونسلها" (تك ٣: ١٥) أ لم يقدر الله أن يخلق في الحال جمهورًا كبيرًا مِن البشر؟ ولكن ما رآه حسنًا فذاك فعله؛ خلق الملائكة والناس أحرارًا في عمل البر وقد وضع حدًّا للزمن الذي يعلم أنه خير للناس أن يتمتعوا بحرية الإرادة. وهكذا أيضًا، لأنه يعلم ما هو لخير الإنسان، وضع أحكامًا عامة وخاصة يحمي بها حرية الإنسان. ففي وقت وَضْع أساس برج بابل بلبل الله ألسنة الشعب، وفي هذا يقول الكتاب: "قال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما يحاولون أن يعلموه" (تك ١١: ٦) كما أن عبارة "يبُسَتْ مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحَلْقي" كانت نبوءة

---

[١٦١] انظر مت ٢.

عما سيفعله المسيح وفقًا لإرادة أبيه، لأن قوة كلمته العظيمة التي بها انتهر المسيح الكتبة والفريسيين بل وجميع معلمين جنسكه الذين ناقضوه، توقفت مثل ينبوع كبير أغلقت مياهه بغته عندما ظل صامتًا ولم يعد يجاوب متهميه أمام بيلاطس كما نقرأ في كتابات الرسل، وذلك لكي تثمر كلمات إشعيا القائل: "الرب يعطيني لأعرف متى ينبغي أن أتكلَّم" (إش ٥٠: ٤) وعبارة "أنت هو إلهي فلا تبتعد عنيّ تعلِّمنا أن نضع كل اتكالنا على الله خالق كل الأشياء وأن نطلب المعونة والخلاص منه وحده ولا نتصور كما يفعل البعض أننا نستطيع أن ننال الخلاص بواسطة نسب أو ثروة أو قوة أو حكمة. وهذا بالتحديد هو ما تفعلونه لأنكم في مرة صنعتم عجلًا مِن ذهب كما أنكم على الداوم تبدون غير شاكرين وقتلة الأبرار، منتفخين في كبريائكم بسبب نسبكم. وإذا كان ابن الله يقول بوضوح إنه لا بسبب أنه ابن، ولا بسبب قدرته وحكمته بل ومع أنه بلا خطية . فإن إشعيا النبي يقول إنه لم يخطئ ولو بكلمة "لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غشّ" (إش ٥٣: ٩) . فهو لا يستطيع أن يخلص بدون الله الآب[١٦٢]، فكيف تتوقعون أنتم أو غيركم أن تخلصوا بدون هذا الرجاء وكيف لا تدركون أنكم تخدعون أنفسكم؟"

الفصل المئة والثالث

"وكلمات المزمور التالية "لأن الضيق قريب، فإنه لا معين لي. أحاطت بي عجول كثيرة، اكتنفتني ثيران سمان. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مُفترِس مُزمجِر. كالماء انسكبَتْ وتفرَّقَت كل عظامي" هي نبوءة عن الأمور التي حدثت معه لأنه في تلك الليلة التي فيها قابله

[١٦٢] الكلام هنا عن الطبيعة البشرية المتحدة بالابن، حيث المقصود أن الابن قد أتم العمل الخلاصي في جسده هو أولًا ووحده بأبيه "ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا" (يو ١٧: ٢١) ثم ينقل إلينا بعد ذلك كل ما أتمه في جسده الخاص.

يكون المقصود بالأسد المزمجر هو الشيطان نفسه الذي دعاه موسى بالحية، وأسماه أيوب وزكريا: إبليس، ويسوع سماه "شيطان"[١٦٥] وهو اسم مُركَّب يدل على الأعمال التي يعملها؛ إذ إن المقطع "ساطان" في اللغتين العبرية والسريانية تعني "مُرتَد"، في حين المقطع "ناس" يعني "حية" وهما يشكلان كلمة واحده هي "ساطاناس". وقد جاء في كتابات الرسل أنه بمجرد خروج يسوع من نهر الأردن، وسماعه صوتًا يقول له "أنت ابني أنا اليوم ولدتك"[١٦٦]، جاء الشيطان ليجربه إلى درجة أنه قال ليسوع "اسجد لي" فأجابه المسيح: "اذهب عني يا شيطان فإنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت ٤: ١٠) وكان الشيطان قد نجح في خداع آدم فظن أنه يستطيع أن يؤذي المسيح أيضًا بشكل ما. إن عبارة: "كالماء انسكبَت وتفرَّقَت كل عظامي. صار قلبي كالشمع الذائب في داخلي" كانت نبوءة عن تلك الليلة التي فيها جاءوا إلى جبل الزيتون لإلقاء القبض عليه. ففي كتابات الرسل [أي الأناجيل] ومَن جاء بعدهم مكتوب أن عرقه كان يتصبب منه مثل قطرات الدم وهو يصلي قائلاً: "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس" (لو ٢٢: ٤٤) وكان قلبه يرتجف وأيضًا عظامه، وصار قلبه كالشمع الذائب في داخله، وذلك لكي نفهم أن الآب أراد له أن يتحمل هذه الآلام الشديدة لأجلنا ولكي لا نظن أنه بكونه ابن الله لا يشعر بما يجري له وبما يصيبه من ألم[١٦٧]. كما أن عبارة "يبستْ مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحلْقي" هي نبوءة عن صمته؛ إذ إن

---

[١٦٥] الكلمة باليونانية هي σατανᾶς وتُنطَق ساطاناس ويعكس هذا التفسير خبرة ق. يوستينوس المحدودة باللغة العبرية وربما يكون قد نقل هذا التفسير عن أرسطو من بيللا (Aristo of Pella).

[١٦٦] مز ٢: ٧ وربما كانت الآية التي يقصدها ق. يوستينوس هي: " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت ٣: ١٧)؛ انظر الحوار مع تريفون، فصل ٨٨.

[١٦٧] هنا يرد ق. يوستينوس على مذهب الدوسيتيين (أي الخياليين) الذين يقولون بأن تجسُّد المسيح لم يكن حقيقيًا وبالتالي كانت آلامه ظاهرية وليست حقيقية.

الذي أثبت أن جميع معلميكم تعوزهم الحكمة، لم يجب بكلمة دفاعًا عن نفسه."

الفصل المئة والرابع

"وكلمات المزمور: "إلى تراب الموت أحضرتني. لأنه قد أحاطت بي كلاب كثيرة، جماعة الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ، أحصوا كل عظامي. نظروا وتفرَّسوا فيَّ اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قُرعةً" كانت نبوءة ـ كما أوضحت لكم مِن قبل ـ عن نوع الميتة التي كان سيُحكم عليه بها من قِبل جماعة الأشرار الذين يدعوهم كلابًا وصيادين مؤكِدًا أن الذين ذهبوا ليصطادوه اتحدوا معًا ليستخدموا كل طريقة ممكنة لكي يدينوه. وهذا الحدث أيضًا مكتوب في كتابات الرسل. وقد ذكرت لكم أنه بعد صلبه اقتسم صالبوه ثيابه بينهم."

الفصل المئة والخامس

"والكلمات التي تليها في المزمور: "أما أنت يا رب فلا تبعد معونتك عني، التفت إلى معونتي، أنقذ من السيف نفسي ومِن يد الكلب ابنك الوحيد. خلِّصني من فم الأسد وأنقِذ اتضاعي من قرون بقر الوحش" وتظهِر هذه الكلمات الحال الذي سيكون عليه وما سيجري له. وقد أثبتُّ لكم أنه هو الابن الوحيد لأبي الكون كله، وُلِد منه؛ إذ هو كلمته وقوته. ثم صار إنسانًا ووُلِد مِن عذراء كما نعلم من كتابات الرسل[١٦٨]. وقد سبق فأخبرنا بموته عن طريق الصليب في هذه الكلمات: "أنقذ من السيف نفسي ومِن يد الكلب ابنك الوحيد. خلِّصني من فم الأسد ومن قرون وحيد القرن اتضاعي".

---

[١٦٨] انظر يو ١: ١٨.

كما جاء في كتابات الرسل. ها هي كلمات المزمور: "أخبِّر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبِّحك. يا خائفي الرب سبِّحوه، مجِّدوه يا كل نسل يعقوب، وخافوه يا كل نسل إسرائيل" ونحن نعلم مِن كتابات الرسل أن المسيح غيَّر اسم واحد من الرسل إلى بطرس كما غيَّر اسمَي الأخوين ابني زبدي إلى بوانرجس الذي يعني "ابني الرعد" مما يدل على أنه هو أيضًا الذي أعطى يعقوب اسم إسرائيل وأعطى هوشع [ابن نون] اسم يسوع [يشوع] الذي قاد الأحياء ممن خرجوا مِن أرض مصر إلى الأرض الذي وعد الله الآباء البطاركة بها. وقد تنبأ موسى بأن المسيح سوف يظهر مثل النجم مِن نسل إبراهيم؛ إذ قال: "يبزغ نجم من يعقوب ومُدبِّر مِن إسرائيل" (عد ٢٤: ١٧) وفي مكان آخر نقرأ: "هوذا الرجل. الشرق اسمه" (زك ٦: ١٢) ولذا عندما سطع نجم في السماء في وقت مولده كما يؤكد الرسل[١٦٩] علم المجوس بالحدث من هذه العلامة وجاءوا ليسجدوا له."

الفصل المئة والسابع

"وتشهد كتابات الرسل أيضًا أن المسيح قام مِن الأموات في اليوم الثالث بعد صلبه فقد أجاب اليهود المشاكسين الطالبين أن يريهم آية قائلا: "جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبي" (مت ١٢: ٣٩) ومع أن هذه الكلمات كانت غامضة إلا أن سامعيه استطاعوا أن يفهموا أنه سوف يقوم من الأموات في اليوم الثالث بعد صلبه. وبيَّن أيضًا أن جيلكم كان أكثر شرًا وفسقًا مِن أهل نينوى الذين أعلنوا صومًا لجميع الناس والحيوانات مع مسوح ونواح وتوبة صادقة وعزم ثابت لترك الخطية بإيمان أن الله رحوم وخيِّر لجميع الذين يبتعدون عن الخطية. وكان يونان - بعد أن قُذِف إلى البر من

---

[١٦٩] انظر مت ٢: ١٠ - ١١.

بطن الحوت في اليوم الثالث. قد أنذر أهل نينوى أنهم سوف يهلكون جميعًا في خلال ثلاثة أيام. وفي نسخ أخرى في خلال أربعين يوما[١٧٠]. حتى إن ملك هذه المدينة وعظماءها أيضًا لبسوا المسوح وصاموا وصلوا كثيرًا حتى أُنقِذَت المدينة. وعندما تضايق يونان لأن المدينة لم تهلك في اليوم الثالث كما أعلن، نبتت يقطينة مِن الأرض بتدبير مِن الله وجلس يونان تحتها يستظل من حرارة الشمس. وقد كانت اليقطينة قد نبتت مِن تلقاء ذاتها ليستظل يونان تحتها ولم يكن هو الذي غرسها أو رواها. وعندما يبست اليقطينة بتدبير مِن الله حزن عليها يونان، فوبخه الله على حزنه لنجاة مدينة نينوى قائلًا له: "أنت أشفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربيتها، التي بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت. أ فلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يسكن فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من يسارهم وبهائم كثيرة؟" (يونان ٤: ١٠ - ١١)."

الفصل المئة والثامن

وأنتم أيها اليهود على دراية جيدة بهذه الحقائق في حياة يونان وبالرغم من أن السيد المسيح أعلن لكم أنه سيعطيكم آية يونان طالبًا منكم أن تتوبوا عن خطاياكم على الأقل بعد قيامته من الأموات وأن تنوحوا أمام الله كما فعل أهل نينوى حتى لا تهلك أُمتكم ومدينتكم كما حدث ولكنكم لم ترفضوا التوبة بعد علمكم بقيامته من الأموات فحسب، بل أيضًا. كما قلتُ من قبل. اخترتم بعض الرجال وكلفتموهم ليطوفوا المسكونة جمعاء ويقولوا: "إن هرطقة كافرة ومخالفة للناموس أسسها رجل جليليٌّ مُضِل يُدعى

[١٧٠] الترجمة السبعينية تحدد عدد الأيام بثلاثة، ولكن النسخة العبرية تحدد عددها بأربعين. ويستشهد ق. يوستينوس هنا بنص السبعينية وقد يكون نص الجملة الإعتراضية هو إضافة من أحد نساخ كتابات ق. يوستينوس.

يسوع وقد صلبناه ولكن سرق تلاميذه الجسد من القبر ليلًا . حيث كان قد وُضِع بعد أن أُنزِل من على الصليب . وهم يحاولون الآن خداع الناس بتأكيدهم أنه قام مِن الأموات وصعد إلى السماوات"، كما أنكم تتهمونه بأنه علَّم هؤلاء التلاميذ تعاليمَ كافرة ومخالفة للناموس وشريرة، وأيضًا توجِّهون هذه التهم لكل الذين يعترفون به كمسيح ومعلِّم وابن لله. وأنتم تتوجون حماقتكم برفضكم حتى الآن أن تتوبوا بل تتحدونه وتلعنونه هو وأتباعه حتى بعد أن أُخِذَت مدينتكم ودُمِرَت كل بلادكم. أما بالنسبة لنا نحن المسيحيون، فنحن لا نكرهكم ولا نكره الذين صدَّقوا الإشاعات المغرضة التي روَّجتموها ضدنا، بل على العكس نحن نصلِّي لكي تُصلِحوا طرقكم فتجدوا رحمة عند الله الرؤوف كثير الرحمة أبي الكل."

الفصل المئة والتاسع

"اسمحوا لي الآن أن أذكر بعض الفقرات من سفر ميخا أحد الإثني عشر [الأنبياء الصغار]، لأثبت لكم أن الأمم سيتوبون عن حياتهم الخاطئة بعد سماعهم لتعاليم الرسل مِن أورشليم. وها هي ذي كلمات النبوءة: "وفي آخر الأيام يكون جبل الرب ظاهرًا وثابتًا على أعالي الجبال ومُرتفعًا فوق التلال وتجري إليه شعوب وتأتي أمم كثيرة ويقولون هلموا نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيُظهِر لنا طريقه ونسلك في سبُله لأنه مِن صهيون تخرج شريعة وكلمة الرب مِن أورشليم فيقضي بين شعوب كثيرة ويدين أممًا قوية حتى إلى أرض بعيدة فيكسرون سيوفهم ويجعلونها محاريثَ ورماحهم يجعلونها مناجل ولا ترفع بعد أُمَّة سيفًا على أُمَّة ولا يتعلمون الحرب فيما بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرتعب لأن فم رب الجنود تكلَّم. لأن جميع الشعوب يسلكون

له المعرفة التي لديهم. ولكن إن كان كل ما يستطيع معلموكم - على كثرة عددهم - تفسيره هو لماذا ذُكِرت إناث الجِمال في هذا الجزء من الكتاب المقدس ولم تُذكَر في ذلك الجزء الآخر؟[١٧٦] أو لماذا يُستخدَم كذا كيل مِن الدقيق الناعم وكذا كيل من الزيت في التقدمات؟ وهم يفسِّرون حتى هذه الأمور بشكل وضيع وتافه، في حين إنهم لا يذكرون ولا يفسرون الأمور الهامة التي تستحق الشرح. وبعملهم هذا أ لا يستحقون سماع كلمات الرب يسوع المسيح عنهم بأنهم "قبور مُبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ... تعشرون النعنع والشبت ... وتبلعون الجمل ... أيها القادة العميان"[١٧٧]؟ فلن تستفيدوا قط من الكتابات النبوية ما لم تبغضوا تعاليم هؤلاء المعلمين المتكبرين الذين يريدون أن يُنادَوا "ربي .. ربي"[١٧٨] وتطيعوا بإصرار وفهم كلمات الأنبياء وتحتملوا الإهانات ذاتها من شعبكم كما تحمَّلها الأنبياء."

الفصل المئة والثالث عشر

"وها هو مثال لما أريد أن أقوله. إن يسوع [يشوع] الذي كان اسمه هوشع - كما قلت قبلاً - قد سمَّاه موسى يسوع عندما أرسله كجاسوس مع كالب إلى أرض كنعان. وأنتم لا تتساءلون لماذا فعل موسى ذلك ولم تبحثوا عن السبب. ولذا فأنتم لم تكتشفوا المسيح، وعندما تقرأون عنه لا تفهمون وعندما تسمعوننا نقول إن يسوع هو مسيحنا لا تبحثون لتكتشفوا أنه أُعطي هذا الاسم بتدبير وليس مصادفةً. وبدلًا من ذلك أنتم تجرون مناقشة لاهوتية للبحث في مسألة

---

[١٧٦] تساءل معلمو اليهود لماذا ذُكِرت إناث الجِمال فقط في (تك ٣٢: ١٥)، بينما ذُكِرت الحيوانات الأخرى بنوعيها.

[١٧٧] انظر مت ٢٣: ٢٧.

[١٧٨] أي "يا معلِّم" انظر يو ١: ٣٨.

إضافة حرف الألف لاسم أبرآم والراء لاسم سارة[١٧٩]. ولكنكم لا تبحثون في مسألة تغير اسم هوشع بن نون الذي أعطاه له أبوه إلى يسوع [يشوع] الذي لم يتغير اسمه فقط بل هو أيضًا قد خَلَف موسى ومن بين معاصريه الذين نجوا مِن مصر كان هو وحده الذي قاد بقية الشعب إلى الأرض المقدسة. وكما أن يسوع [يشوع] وليس موسى هو الذي قاد الشعب إلى الأرض المقدسة وقسَّمها بالقرعة بين من دخلوها، هكذا أيضا يسوع المسيح سوف يجمع الشعب المتفرق ويوزع عليهم الأرض الجيدة ولكن ليس بذات الشكل، لأن يشوع أعطاهم ميراثًا لزمن معين فقط، إذ لم يكن هو المسيح إلهنا ولم يكن ابن الله. أما يسوع فقد أعطانا بعد قيامته المقدسة ميراثًا أبديًّا. وكان يسوع [يشوع] قد جعل الشمس تتوقف لأنه لُقِّب باسم يسوع [المسيح] ونال قوة من روحه القدوس. وقد أثبتُّ لكم أن يسوع هو الذي ظهر لموسى وإبراهيم وباختصار لجميع الآباء البطاركة وتحدث معهم بحسب إرادة أبيه، وهو أيضًا صار إنسانًا مِن مريم العذراء ويحيا إلى الأبد. وبعد مجيئه سوف يجدد الآب به السماء والأرض فهو الذي سيضيء في أورشليم كنور أبدي، وهو ملك ساليم وكاهن العليّ إلى الأبد على طقس ملكي صادق. ومِن المعروف أن يشوع أمر بختان الشعب للمرة الثانية بسكاكين من حجر صوان[١٨٠] . وقد كان هذا رمزًا لذلك الختان الذي به ختننا يسوع المسيح ذاته بفصلنا عن الأصنام المصنوعة من حجر ومن مواد أخرى . كما أن يشوع جمع غير المختونين . من خطايا العالم . وختنهم بحجر صوان أي بكلمات ربنا يسوع. وكما سبق أن قلت لكم إن الأنبياء كانوا يرمزون إليه بالحجر والصخر.

---

[١٧٩] بحسب الترجمة السبعينية فإن اسم ابرام (Αβραμ) باليونانية قد تغير إلى ابرآم (Αβρααμ) بإضافة حرف α واسم سارة (Σαρα) تغير إلى سارَّة (Σαρρα) بإضافة حرف ρ

[١٨٠] انظر يش: ٥: ٢ ، ٤ والحوار مع تريفون، الفصلين ٢٤ و ٩٤.

الفصل المئة والسادس عشر

"ولكي أشرح لكم بشكل أوضح إعلان يسوع المسيح القدوس سأواصل كلامي بالقول بأن رؤيا زكريا المذكورة من قبل قد أُعطِيَت لنا نحن الذين نؤمن بالمسيح رئيس الكهنة المصلوب. نحن الذين كنا قبلًا قد مارسنا الفسق وكل نوع من أنواع النجاسة والآن قد نزعنا عنا ثياب الخطية[١٨١] بالنعمة التي أنعم علينا بها يسوع المسيح بحسب إرادة أبيه. وعلى الرغم من أن الشيطان يقف بالقرب منا مستعد لمقاومتنا ولأسرنا جميعا له، إلا أن ملاك الرب - أي القوة التي أرسلت لنا بواسطة يسوع المسيح[١٨٢] - ينتهره فيذهب عنا. فنحن قد انتُشِلنا كما من نار عندما طهرنا الله مِن خطايانا السابقة وأنقذنا من نار التجارب التي يجربنا بها الشيطان وأعوانه. ومِن مثل هذه الأخطار ينتشلنا يسوع ابن الله، فهو قد وعد بأن يُلبِسنا الثياب المُعَدَّة لنا إن حفظنا وصاياه وسيكافئنا بملكوت أبدي. فكما أن يسوع [يهوشع] الذي دعاه زكريا النبي كاهنًا كان لابسًا ثيابا قذرة - لأنه قد قيل إنه تزوج بزانية[١٨٣] - والذي دُعيَ "شعلة منتشلة من النار" (زك ٣: ٢) لأن خطاياه قد غُفِرَت عندما انتهر الرب الشيطان الذي قاومه، هكذا نحن أيضًا الذين آمنا كرجل واحد بالله خالق الكل وباسم يسوع ابنه البكر، قد نُزِعَت عنا ثيابنا القذرة أي خطايانا. وبما أن نار دعوته قد اشتعلت فينا فنحن الآن النسل الكهنوتي الحقيقي الذي لله كما يشهد الله ذاته عندما يقول إنه "في كل

---

[١٨١] انظر زك ٣: ٣ - ٤.

[١٨٢] لا يتضح هنا المقصود بالضبط بالقوة المرسلة لنا من المسيح؛ فهل هي فعلًا ملاك أم المقصود هنا هو الروح القدس.

[١٨٣] ربما اختلط الأمر على قَ. يوستينوس بين يهوشع بن يهوصاداق الكاهن وهوشع النبي، أو أنه يشير هنا إلى التقليد اليهودي بأن الملابس القذرة توحي بزواج غير شرعي، أو إلى خطايا شعبه، أو إلى ذل السبي.

مكان في الأمم تُقدَّم إليه ذبائح طاهرة مرضية"[١٨٤] والله لا يقبل الذبائح من أحد إلا من خلال كهنته."

الفصل المئة والسابع عشر

"إن الله يشهد أن كل الذبائح التي تُقدَّم بهذا الاسم [يسوع المسيح] والتي أوصى يسوع بتقديمها التي هي الخبز والكأس في سر الأفخارستيا والتي يُقدِّمها المسيحيون في جميع أنحاء العالم هي مرضية أمامه ولكنه يرفض قبول ذبائحكم وتلك التي يقدمها كهنتكم؛ إذ يقول: "لا أقبل تقدماتكم من أيديكم لأنه من مشرق الشمس إلى مغاربها اسمي عظيم بين الأمم ... أما أنتم فنجستموه" (ملا ١: ١٠ - ١٢). وحتى الآن، بسبب حب الجدال، تقولون إن الله لم يقبل ذبائح الذين كانوا يسكنون حينئذ في أورشليم وقد دُعيوا إسرائيليين وإنه قال إن صلوات اليهود الذين كانوا في الشتات في ذلك الوقت كانت مرضية أمامه وإنه يدعوها ذبائح. وأنا أيضًا أعترف بأن الصلوات وتقدمات الشكر التي يقدِّمها الأبرار تُعتبَر الذبائح الوحيدة الكاملة والمرضية أمام الله وقد طُلِب مِن المسيحيين تقديم مثل هذه الصلوات فقط - حتى عند تقديم الشكر على أغذيتهم - كتذكار لذبيحة الآلام التي تحملها ابن الله لأجلنا. ولكن رؤساء كهنتكم ومعلميكم تسببوا في أن يُجَّدف على اسمه ويُنجَّس في العالم أجمع. وأما هذه الثياب القذرة - أي الأباطيل - التي تضعونها على كل الذين يصيرون مسيحيين باسم يسوع فسوف يطرحها الله عنا عندما يقيمنا جميعًا الى عدم الفساد والخلود والتحرر من الألم في ملكوت أبدي لا يفنى ويطرد الآخرين إلى عذاب النار الأبدي. ولكنكم أنتم ومعلميكم تخدعون أنفسكم عندما تفسرون هذا

[١٨٤] انظر إش ٦٦: ٢١ ؛ رو ١٥: ١٥ - ١٧ ؛ ١بط ٢: ٩.

النص مِن الكتاب على أنه يشير إلى يهود الشتات مؤكدين أن النص يقول إن صلواتهم وتقدماتهم كانت طاهرة ومرضية في كل مكان. فعليكم أن تدركوا أنكم تكذبون وتحاولون بكل وسيلة أن تخدعوا أنفسكم. أولًا، لأن أمتكم الآن لا تمتد مِن مشارق الشمس إلى مغاربها، لأنه توجد أمم لم يحيا بينها أي واحد مِن جنسكم حتى الآن. ولكن لا يوجد جنس واحد من الناس؛ سواء البربر أو اليونانيون أو أيًّا كان اسمهم، مِن البدو أو المتشردين أو الرعاة ساكني الخيام، لا يُقدِّمون صلوات وتشكرات باسم يسوع المصلوب إلى الآب خالق الكل. وثانيًا لأن الكتاب المقدس يُرينا بوضوح أنه في ذلك الزمن حين كتب ملاخي النبي هذا الكلام لم يكن الشتات على وجه الأرض قد حدث بعد لشعبكم كما هو حادث الآن."

الفصل المئة والثامن عشر

"فالأفضل لكم أن تتركوا الجدل والمعارضة وتتوبوا قبل أن يأتي عليكم يوم الدينونة العظيم حينئذ تنوح جميع قبائلكم التي صلبت المسيح، كما بيَّنتُ لكم من الكتاب المقدس[١٨٥]. والآن قد شرحت لكم معنى الآية التي تقول "أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق"[١٨٦]. كما بيَّنتُ أيضًا أن نبوءة إشعيا: "وفي دفنه يُرفَع مِن الوسط" (إش ٥٣: ٨) تشير إلى أن المسيح سيُدفَن ويقوم ثانيةً. وقد ذكرت بالتفصيل أن المسيح ذاته سيدين الأحياء والأموات. وقد تحدَّث ناثان عنه لداود قائلاً: "أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا ... ولكن رحمتي لا أنزعها منه كما نزعتها مِن الذين قبله بل أُثبِّته في بيتي وفي مملكته إلى الأبد"[١٨٧]. ويقول حزقيال

---

[١٨٥] انظر الحوار مع تريفون، فصل ٣٣.

[١٨٦] مز ١٠٩: ٤ (في البيروتية مز ١١٠: ٤).

[١٨٧] ٢ مل ٧: ١٤ - ١٥ (في البيروتية ٢ صم ٧: ١٤ - ١٥) انظر الحوار مع تريفون، فصل

النبي[١٨٨] إنه سيكون الرئيس الوحيد في البيت لأنه هو الكاهن المختار والملك الأبدي والمسيح لأنه هو ابن الله. ولا تظنوا أن إشعيا أو الأنبياء الآخرين يتحدثون عن ذبائح دموية أو تقدمات تُقدَّم على المذبح في مجيئه الثاني بل فقط ذبائح تسبيح روحية حقيقية وذبائح شكر. نحن لم نؤمن عبثًا ولم يضلنا معلمونا، ولكننا بعناية إلهية عجيبة وُجِدنا أكثر فهمًا وتدينًا منكم وذلك من خلال دعوة العهد الجديد الأبدي - أي دعوة المسيح - مع أنكم مِن المفترض أن تكونوا أناسًا أذكياء محبين للرب ولكنكم لستم كذلك. ويقول إشعيا في تعجب: "يسد ملوك فمهم لأن من لم يُخبَّروا به ومَن لم يسمعوا فهموا. يا رب من صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب؟" (إش ٥٢: ١٥ ؛ ٥٣: ١).

وواصلتُ كلامي قائلًا: "يا تريفون أنا أحاول على قدر الإمكان أن أكرر بإيجاز وتركيز ما سبق أن قلته لكم لأجل الذين جاءوا معكم اليوم."

قال تريفون: "حسنًا، وحتى إذا كررت الكلام ذاته بإسهاب، تأكد أننا كلنا سوف نستمع إليك بسرور."

الفصل المئة والتاسع عشر

قلت: "هل تظنون أيها السادة أننا نقدر أن نفهم معنى هذه النصوص مِن الكتاب المقدس بدون نعمة خاصة مِمَن أوحى بهذه النصوص لكي تتحقق الكلمات التي تكلَّم بها موسى قائلًا: أغاروني بالأجانب وأغاظوني بأرجاسهم. ذبحوا لشياطين لم يروها أحداث قد جاءت من قريب لم يعرفها آباؤهم. الله الذي ولدك تركته

٣٩، حاشية ٦٣.

[١٨٨] انظر حز ٤٤: ٣.

من ذُخِّرَ له وهو رجاء الأمم". إذن فالمسيح قد جاء كما أثبتُّ لكم بالتفصيل، ومن المنتظر أن يأتي ثانيةً على السحاب. سيأتي هذا الذي قد نجستُم اسمه وتسعون للتجديف عليه في العالم أجمع. وقد كنت قادرًا أيها السادة أن أجادلكم بخصوص النص الذي تترجمونه هكذا "حتى تأتي الأشياء المُذخَّرة له" بالرغم من أن السبعين [شيخًا] لم يترجموها هكذا بل ترجموه: "حتى يأتي مَن ذُخِّرَ له" وبما أن العبارة التي تلي هذا تشير بوضوح إلى المسيح "وهو رجاء الأمم" فأنا لا أريد أن أدخل في مجادلة لفظيَّة معكم، كما أنني لم أعتمد في الإثباتات التي أوردتها عن المسيح على النصوص الكتابية التي لا تعترفون بها - والتي اقتبستها مِن إرميا وعزرا وداود - بل اعتمدتُ حتى الآن على تلك النصوص التي تعترفون بها[١٩١] والتي لو كان معلموكم قد فهموها لحذفوها بالتأكيد كما فعلوا مع النصوص التي تصف موت إشعيا الذي نشرتموه أنتم أيها اليهود إلى نصفين بمنشار[١٩٢]. وقد كان هذا الحدث أيضًا رمزًا للمسيح الذي سوف يقسم أمتكم إلى نصفين، يدخل النصف المستحق إلى ملكوته الأبدي مع الأنبياء والبطاركة القديسين، أما الآخرون فسيحكم عليهم بلهيب نار أبدية مع جميع الأمم الرافضة للطاعة والتوبة. فقد قال الرب "إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١١ - ١٢) و ليس لي في كلامي هذا سوى هدف واحد وهو أن أقول الحق وفي هذا لن أخاف حتى إذا مزقتموني إربًا. حيث إني

---

[١٩١] في هذه الفقرة يوضح ق. يوستينوس سبب عدم اقتباسه حتى هذه الفقرة من أسفار العهد الجديد أو الأسفار التي لا يعترف بها اليهود مِن العهد القديم حتى لا يدخل في مجادلات جانبية مع اليهود بشأن قانونية الأسفار كي يصل مباشرةً إلى هدفه، وهو إثبات أن يسوع هو المسيح.

[١٩٢] انظر عب ١١: ٣٧ ؛ وأيضًا (*Martyrdom of Isaias*) و(*Ascension of Isaias*)

حين عيونكم غير مفتوحة أي أنكم عميان وصم وهم مستنيرون، والأكثر سخفًا هو القول بأن الناموس أُعطيَ للأمم وأنكم لا تعرفون هذا الناموس. ولو كان الأمر هكذا لخفتم من غضب الله ولما كنتم أبناء ضالين بلا ناموس، بل أبناء خائفين أن تسمعوه يقول مرارًا وتكرارًا "أولاد لا أمانة فيهم" (تث ٣٢: ٢٠) وأيضًا "من هو أعمى إلا عبيدي وأصم إلا قادتهم؟ قد عمي عبيد الرب، تنظرون كثيرًا ولا تلاحظون، آذانكم مفتوحة ولا تسمعون" (إش ٤٢: ١٩ - ٢٠) هل يمدحكم الله؟ هل شهادة الله عنكم تليق بكم كعبيد له؟ ومع أنكم كثيرًا ما تسمعون مثل هذه إلا أنكم لا تستحون ولا ترتجفون عندما يهددكم الله لأنكم شعب غبي ومعاند. لذلك يقول الرب "لذلك هأنذا أعود وأُبعِد هذا الشعب، سأبعدهم وأنزع حكمة حكمائهم وأخفي فهم فهمائهم" (إش ٢٩: ١٤) وهو بعدل يفعل هذا لأنكم بلا حكمة وبلا فهم، بل تتسمون بالمكر والغدر. لكم الحكمة فقط في الأعمال الشريرة ولا تصلحون لمعرفة مشورة الله الخفية أو عهد الله الصادق ولا لأن تجدوا الطرق الأبدية. ولهذا السبب يقول: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم على بيت إسرائيل وبيت يهوذا زرع إنسان وزرع حيوان" (إر ٣١: ٢٧) وبفم إشعيا يتحدث الله عن إسرائيل آخر: "في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثالثًا للمصريين والأشوريين. مُبارَكًا في الأرض التي باركها رب الجنود قائلًا: مبارك شعبي الذي في مصر وفي آشور وميراثي إسرائيل" (إش ١٩: ٢٤ - ٢٥) وبما أن الله يبارك هذا الشعب ويدعوه إسرائيل ويعلن بوضوح أنه ميراثه، فلماذا لا تشعرون بالندم على خداع أنفسكم في تصوركم أنكم وحدكم إسرائيل لاعنين هؤلاء الذين باركهم الله حتى إنه قال لأورشليم والمنطقة المحيطة "أُمشِّي الناس عليكم شعبي إسرائيل فيرثونكم فتكونون لهم ميراثًا ولا تعود بعد تثكلهم" (حز ٣٦:١٢).

قال تريفون: "هل تعني بقولك هذا أنكم أنتم إسرائيل وأن الله يقول كل هذا عنكم؟"

قلت: "لو أنني لم أكن قد ناقشت هذه المسألة من كل ناحية لظننت أنك تسأل هذا السؤال عن جهل، ولكنني قدمت براهين قد وافقت أنت عليها، ولذا لا أستطيع أن أصدق أن سؤالك جاء عن جهل بما قلته أو عن رغبة في المراوغة، بل هو من باب التحدي لكي أكرر هذه البراهين لأجل الذين انضموا إلينا موخرًا."

وبعدما أومأ برأسه بالموافقة استطردت قائلاً: "إن كان لكم آذان اسمعوا الله في سفر إشعيا يتكلَّم عن المسيح برمز ويدعوه يعقوب وإسرائيل: "يعقوب عبدي أعضده، إسرائيل مختاري أضع روحي عليه فيُخرِج الحق للأمم. لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مُدخِّنة لا يطفئ. بل يجعل الحكم للحق. يُشرِق ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وعلى اسمه تتكل الأمم." (إش ٤٢: ١ - ٤) إذن كما دُعيَ جميع شعبكم باسم أبيكم وهو يعقوب المُلقَّب إسرائيل، فهكذا نحن أيضًا الذين نطيع وصايا المسيح دُعينا باسم المسيح الذي ولدنا لله مثل يعقوب وإسرائيل ويهوذا ويوسف وداود، ونحن نُدعى ونكون أبناء حقيقيين لله."

الفصل المئة والرابع والعشرون

وعندما لاحظت أن مستمعيَّ قد أقلقهم القول بأننا نحن المسيحيين أبناء الله، فقلت لهم قبل أن يعترضوا: "أيها السادة، اسمعوا الروح القدس يقول إن هذا الشعب جميعه أبناء العلي وإن المسيح سيكون حاضرًا في مجمعهم يصدر حكمًا على جميع الشعوب. وها هي ذي كلماته بفم داود كما تترجمونها[١٩٩] "الله قائم في مجمع

[١٩٩] في الأغلب يقصد ق. يوستينوس الترجمة التي قام بها أكيلا مِن النص العبري حوالى

الله. في وسط الآلهة يقضي: حتى متى تقضون جورًا وترفعون وجوه الأشرار؟ اقضوا للذليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجُّوا المسكين والفقير. مِن يد الأشرار أنقذوا. لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يمشون. تتزعزع كل أسس الأرض. أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم. لكنكم مثل إنسان[٢٠٠] تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون. قم يا الله دِن الأرض لأنك أنت تمتلك كل الأمم"[٢٠١]. وفي الترجمة السبعينية مكتوب "مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون" إشارة إلى عصيان الناس - أي آدم وحواء - وسقوط أحد الرؤساء أي الحية التي سقطت سقوطا عظيمًا لأنها خدعت حواء. ولكنني لا أنوي أن أخوض في هذه النقطة بل أن أثبت لكم أن الروح القدس يوبِّخ الناس الذين خُلِقوا على صورة الله، متحررين من الألم والموت بشرط إطاعة وصاياه، وحُسِبوا مستحقين أن يُدعَوا أبناء الله ولكنهم مثل آدم وحواء جلبوا الموت على أنفسهم، فلكم أن تفسروا المزمور السابق كما شئتم. لقد بيَّن لنا المزمور أنهم حُسِبوا مستحقين أن يصيروا آلهة ويكون لهم السلطان أن يصيروا أبناء العلي[٢٠٢]، إلا أنهم سقطوا تحت الحكم والدينونة كما حدث مع آدم وحواء. كما أثبتُّ لكم بإسهاب أن الروح القدس يدعو المسيح الله."

---

١٣٠ م ليستخدمها اليهود الناطقين باليونانية بدلًا مِن الترجمة السبعينية التي تراجع اليهود عن استخدامها بسبب استخدام المسيحيين لها. ومن الملاحظ أن هذا الاقتباس يتطابق مع النص العبري وترجمته الموجودة في النسخة البيروتية المتداولة.

[٢٠٠] (ὡς ἄνθρωποι) "مثل إنسان" هي الترجمة الصحيحة للكلمة العبرية (כְּאָדָם) وقد استخدمها ق. يوستينوس في الاقتباس الذي أورده مع أن معظم الترجمات المتداولة للنص العبري الماسوري توردها "مثل الناس".

[٢٠١] مز ٨١: ١ - ٨ في السبعينية (في البيروتية مز ٨٢: ١ - ٨).

[٢٠٢] انظر يو ١: ١٢.

الفصل المئة والخامس والعشرون

قلت: "أيها السادة، أتمنى أن تُعرِّفوني مغزى اسم "إسرائيل"."

ولما لم يُجِب أحد واصلت كلامي: "حسنًا سأخبركم بما أعرفه لأنني أعتقد أنه لا يصح ألّا أشارك الآخرين شيئًا مما أعرف، كما لا يصح أن أشعر بالقلق باستمرار بسبب الشك في أنكم تعرفون إجابة سؤالي ولكنكم تخدعون أنفسكم بدافع الحسد أو التظاهر بعدم المعرفة. وأنا لا أتردد لحظة في أن أصارحكم ببساطة ووضوح كما قال ربي: "خرج الزارع ليزرع. وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق ... وسقط آخر على الأماكن المحجرة ... وسقط آخر على الشوك ... وسقط آخر على الأرض الجيدة" (مت ١٣: ٣ - ٨) ولذا على المرء أن يتحدث آملاً في أن يقع كلامه على أرض جيدة. لأن إلهي القوي القدير سيطلب عند مجيئه ما له مِن الجميع، فهو لن يرفض ذلك العبد الذي وضع وزناته عند الصيارفة لأنه يعلم أن إلهه قوي وسوف يجيء ثانية ليطلب عائد ما له، فلم يمضِ ليخفي وزنته في الأرض مهما كان السبب[٢٠٣].

إن اسم إسرائيل يعني "إنسانًا يتغلب على قوة" لأن "إسرا" تعني إنسان يتغلب، و "إيل" تعني قوة[٢٠٤]. وقد جاءت نبوءة بأن المسيح سوف يفعل هذا عندما يتجسد، وهذه النبوءة تتمثل في سر صراع يعقوب مع الله الذي ظهر له، مما يشير إلى أن المسيح خدم إرادة الله مع أنه هو الله بكونه بكر كل الخليقة. فبعد تجسده ـ كما ذكرت قبلاً ـ جاءه إبليس ـ أي تلك القوة المدعوَّة أيضًا الحية والشيطان ـ ليجرِّبه ويحاول أن يتغلب عليه طالبًا منه أن يسجد له. ولكن المسيح تغلَّب

---

[٢٠٣] انظر مت ٢٥: ١٨ ـ ٢٧.

[٢٠٤] انظر الحوار مع تريفون فصل ١٠٣.

عليه وسحقه تمامًا وأدانه على شره ومخالفته للكتب المقدسة؛ إذ طلب أن يُسجَد له ومن ثم صار مرتدًّا عن إرادة الله، فكان هذا رد المسيح "مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت ٤: ١٠) فتركه إبليس بعدما صار مهزومًا ومويَّخًا. وعندما ضرب المسيح حُق فخذ يعقوب كان يشير إلى أنه هو أيضا سيُضرب ـ بآلام نفسية وجسدية ـ عند صلبه.

ولكن اسم المسيح منذ القديم كان إسرائيل، هذا الاسم الذي منحه ليعقوب المُبارَك عندما باركه باسمه معلنًا بذلك أن جميع الذين يأتون إلى الآب به هم جزء مِن إسرائيل المبارك. أنتم لم تفهموا شيئًا من هذا ولا تحاولون أن تفهموا، بل فقط لكم ثقة في أن تخلصوا لمجرد أنكم من نسل يعقوب بالجسد، وفي هذا أيضًا أنتم تخدعون أنفسكم كما أوضحت مرارًا وتكرارًا."

الفصل المئة والسادس والعشرون

قلت: "ولكن، يا ترفون، لو كنت تعلم من هو الذي دعاه حزقيال ذات مرة "ملاك المشورة العظمى"[٢٠٥] ومرة أخرى دعاه إنسانًا، ودعاه دانيال ابن إنسان ودعاه إشعيا طفلًا ودعاه داود مسيحًا وربًّا مسجودًا له، ودعاه أنبياء كثيرون مسيحًا وحجرًا، ودعاه سليمان الحكمة، ودعاه موسى "يوسف" و "يهوذا" و "نجمًا" ودعاه زكريا الشرق، ودعاه إشعيا أيضًا المتألِّم ويعقوب وإسرائيل والعصا والزهرة وحجر الزاوية وابن الله. لو كنت تعلم من هو لما جدَّفتَ عليه، وهو الذي أتى واتخذ طبيعة بشرية وتألَّم وصعد إلى السماء وسيأتي ثانية، حينئذ تبكي وتنوح عليه أسباطكم الاثنا عشر. حقًّا لو أنكم فهمتم كلمات الأنبياء لما أنكرتم أنه الله والابن الوحيد لله

[٢٠٥] هذا الوصف جاء في سفر إشعيا وليس حزقيال.

غير الموصوف غير المولود[٢٠٦]. فإن موسى النبي يقول في سفر الخروج: "ثم كلَّم الله موسى وقال له أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بكوني إلههم. ولم أُعرِّفهم اسمي وأقمت عهدي معهم" (خر ٦: ٢ - ٤) وأيضًا في قوله إن يعقوب "صارعه إنسان" فهو يؤكد أن هذا الإنسان هو الله؛ إذ يقول يعقوب "لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونجَت نفسي" (تك ٣٢: ٢٤ - ٣٠) كما يشهد موسى أن يعقوب دعا المكان الذي ظهر له الله فيه وصارعه وباركه "وجه الله". ويعلن موسى أيضًا أن الله ظهر لإبراهيم قرب بلوطات ممرا وهو جالس عند باب خيمته وقت الظهر فيقول: "فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم" (تك ١٨: ١ - ٢) وبعد قليل وعد أحدهم إبراهيم بابن "فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: أ فبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن" (تك ١٨: ١٣ - ١٤) ثم يقول [الكتاب] عنهم أيضًا: "ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم" (تك ١٨: ١٦) ثم قال الكائن والذي كان لإبراهيم "هل أخفي عن عبدي إبراهيم ما أنا فاعله؟" (تك ١٨: ١٧)."

ثم اقتبست باقي كلمات موسى التي تلت هذه وشرحتها[٢٠٧]، وواصلت كلامي قائلاً: "من هذه النصوص قد ثبت بشكل نهائي أن الذي ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب وبطاركة آخرين ودُعيَ إلهًا قد عُيِّن من قِبَل الله الآب ليتمِّم به مشيئته[٢٠٨]."

ثم أضفت ما لم أكن قد ذكرته من قبل: "وهكذا أيضًا، عندما اشتهى الشعب أن يأكل لحمًا ولم يكن لموسى إيمان بالذي يُدعى ملاك عندما وعد أن الله سيعطيهم [لحمًا] حتى الشبع، هذا الذي

---

٢٠٦ انظر الدفاع الأول، فصل ١٤.
٢٠٧ انظر الحوار مع تريفون، فصل ٥٦.
٢٠٨ انظر يو ٥: ٣٠.

هو ملاك وإله[٢٠٩] أرسله الآب ليقول ويفعل كل هذا، فيقول الكتاب المقدس: "فقال الرب لموسى هل تقصر يد الرب؟ الآن ترى أ يوافيك كلامي أم لا" (عد ١١: ٢٣). وفي مكان آخر: "الرب قال لي لا تعبر هذا الأردن. الرب إلهك الذي يسير قُدَّامك. هو يبيد هؤلاء الأمم" (تث ٣١: ٢ - ٣)."

الفصل المئة والسابع والعشرون

"والأقوال الأخرى التي قالها معطي الناموس والأنبياء تتشابه مع هذه التي ذكرتها، وأظن أنني أوضحت بما فيه الكفاية أنه عندما يقول الله "صعد الله عن إبراهيم" (تك ١٧: ٢٢) أو "إن الرب كلم موسى" (خر ٦: ٢٩) أو "نزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما" (تك ١١: ٥) أو "وأغلق الرب الفلك على نوح مِن الخارج" (تك ٧: ١٦) فلا ينبغي أن تظنوا أن الله الآب ذاته هو الذي نزل وصعد لأن الآب غير الموصوف و رب الكل لا يأتي إلى أي مكان ولا يمشي ولا ينام ولا يقوم، بل يظل على الدوام في مكانه أينما كان هذا المكان ناظرًا وسامعًا بكل دقة ليس بعيون أو آذان بل بقوة تفوق الوصف، فهو يعاين كل الأشياء ويعرف كل الأشياء ولا يستطيع أحد منا أن يغيب عن نظره. وهو أيضًا لا يتحرك؛ إذ لا يحويه مكان ولا حتى الكون كله لأنه موجود قبل خلق الكون، فكيف يتكلَّم مع أحد أو يراه أحد أو يظهر في مكان ما من العالم في حين أن الشعب لم يستطع رؤية مجد ذاك الذي أرسله هو في سيناء؛ ولم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع التي بناها عندما ملأها بهاء مجد الله، ولم يقدر الكاهن أن يظل واقفًا أمام القدس عندما أدخل سليمان تابوت العهد إلى البيت الذي قد بناه له في أورشليم؟ فلا

---

[٢٠٩] انظر الدفاع الأول، فصل ٦٣.

إبراهيم ولا إسحق ولا يعقوب ولا أي إنسان آخر رأى الآب غير الموصوف و رب كل الخليقة و رب المسيح ذاته[٢١٠]، ولكنهم قد رأوا ابن الله، الملاك الذي خدم إرادة الآب ومشيئته، هذا الذي بإرادته وُلِدَ مِن عذراء وهو الذي ظهر في شكل نار عندما كلَّم موسى مِن العليقة وما لم نفسِّر الأسفار المقدسة بهذه الطريقة فسنضطر إلى القول بأن الآب و رب الكل لم يكن في السماء عندما حدث ما وصفه موسى "فأمطر الرب على سدوم نارًا وكبريتًا مِن عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤) وأيضًا عندما قيل بفم داود: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد"[٢١١] وأيضًا في قوله: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك[٢١٢]." "

الفصل المئة والثامن والعشرون

"لقد حرصت أن أثبت لكم بإسهاب أن المسيح هو الرب وهو الله؛ إذ إنه ابن الله وإنه في القديم ظهر بقوته كإنسان وكملاك وفي مجد النار كما في العليقة، وكان حاضرًا لتنفيذ الحكم ضد سدوم. وبعد أن أعدت على مسامعهم كل الذي ذكرته من سفر الخروج عن الرؤيا في العليقة وتسمية ابن نون "يسوع" [يشوع] أكملت قائلًا: لا تظنوا أيها السادة أنني أردد الكلام باطلًا؛ إذ أكرر ما أقول. فأنا أفعل هذا لأنني أعلم أن البعض منكم بصدد القول بأن القوة التي أرسلها أبو الكل وظهرت لموسى وإبراهيم ويعقوب دُعيَت ملاكًا لأنه أُرسِل إلى بشر - وبهذه القوة ينقل الآب رسائله إلى البشر - كما دُعيَ مجدًا لأنه يظهر أحيانًا في رؤى لا يمكن احتمالها، ودُعيَ إنسانًا

---

[٢١٠] ينبغي أن تُفهَم هذه العبارة في سياق سر الإخلاء والتدبير الإلهي لخلاصنا مثلها مثل قول المسيح على الصليب "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مت ٢٦: ٤٧).

[٢١١] مز ٢٣: ٧ (في البيروتية مز ٢٤: ٧).

[٢١٢] مز ١٠٩: ١ (في البيروتية مز ١١٠: ١).

لأنه يظهر في هيئات كهذه بحسب مشيئة الآب، ودُعيَ الكلمة لأنه يعرِّف الناس كلام الآب. ولكن البعض يعلِّمون[٢١٣] بأن هذه القوة لا تنقسم أو تنفصل عن الآب، كما أن نور الشمس على الأرض لا ينقسم أو ينفصل عن الشمس في السماء؛ فعندما تغرب الشمس يختفي نورها من على الأرض. ومن هنا يدَّعون أن الآب يرسل قوته متى أراد ويرجعها ثانية متى أراد، ويُعلِّمون بأن الآب صنع الملائكة بهذه الطريقة، إلا أنه ثبت أن الملائكة يبقون على الدوام [ملائكة] ولا يعودون ثانية إلى الشكل الذي خُلِقوا منه. ولقد أوضحت بالتفصيل أن هذه القوة التي يُسمِّيها الأنبياء "اللّه" و "ملاك" لا يُعتبر مُختلفًا فقط من حيث الاسم مثل نور الشمس بل أيضًا يتمايز مِن حيث العدد[٢١٤] كما سبق أن شرحت بإيجاز أن هذه القوة هو مَن وُلِدَ مِن الآب بقدرته وإرادته، لكن ليس عن طريق الانفصال، وليس كأن جوهر الآب انقسم لأن الأشياء إذا انقسمت لا تعود كما كانت قبل الانقسام. ولشرح هذه النقطة ذكرتُ مثال النار التي تشتعل مِن نار أخرى، علمًا بأن النيران المشتعلة تتميز عن النار الأصلية التي مع أنها تشعل نيرانًا أخرى إلا أنها تظل هي النار نفسها بلا نقصان."

الفصل المئة والتاسع والعشرون

"ولإثبات هذه النقطة سأعيد لكم الآن بعض نصوص من الكتاب المقدس كنت قد ذكرتها قبلًا. عندما يقول الكتاب المقدس: "أمطر الرب... نارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤) فهو يشير إلى أنهما إثنان في العدد، أحدهما على الأرض وقد جاء

---

[٢١٣] المقصود هنا هم بعض اليهود مثل فيلو اليهودي (Philo Judaeus) أو بعض المسيحيين مثل هرطقة المونارکيين (Monarchians) ومن أمثلتهم نيتوس (Noetus) وبراكسياس (Praxeas) وبولس الساموساطي (Paul of Samosata)

[٢١٤] في علاقته مع أقنومي الآب والروح القدس

ليشهد على صراخ سدوم، والآخر في السماء الذي هو رب الرب الذي على الأرض وكأبيه وإلهه فهو علَّة وجوده[٢١٥] وقوته وربوبيته وإلوهيته. وعندما يذكر الكتاب أن الله قال في البدء: "هوذا آدم قد صار كواحد منا" (تك ٣: ٢٢) وتعبير "كواحد منا" يدل على وجود عدد [أكثر من واحد] ولا يمكن أن تفسر هذه العبارة بطريقة مجازية كما يحاول السوفسطائيون أن يفعلوا، فهم لا يقدرون أن يعرفوا الحق ولا أن يتكلموا به. ويقول سفر الأمثال "وإن عرَّفتكم ما يحدث يومًا فيوم فسأذكر ما كان منذ البدء الرب قناني أول طُرُقِه لأجل أعماله. قبل الدهر أسَّسني، في البدء قبل أن يخلق الأرض وقبل أن يخلق الهاوية، قبل أن توجَد ينابيع الغمر وقبل أن تُثبَّت الجبال، وقبل أن تكون كل التلال وَلَدَني" (أم ٨: ٢١ - ٢٥)."

وعندما كررت هذا الكلام أضفت: "أيها السادة، إذا كنتم قد تابعتم كلامي بدقة فسترون أن الكتاب يعلن أن الابن مولود من الآب قبل كل الخليقة، وستعترفون جميعًا أن الابن المولود يتمايز عدديًّا عن الآب الذي ولده[٢١٦]."

الفصل المئة والثلاثون

وبعد موافقتهم على ما قلت، واصلت كلامي قائلًا: "اسمحوا لي الآن أن أذكر بعض نصوص الكتاب المقدس التي لم أذكرها من قبل، وهي نصوص كتبها موسى الخادم الأمين بشكل رمزي، وهي كما يلي: "هللي له أيتها السماوات وليسجد له كل ملائكة الله

---

[٢١٥] أي أن الآب هو علة وجود أقنوم الابن؛ إذ هو مولود منه حسب الطبيعة. وقد أدى هذا الشرح إلى التمادي في القول بأن الآب هو علة ربوبية والوهية الابن. وهذا بالضبط هو ما جعل ق. أثناسيوس يتجنب استخدام تعبير "العلة" ويفضل عنه تعبير "الولادة" فالله آب ليس لأنه علة وجود الابن ولكن لأنه هو أبو الابن.

[٢١٦] التركيز هنا على التمايز بين الأقانيم الثلاثة من حيث العدد وليس من حيث الجوهر؛ إذ هم جوهر واحد.

ظلت قائمة بعد زمن ابن نون وكان الله يريد أن يوضح أنه بالمسيح المصلوب تنهزم الشياطين وترتعد عند سماع اسمه، كما ترتجف السلطات والممالك أمامه، وأن الذين يؤمنون به من كل الأجناس سيكونون تقاة ومسالمين، والأحداث التي وقعت يا تريفون تثبت صحة هذه النبوءات. وعندما اشتهيتم اللحم أرسل الله لكم طائر السلوى بأعداد لا تُحصى. ولأجلكم تفجرت مياه مِن صخرة، كما أن سحابة ظللتكم مِن الحر ومِن البرد إشارة إلى وعد بسماء جديدة أخرى؛ ولم تتمزق أربطة أحذيتكم، كما أن ملابسكم وأحذيتكم لم تبلَ، وحتى ملابس أطفالكم كانت تكبر كلما كبروا."

الفصل المئة والثاني والثلاثون

"وعلى الرغم من كل هذا، صنعتم العجل الذهبي وأسرعتم إلى الزنى مع بنات الأجانب وإلى عبادة الأوثان. وفعلتم هذه الأمور عينها حتى بعد أن تسلمتم أرض الموعد بقوة إعجازية حتى إنكم أبصرتم الشمس تتوقف في السماء ولم تغرب لمدة ٣٦ ساعة[٢١٩] بأمر ذاك الذي دُعيَ اسمه يسوع [يشوع] كما رأيتم جميع المعجزات الأخرى التي حدثت كُلًّا في حينها لأجلكم. وأذكر الآن إحدى هذه المعجزات لأنها تساعدكم لتعرفوا من هو يسوع الذي نؤمن أنه هو المسيح ابن الله الذي صُلِب وقام مِن الموت وصعد إلى السماء وسيأتي ثانيةً ليدين كل إنسان عاش على الأرض حتى آدم ذاته. وأنتم تعلمون بالتأكيد أنه عندما حمل العدو تابوت العهد إلى أشدود[٢٢٠] ثم أصيبوا بأمراض شديدة، فقرروا أن يضعوا التابوت على عربة تجرها بقرتان ولدتا حديثًا، وذلك لمعرفة ما إذا كانوا قد ضُرِبوا بقوة الله بسبب التابوت

---

[٢١٩] انظر حكمة سيراخ ٤٦: ٥.

[٢٢٠] انظر ١صم ٥.

خدم حتى إلى الصليب شعوبًا من كل لون وكل جنس مخلِّصًا إياهم بدمه وبسر الصليب، وكما كانت عينا ليئة ضعيفتين[٢٢٧]، هكذا أيضًا عيونكم الروحية ضعيفة للغاية. وكما سرقت راحيل آلهة لابان[٢٢٨] وخبأتها إلى يومنا هذا، هكذا نحن أيضا أزلنا عنا آلهة أجدادنا والآلهة المادية. وقد كان يعقوب مكروهًا مِن أخيه[٢٢٩] كما أننا والرب ذاته مكروهون منكم ومِن جميع الناس الآخرين مع أننا بالطبيعة إخوة. وقد لُقِّب يعقوب إسرائيل[٢٣٠] وقد ثبت أن المسيح هو إسرائيل وهو أيضًا يُدعى يسوع."

الفصل المئة والخامس والثلاثون

"وعندما يقول الكتاب "أنا الرب الإله قدوس إسرائيل، مَن أظهر إسرائيل ملككم" (تك ٣٢: ٢٨) أ لا توافقونني على أن المقصود هو المسيح الملك الأبدي؟ وأنتم تعلمون أن يعقوب بن إسحق لم يكن ملكًا قط. ولذا في شرح أي ملك يقصد باسمي يعقوب وإسرائيل يقول الكتاب: "يعقوب عبدي أعضده، وإسرائيل مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مُدخِّنة لا يطفئ. بل يجعل الحكم للحق. يُشرِق ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وعلى اسمه تتكل الأمم" (إش ٤٢: ١ - ٤) إذن هل تتكلون أنتم والأمم على يعقوب وليس على المسيح. وبما أن المسيح يُدعى إسرائيل ويعقوب فنحن أيضًا الذين قُطعنا من جنب المسيح[٢٣١] شعب إسرائيل الحقيقي. ولنسمع ما يقوله الكتاب أيضا "وأُخرِج

[٢٢٧] انظر تك ٢٩: ١٧.
[٢٢٨] انظر تك ٣١: ١٩.
[٢٢٩] انظر تك ٢٧.
[٢٣٠] انظر تك ٣٢: ٢٨.
[٢٣١] انظر إش ٥١: ١ " انظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم" فالصخر هنا يشير إلى المسيح.

بل تصنعون الإثم في حضرته. وأسوأ خطاياكم أنكم تكرهون البار الذي قتلتموه وقتلتم أيضًا الذين هم بنعمته أتقياء وأبرار ومحبون للخير، ولهذا قال الرب: "ويل لنفسهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم قائلين: فلنطرح البار فإنه ثقيل علينا" (إش ٣: ٩) ومع أنكم لم تقدموا ذبائح للبعل كما فعل أجدادكم ولا قدمتم قرابين على المرتفعات لقوات السماء لكنكم لم تقبلوا مسيح الله، فإن مَن يجهله يجهل إرادة الله أيضًا، ومَن يزدري به ويكرهه يزدري ويكره مَن أرسله أيضًا، ومن لا يؤمن به لا يؤمن بكلام الأنبياء الذين كرزوا به وشهدوا له أمام جميع الناس."

الفصل المئة والسابع والثلاثون

"يا إخوتي، لا تتكلموا بقسوة عن المصلوب ولا تهزأوا بجراحاته، التي بها يُشفى كل أحد كما شُفينا نحن أيضًا. فيا ليتكم تطيعون كلام الكتاب وتختتنون من قساوة قلوبكم وليس بالختان الذي بحسب تقليدكم، لأن الكتاب يؤكد لنا أن الختان أُعطيَ كعلامة وليس كعمل بر. إذن، فلنتفق ألّا تهينوا ابن الله. لا تسمعوا لمعلميكم الذين هم مثل الفريسيين، ولا تزدروا بملك إسرائيل كما يأمركم بذلك رؤساء المجامع بعد الصلاة، لأنه إذا كان مَن يمس هؤلاء الذين لم يرضوا الله كمن يمس حدقة عين الله[٢٣٢] فكم بالحري يكون ذاك الذي يمس ابنه الحبيب؟ والذي أثبتنا بما فيه الكفاية أنه هو بالفعل هكذا."

وإذ ظلوا صامتين قلت: "يا أصدقائي، سأذكر لكم الآن نصًّا من الكتاب وفقًا للترجمة السبعينية، فعندما ذكرت هذه الأجزاء كما هي عندكم كنت أحاول معرفة ميولكم، وعندما ذكرت

[٢٣٢] انظر زك ٢: ٨.

النص الذي يقول: "ويل لهم لأنهم أشاروا مشورة شريرة ضد أنفسهم" أضفت كلمات الترجمة السبعينية: "فلنطرح البار فإنه ثقيل علينا" مع أنني في بداية حديثي معكم ذكرت ما هو مكتوب في ترجمتكم: "فلنُقيِّد البار فإنه ثقيل علينا" ويبدو أنكم كنتم منشغلين في ذلك الوقت ولم تنتبهوا جيدًا لكلامي. ولكن بما أن النهار قد أوشك على الانتهاء والشمس على وشك أن تغرب فسأضيف ملاحظة أخرى قبل أن أختم. وعلى الرغم من أنني ذكرت هذه النقطة مِن قبل إلا أنني أرى أنها تستحق الشرح مرة أخرى."

الفصل المئة والثامن والثلاثون

ثم قلت: "أنتم تعلمون يا سادة أن الله قال لأورشليم بفم إشعيا: "في طوفان نوح أنا خلصتك"[٢٣٣] وبهذا قَصدَ الله أن يعلن سر فداء البشرية في الطوفان، وقد كان نوح مع زوجته وأبنائه الثلاثة وزوجاتهم ثمانية أشخاص مثالاً لليوم الثامن - أي اليوم الأول في الأسبوع - الذي فيه قام الرب مِن الموت. والآن بما أن المسيح هو بكر كل خليقة، فقد صار باكورة لشعب جديد تجدد بواسطته بالماء والإيمان والخشبة التي حملت سر الصليب. كما أن الخشب أنقذ نوحًا وأسرته؛ إذ حملهم آمنين على المياه. إذن عندما يقول النبي "في زمن نوح أنا خلصتك" فهو يوجه كلامه إلى أولئك الأوفياء نحو الله ولهم العلامات ذاتها. فقد قاد موسى شعبكم عبر البحر بأمان عندما أمسك العصا في يده، ومن الخطأ أن تظنوا أنه قال هذه الكلمات لشعبكم فقط وقصد أرضكم فقط. ولكن عندما يذكر الكتاب المقدس أن الطوفان أغرق كل الأرض حتى إن المياه علت خمس عشرة ذراعًا فوق كل

[٢٣٣] لم يرد هذا الكلام في سفر إشعيا، ولكنه ربما يكون مبنيًا على إش ٥٤: ٨ - ٩.

عبدًا له" (تك ٩: ٢٤ - ٢٧) إذن فالله قد بارك شعبين؛ الساميين واليافثيين وأعلن أن الساميين سيملكون على مساكن كنعان في أول الأمر، ثم بعد ذلك ستستولي ذرية يافث عليها، في حين يضطر الشعب الآخر [أي الكنعانيون] أن يصير عبدًا للإثنين. أما المسيح فقد جاء بالقوة المُعطاة له مِن الآب ضابط الكل ليدعو جميع الشعوب إلى الألفة والبركة والتوبة وحياة الشركة في هذه الأرض ذاتها التي ستكون [ملكًا] لكل القديسين. ولذا تدرك شعوب الأرض سواء عبيد أو أحرار الذين يؤمنون بالمسيح ويعترفون بصدق كلامه وكلام الأنبياء أنهم في يوم ما سيجتمعون به في تلك الأرض حيث الميراث الأبدي لبركات لا تفنى."

الفصل المئة والأربعون

"ولذا نجد أن يعقوب، الذي هو مثال للمسيح، تزوج من جاريتين لزوجتيه الحرتين وأنجب منهما أبناء ليشير إلى أن المسيح سوف يرحب حتى بالذين من جنس يافث وينحدرون أيضًا مِن كنعان كأبناء له مساوين للأحرار وشركاء معهم في الميراث، وهو ما صرنا إليه ولكنكم لا تفهمون هذا لأنكم لم تشربوا مِن ينبوع الله الحي بل فقط مِن الآبار المشققة التي لا تضبط ماء، كما يقول الكتاب[٢٣٩]. فهي حقًّا آبار مشققة لا تضبط ماء تلك التي حفرها لكم معلموكم كما عبر عنها الكتاب "يعلِّمون تعاليمَ هي وصايا الناس" (إش ٢٩: ١٣) وهؤلاء المعلمون يخدعون أنفسهم ويخدعونكم عندما يفترضون أن ذرية إبراهيم بالجسد لا بد أن تكون لها شركة في الملكوت الأبدي حتى لو كانوا خطاة عديمي الإيمان لا يطيعون الله. وقد أوضح لنا الكتاب أن هذه افتراضات لا أساس لها من الصحة،

---

[٢٣٩] انظر إر ٢: ١٣.

وإلا لما كان إشعيا قد قال "لولا أن الرب أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وعمورة" (إش ١: ٩) ولَما قال حزقيال إنه لو طلب نوح أو دانيال أو أيوب [أن يخلصوا] أبناء أو بنات لا يُعطى لهم ولا يهلك أب عوضًا عن ابن ولا الابن عن الأب بل كل واحد بخطيته يهلك أو بأعماله الصالحة يُخلَّص[٢٤٠]. وأيضًا يقول إشعيا "يرون جثث العصاة فإن دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ ويكونون منظرًا لكل ذي جسد" (إش ٦٦: ٢٤) ولما قال ربنا بحسب مشيئة الآب و رب الكل الذي أرسله "إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات. أما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية" (مت ٨: ١١ - ١٢) وقد أوضحت لكم قبلا[٢٤١] أن الذين عرفهم الله بسابق علمه كخطاة سواء كانوا أناسًا أو ملائكة فهم يصيرون هكذا ليس بسبب الله بل كل بسبب خطيته.

الفصل المئة والحادي والأربعون

"ولكي لا يكون لكم عذر تقدمونه بأنه كان لا بد للمسيح أن يُصلَب، وأن الصالبين لا بد أن يكونوا مِن جنسكم ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك، أود أن أقول إن الله على الرغم من أنه أراد للناس والملائكة أن يسيروا بحسب إرادته، إلّا أنه سُرَّ أن يخلقهم بإرادة حرة مِن جهة ممارسة الفضيلة واستخدام العقل لكيما يعرفوا خالقهم - الذي به جاءوا من العدم إلى الوجود - والذي أعطاهم ناموسًا يُحاكَمون به في حالة عمل أي شيء مناف للعقل. ولذا ما لم نتُب سريعًا فإننا - سواء أناس أو ملائكة - سنُدان بسبب خطايانا. وإذا

---

[٢٤٠] انظر حز ١٤: ٢٠ ؛ ١٨: ٤ - ٢٠ ؛ تث ٢٤: ١٦.

[٢٤١] راجع الحوار مع ترفون، الفصلين ٨٨ و ١٠٢.

كانت كلمة الله تنبئ بأن بعض الناس والملائكة ستقع عليهم عقوبة، فذلك لأن الله يعلم مسبقًا بخطيتهم التي بلا توبة، وليس لأن الله خلقهم هكذا. ولذا فإن كل مَن يتوب بإرادته ينال رحمة مِن الله ويُدعى مباركًا في الكتاب المقدس الذي يقول "طوبى لمَن لا يحسب له الرب خطية"[٢٤٢]. وهذا يعني أنه عندما يتوب الإنسان عن خطاياه ينال مغفرة مِن الله، وليس كما تخدعون أنفسكم أنتم ومَن يشابهونكم[٢٤٣] في هذا، والذين يقولون إنه بالرغم مِن كونهم خطاة إلا أنهم يعرفون الله وبالتالي فلن يحسب لهم خطية. والدليل على ما أقول هو سقطة داود الوحيدة التي وقع فيها نتيجة غروره، ولكنه تاب بدموع فنال المغفرة. ولكن إن لم تُعطَ المغفرة لشخص مثل هذا الملك العظيم الممسوح والنبي إلا عندما بكى وناح على خطيته، فكيف يمكن أن يأمل الخطاة التعساء أن الرب لن يحاسبهم على خطاياهم ما لم يتوبوا بدموع ونواح؟ في الواقع، يا سادة، إن سقطة داود الوحيدة هذه مع إمرأة أوريا تبيِّن أن الآباء البطاركة أخذوا لهم زوجات كثيرات ليس كزناة أو شهوانيين، إلا أن هذه الزيجات كانت لإتمام تدبير معيَّن وأسرار كثيرة. فإذا كان من المسموح اتخاذ أية زوجة أو أي عدد من الزوجات كما يحلو للمرء، مثلما يفعل رجال أمتكم في كل أنحاء العالم حيث يقطنون؛ إذ يتَّخذون نساء تحت مُسمَّى الزواج، فبالأحرى يكون مسموحًا لداود أن يفعل هذا."

وعند هذه النقطة انتهيتُ من حديثي، أيها العزيز ماركوس بومبيوس.

---

[٢٤٢] مز ٣١: ٢ (في البيروتية مز ٣٢: ٢).

[٢٤٣] مثل الغنوسيين المناقضين (Antinomian Gnostics).

نصح لليونانيين

مقدمة

يوجد نص "نصح لليونانيين" في أربعة مخطوطات يونانية أقدمها هي Arethas Codex (cod. Paris. 451) لعام ٩١٤م. ويرد في هذه المخطوطات وأيضًا في النسخة اليونانية الأصلية لهذا النص والترجمة اللاتينية الأولى له، أن هذا النص هو من أعمال ق. يوستينوس الأصلية[١]. ولكن لا يبدو أن هذا النص قد كُتِبَ بقلم ق. يوستينوس الشهيد، وذلك ليس فقط بسبب أسلوبه الأدبي بل أيضًا بسبب مضمونه الذي ينتقد فيه الفلاسفة الوثنيين. وبالرغم من أن هذا النص قد نُسِبَ منذ القرن السادس للقديس يوستينوس[٢] إلا أنه يُعَد من الكتابات المشكوك في مصدرها. أما الذين ينكرون نسبته له فيُرجِعون كتابته إلى أعوام ١٨٠-٣٦٠م[٣] أي بعد استشهاد ق. يوستينوس.

ويوضِّح ق. يوستينوس في هذا "النصح" أن الوثنيين ليس لديهم معلمون للدين يُمكِن الاعتماد عليهم، وأن حكماءهم وشعراءهم وفلاسفتهم ليس لديهم معرفة سليمة بالأمور الدينية، وأن أي شعاع للحقيقة يظهر هنا أو هناك في كتاباتهم فهو مستعار من الأنبياء اليهود الذين هم أقدم وأكثر حكمة منهم ولكي يحصلوا على معرفة كاملة بالإيمان الحقيقي يجب على اليونانيين دراسة كتابات الأنبياء وأيضًا كتابات المسيحيين الذين يعتمدون على هؤلاء الأنبياء.

---

١ هذا هو رأي يوسابيوس القيصري أيضًا في كتابه "التاريخ الكنسي" ٤، ١٨، ١

2 Photius, cod. 232; P.G. 103.1100 D.

3 Ph. Haeuser, *Pseudo-Justinus Mahnrede an die Hellenen* (Bibl. D. KirchenväterBd. 33, 1917) 238f.
ويُظَن أنه نظرا لغياب أية أفكار تنتمي إلى الأفلاطونية الجديدة فإن هذا العمل قد تمت كتابته قبل عام ٢٥٠ م.

خطاب إلى اليونانيين

مقدمة

لقد وصل إلينا كتاب "خطاب إلى اليونانيين" في مخطوطتين، الأولى يونانية وهي (*Codex Argentoratensis* gr. 9) من القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، وقد دُمِّرَت تمامًا في حريق في مدينة ستراسبورج في ٢٤ أغسطس ١٨٧٠ [١]. والمخطوطة الأخرى من القرن السابع (*Cod. Syr.* Add. 14658) وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني وتحتوي على النسخة السريانية لهذا الحديث تحت اسم أمبروسيوس[٢].

في هذا الخطاب القصير المكوَّن من خمسة فصول يشرح الكاتب الأسباب التي دفعته إلى اعتناق المسيحية، وهي أسباب ترتكز على كراهيته للرذائل المقترنة بالأساطير اليونانية والاحتفالات الوثنية. ويختم الكاتب حديثه بمناشدة اليونانيين أن يتمثَّلوا به ويصيروا مسيحيين.

ويشك البعض أن القديس يوستينوس هو كاتب هذا الخطاب[٣] لأن تاريخ فضح هذا الانحلال الوثني يجب رصده بين النصف الأخير من القرن الثاني والربع الأول من القرن الثالث. فضلًا عن أن الأسلوب ليس هو أسلوب ق. يوستينوس، كما أن الكاتب يرجِع تحوُّله للمسيحية إلى كراهيته لفجور الوثنيين، بينما يُرجِع ق. يوستينوس تحوله للمسيحية[٤] إلى دراسة عميقة لأنبياء العهد القديم، بالإضافة إلى تأثُّره الشديد بصمود المسيحيين في مواجهة العذاب والموت.

---

١ لرؤية وصف عن المخطوط انظر Migne *PG* 6.222

٢ انظر (*Spicilegium Syracum*) لـ (W. Cureton) (لندن ١٨٥٥) ٣٨- ٤٢، ٦١- ٦٩.

٣ لمعرفة اختلاف الآراء حول هذا الأمر انظر W. Smith and H. Wace, *A Dictionary of Christ. Biography*. 3: 365

٤ انظر الحوار مع تريفون، فصل ٧.

عز حكم الله

مقدمة

إن النص اليوناني لمقال "عن حُكم اللّٰه"[1] (De Monarchia) محفوظ في مخطوطة Codex Paris gr 450 لسنة ١٣٦٤ وأيضًا في مخطوطة Codex Claromont. 82 لسنة ١٥٤١. وكان أيضًا محفوظًا في مخطوطة ستراسبورج Cod. gr 9 من القرن الثالث عشر والتي فُقِدَت في حريق عام ١٨٧٠.

وهدف هذا المقال القصير هو إثبات الإيمان بإله واحد مِن الأدب اليوناني، ولهذا نجد أن الكاتب قد اقتبس من كُتَّاب التراجيديا أمثال ايسخيلوس (Aeschylus) وسوفوكليس (Sophocles) ويوريبيديس (Euripides) ومن كُتَّاب الكوميديا مثل فليمون وأورفيوس وميناندر وأيضًا من كتابات الفلاسفة أفلاطون وفيثاغوراس.

وتضع المخطوطات هذا الكتاب ضمن كتابات القديس يوستينوس، كما أن يوسابيوس في كتابه التاريخ الكنسي، الفصول ٤ و ١٨ ينسبه إليه تحديدًا. غير أن يوسابيوس يقول إن كتاب "عن حُكم اللّٰه" الذي قرأه كان يُثبِت وحدانية اللّٰه بشواهد من الكتب المقدسة ومن الأدب الوثني. أما المقال الذي لدينا الآن فهو يستخدم شواهد من مصادر وثنية فقط. ولذا فإن الشكوك تحوم حول كاتب هذا المقال الذي كُتِب على الأرجح في القرن الثالث[2] عندما كان استخدام أبيات من الشعر اليوناني الزائف شائعًا.

---

[1] إن اسم الكتاب Περὶ μοναρχίας يعني حرفيًا "عن المَلَكيّة".

[2] Cf. G. Bardy, "Justin" *Dict. theol. cath.* 8.2240, and J. M. Semisch, *loc. cit.* 163-167.

شذرات من الكتاب المفقود للقديس يوستينوس عن القيامة

الفصل الأول

إن كلمة الحق حرة وسلطتها تنبع مِن ذاتها، وهي أكبر مِن أن تقع تحت طائلة المجادلات البارعة أو الفحص المنطقي مِن قِبَل سامعيها. ولكن ينبغي تصديقها لما فيها مِن نبلٍ والثقة في الرب الذي أرسلها. إن كلمة الحق مُرسَلَة من الله، والحرية التي تنبع منها ليست حرية متعالية؛ فسلطان مُرسلها يجعل مِن غير اللائق أن تحتاج إلى إثبات؛ فالرب الذي أرسلها هو ذاته الإثبات. فكل إثبات هو أقوى وأكثر مصداقية مما يُثبِته، فعندما يتم تقديم الدليل على أمر مشكوك فيه يكتسب عندئذ المصداقية مِن الدليل عليه ويصبح أمرًا يقينيًّا. إلّا أنه ليس شيئًا أكثر قوة ومصداقية مِن الحق؛ أما مَن يطالب بدليل على ذلك الحق فهو أشبه بمن يطالب بدليل على ما يبدو ظاهرًا وجَلِيًّا للحواس. فالأمور المنطقية يمكن اختبارها عن طريق الحواس، أما الحواس فلا يمكن اختبارها في ذاتها. وبناءً عليه فإننا نُحيل ما يُريد العقل إثباته إلى اختبار الحواس التي بها نحكم على ماهية الأشياء، صحيحة كانت أو خاطئة، ثم نعطي مصداقية كاملة لما ينتج عن الاختبار الحسِّي فلا تكون هناك مجادلة او نقاش بعد ذلك. وهكذا أيضًا نُحيل كل ما يخص العالم والإنسان إلى الحق، وبالحق نحكم ما إذا كان لتلك الأشياء قيمة أم لا. وأما كلمات الحق فلا نحكم عليها بحكم مُجَّرد لأنها هي كافية لإعطاء المصداقية لأحكامها. والرب أبو الكون والمدبر الأعظم هو الحق، والكلمة، ابنه يسوع المسيح، الذي تجسد لأجلنا مُعلنًا لنا ذاته والآب أيضًا، ومعطيًا إيانا في شخصه قيامة من الأموات وحياة أبدية. هذا هو سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح. وهو يحمل في ذاته الإيمان والدليل على ذاته وعلى كل شيء آخر. ومَن يتبعه ويؤمن به ويعرفه

كالبغال رغم وجود الرحم في إناثها فهي لا تحمل ولا تنجب ولا تقوم البغال الذكور بوظيفة حفظ النوع. وهكذا في كلتا الحالتين؛ من الناس والحيوانات غير العاقلة فإن الوظيفة الجنسية للأعضاء قد انتفت حتى قبل وقت القيامة. كما أن ربنا يسوع المسيح قد وُلِد من عذراء ليُثبِت للعالم البشري أن الانجاب مِن الممكن أن يحدث بدون وجود الشهوات الدنيئة، وأن عملية الخلق وتكوين الإنسان ممكنة عند الله بدون تدخل بشري. ثم بعد ولادته خضع السيد المسيح لبعض قوانين الجسد البشري كالجوع والعطش والملبس والتي بدونها يفنى الجسد، أما ما لم يخضع له يسوع المسيح قط فكانت الشهوة لأن غيابها لا يضر الجسد البشري في شيء. فإن حرمان الجسد مِن المأكل والمشرب والملبس مِن شأنه تدمير الجسد، أما غياب العلاقة الجنسية فلا يضير الجسد في شيء. كما أن السيد المسيح قال إنه في القيامة ستبطل وظيفة الجنس حين قال "أبناء هذا الدهر يزوِّجون ويتزوجون. ولكن الذين حُسِبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات، لا يزوِّجون ولا يتزوَّجون؛ إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً؛ لأنهم مثل الملائكة" (لو ٢٠: ٣٤، ٣٥) إذن فاندهاش غير المؤمنين مِن تحُّرر الأعضاء الجسدية مِن وظائفها الدنيوية غير مُبرَّر نظرًا لأن تلك الوظائف تنتفي في أحيان كثيرة في عالمنا الحالي.

الفصل الرابع

إنهم يزعمون أن الجسد سوف يقوم بنفس الحالة التي كان عليها عندما رقد؛ فعلى سبيل المثال إذا كان الجسد فاقدًا أحد أعضائه كعين أو ساق فإنه سيقوم بالضرورة فاقدًا نفس العضو. فكم هي عمياء قلوبهم! أ لم يروا العميان يبصرون والعرج يمشون بقوة كلمة الله. فكل ما فعله السيد المسيح لم يكن تحقيقًا للنبوءات

التي قيلت عنه في العهد القديم فحسب " العُمي يُبصِرون، والعُرج يَمشون" (إش ٣٥: ٥) إنما أيضًا ليؤكِّد أنه في القيامة سيقوم الجسد صحيحًا خاليًا مِن أيَّة تشوُّهات أو نقص. إن كان قد شفى الأجساد مِن أمراضها على الأرض وأعاد الأجساد صحيحة، فكم بالأحرى في القيامة ستقوم الأجساد صحيحة وخالية مِن أية عيوب. وبهذه الطريقة سوف يتم التغلب على الصعاب التي لدى هؤلاء الناس لفي فهم القيامة].

الفصل الخامس

يدَّعي بعض مَن يعترضون على قيامة الجسد البشري بأن ذلك مستحيل، والبعض الآخر يرون أن حقارة الجسد البشري ودناءته لا تجعله أهلًا للقيامة ولا يصلُح أن يُقيمَه الله، ويقول آخرون إن الله لم يُعطِ وعدًا بقيامة الجسد منذ البداية. أما الادعاء الأول فلا ينُم سوى عن جهل قائليه الذين يَدْعون أنفسهم مؤمنين وهم أكثر ابتعادًا عن الإيمان مِن الوثنيين الذين يؤمنون أن أصنامهم قادرة على صنع العجائب، فالشاعر هوميروس كان يردد "إن الآلهة قادرة على صنع كل شيء بسهولة"[١] وقد أضاف كلمة "بسهولة" ليؤكِّد على قوة تلك الأصنام. فإذا كان عابدو الأصنام يؤمنون بقوة آلهتهم المصنوعة مِن حجارة والتي كما يقول عنها الكتاب "لهم أعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون"[٢]، ويؤمنون أنها تستطيع أن تصنع كل الأشياء، بالرغم مِن أنها مجرد شياطين كما يقول الكتاب: "كل آلهة الأمم شياطين"[٣]. فالأولى أن نؤمن نحن إيمانًا حقيقيًّا سليمًا بإلهنا؛ إذ لدينا أدلة [على قدرته] في خَلقِه آدم الإنسان الأول في البدء مِن

---

[١] *Odyssey* 2.304.

[٢] مز ١٣٤: ١٦، ١٧ (في البيروتية مز ١٣٥: ١٦، ١٧).

[٣] مز ٩٥: ٥ (في البيروتية مز ٩٦: ٥).

الأرض، وهو دليل كافٍ على قوة الله. ومن يلاحظون الأمور جيدًا سيدركون تتابُع أجيال البشر عن طريق التناسل، ويتعجبون كيف أنه من نقطة صغيرة يتشكَّل كائن حي بديع مثل الإنسان، وهذه كلها أدلة كافية ودامغة على قوة وقدرة الله، وهذه كانت وعود الله التي لم نكن لنصدقها إن لم تكُن قد تحقَّقت ورأيناها بأعيننا على أرض الواقع. وحتى فيما يتعلق بالقيامة فقد أرانا المُخلِّص [بقيامته] أن القيامة هي أمر حقيقي. وسوف نتحدث عن قيامته بعد قليل؛ إذ إننا نتحدَّث الآن عن أن قيامة الجسد ممكنة ونقدِّم اعتذارًا لأبناء الكنيسة لأننا سنستند إلى أدلة من الطبيعة ومن علوم غير مسيحية: أولًا لأنه ليس شيئًا غريبًا عن الله ولا العالم ذاته، وثانيًا لأننا نخاطب في المقام الأول غير المؤمنين. فمناقشتنا مع المؤمنين سوف يكفيها القول بأن هذا هو إيماننا، ولكننا سنلجأ إلى استعراض البراهين الكافية لإقناع غير المؤمنين بإمكانية قيامة الجسد، ونظرًا لأنهم لن يصدِّقوا براهين الإيمان فسوف نسوق لهم براهين عدم إيمانهم، أي البراهين الماديَّة فإذا لم يقتنعوا بالدلائل الإيمانية أو المادية فلا يسعنا تجاههم سوى الاهمال.

الفصل السادس

إن بعض فلاسفة الطبيعة أمثال أفلاطون يقولون بإن الكون يتكوَّن من المادة والله؛ في حين يرى البعض الآخر كإبيقور وأتباعه أن الكون عبارة عن ذرات في الفراغ، ويرى الرواقيون أن الكون يتكوَّن مِن أربعة عناصر هي الماء والهواء والنار والتراب. ويقول أفلاطون إن كل الأشياء قد صُنِعَت مِن المادة بواسطة الله، وبتصميمه. أما أبيقور وأتباعه فيرون أن كل الأشياء مصنوعة مِن ذرات تدور في الفضاء بطريقة منظمة ذاتيًا مصدرها الحركة الطبيعية للأجسام.

ويرى الرواقيون أن كل الأشياء مصنوعة مِن العناصر الأربعة التي يتواجد الله فيها. ورغم اختلافهم فإن هناك نقاط يتفقون فيها مثل عدم إمكانية خَلْق شيء مِن العدم، وعدم إمكانية تحوُّل شيء إلى شيء آخر لم يكن له وجود منذ البداية، وأن العناصر الأساسية لا يُمكن تدميرها وهي أصل الأشياء. وبالتالي فإن قيامة الجسد ـ تبعًا للنقاط السابق ذكرها ـ تبدو ممكنة. فالكون بالنسبة لأفلاطون، على سبيل المثال، يتكون مِن الله والمادة وكلاهما غير قابل للفناء، فالله هو الفَخَّاري الأعظم، والمادة هي الطمي الذي يتشكل كيفما أراد فيصبح تمثالاً أو صورة، فالتمثال أو الصورة قابلة للتدمير أما المادة الأصلية ـ أي الطمي ـ لا يمكن تدميرها وفي هذه الحالة يمكن للفَخَّاري أن يعيد تشكيل التمثال بعد تدميره باستخدام نفس المادة. وبناءً على ذلك فليس بالعسير على الله الذي هو في حد ذاته أصل كل الأشياء ان يُقيم الجسد الذي خلقه كما كان في سابق عهده. وحتى بالنسبة للرواقيين فإن الجسد هو نتاج تلاحم العناصر الأربعة، وعندما يتحلَّل الجسد فإنه يعود إلى تلك العناصر الأربعة مرة أخرى، وهي عناصر أساسية غير قابلة للتدمير، وبالتالي فإنه ليس مِن العسير أن يحدث التلاحم المُكوِّن للجسد مرة أخرى حسب إرادة الله ويعود الجسد كما كان. ومثال ذلك قيام إنسان بصنع تركيب ما من الذهب والفضة والنحاس والقصدير، ثم يقوم بحل هذا التركيب، ولكنه يمكنه، إذا أراد، أن يخلط هذه المواد مرة أخرى ويصنع نفس التركيب ثانيةً. أما في رأي أبيقور فإن الكون يتكوَّن مِن ذرات في الفراغ، ويتبع ذلك بالضرورة أن تلك الذرات مُرتَّبَة ترتيبًا محددًا بحيث تكوِّن كل الأجسام في الكون بما في ذلك الجسد البشري، فإذا تحلَّل الجسد البشري فإنه يعود إلى ذات الذرات التي كوَّنته في البداية، وبالتالي فإن قيامة الجسد ليست مستحيلة عن طريق إعادة

تلك الذرات إلى وضعها وترتيبها السابق كما هو حال الصائغ الذي يقوم بصنع صورة لحيوان من الفسيفساء، وقد تتبعثر تلك الأحجار بفعل الوقت أو بفعل الصائغ ذاته الذي رتَّبها، ولكن لا يزال بمقدوره أن يُعيدها إلى ترتيبها الأول ليصنع الصورة نفسها مرة أخرى. وبعد كل هذه الأدلة ألاَ ترون أن الله يستطيع أن يجمع أعضاء الجسد المُتحلِّلة مرة أخرى ليكوِّن الجسد ذاته كما كان قد خَلَقَه في البدء؟

الفصل السابع

لقد أثبتُّ أن قيامة الجسد ممكنة بالأدلة المادية والعقلية المُقنِعة بالنسبة لأهل هذا العالم. وإن كانت قيامة الجسد غير مستحيلة بالمنطق الأرضي الذي لغير المؤمنين، فكم بالأكثر سيكون هذا [مُقنِعًا] بالنسبة للمؤمنين! والآن يتعين عليَّ حسب الترتيب أن أخاطب هؤلاء الذين يزدرون الجسد البشري ويرونه غير أهل للحياة السمائية ولا للقيامة مُعلِّلين رأيهم بأن المادة الأصلية للجسد البشري هي التراب، كما أن دناءته وشروره يدفعان الروح إلى الوقوع في الخطية. فإن آراء هؤلاء تنم عن جهل بأعمال الله سواء في خلق البشر أو سبب خلق سائر الأشياء في هذا العالم. أ لم يقل الكتاب: "لنصنع الإنسان على صورتنا وشبهنا" (تك ١: ٢٦)؟ فأي إنسان يقصد الله؟ أ ليس الإنسان الجسداني؟ فالكتاب يقول في سفر التكوين "جبَلَ الرب الإله آدمَ ترابًا مِن الأرض." (تك ٢: ٧) وبالتالي فإنه مِن الواضح أن الإنسان الذي خلقه الله على صورته كان ذا جسد. ألا يبدو الآن أن ادِّعاء حقارة الجسد البشري هو ادِّعاء غير معقول مِن الناحية المنطقية؟ والدليل على أن الجسد البشري ثمين في عينَيّ الله هو أن هذا الجسد مِن صنع يديه، وأن الصورة ثمينة في عينَيّ الرسام، ولأن الله سخَّر كل ما خلقه لخدمته، وبالتالي فإن الانسان [بصورته الجسدية] هو أثمن ما خلقه الله.

الفصل الثامن

إنهم يدَّعون في مزاعمهم أن الجسد هو أصل الخطية، وهو الذي يدفع الروح للسقوط معه، وبالتالي يلقون عليه وحده مسئولية سقوط كُـلًّا من الـروح والجسد معًا. ولكن هل يمكن للجسد أن يخطئ وحده بدون ان تُحفِّزه الروح أولاً على الخطية؟ فعلى سبيل المثال نجد أنه إن كان زوج من الثيران تحت النير وتم عتق أحدهما مِن النير فلن يمكن للآخر القيام بعملية الحرث وحده، فهكذا أيضًا لا الجسد ولا الـروح يقدر أن يُخطئ إذا ما تم حل الرباط الـذي يجمع بينهما. كما أنه إذا كان الجسد وحده هو مصدر الخطية، إذن فقد جاء المُخلِّص مِن أجله وحده حيث يقول الكتاب "لم آتِ لأدعو أبـرارًا بل خطاةً إلى التَّوبة" (مـر ٢: ١٧) وقد أثبتنا قبلًا أن الجسد البشري ثمين في عينَيّ الله وهو أثمن مخلوقاته، لذا فقد جاء يسوع المسيح لتخليصه من الخطية.

وهنا ننتقل إلى من يقولون بأنه برغم كون الجسد البشري ثمين في عينَيّ الله وهو أثمن ما خلق، فإن ذلك لا يتبعه بالضرورة أن يكون الله قد منحه وعدًا بالقيامة مِن الأموات. ولكن أ ليس مِن الغريب أن ما نُقِرُّ بأنه أثمن مخلوقات الله سوف يتجاهله الله في القيامة ليصبح مصيره إلى العدم؟ فإن كان النحات والرسام يقومان بترميم أعمالهما إذا ما بدأت تضمحل حتى تظل مِن بعدهما مُخلِّدةً أسماءهم، فهل يترك الله أعظم مخلوقاته إلى الفناء؟ فإذا كان الأمر كذلك فهل هذا يعني أن عمل الله كان عبثًا؟ لأنه إن كان باني البيت يرى عمله يضمحل ويفنى ولا يقوم بترميمه وإصلاحه، فإن ذلك لا يعني سوى أنه تعب عبثًا. فهل الله غافل عن تلك الحقيقة؟! لذا فليصمت غير المؤمنين.

ولكن الله في الحقيقة قد دعا الجسد البشري إلى القيامة ووعده

بالحياة الأبدية. فحينما وعد الله الإنسان بالحياة الأبدية فقد دعاه جسدًا وروحًا في آن واحد. فالإنسان ليس سوى كائن حي عاقل له جسد وروح. هل يمكن أن تكون الروح وحدها هي الإنسان؟ كلا إنما هي فقط روح الإنسان. وهل يُدعى الجسد وحده إنسان؟ كلا بل يُدعى جسد الإنسان. وحيث إن كُلًّا منهما هو جزء مِن الإنسان، والانسان هو جسدٌ وروح معًا، وقد دعا الله الإنسان إلى القيامة والحياة الأبدية، فالله لم يَدعُ جزءًا وإنما الإنسان بأكمله جسدًا وروحًا. فلا يُمكِن أن يُخلِّص الله جزءًا ويترك الآخر لأن كلاهما يوجدان في كائن واحد ويتشاركان الحالة ذاتها. فإن كنا قد أثبتنا قبلًا أن قيامة الجسد البشري ممكنة وليست مستحيلة فعلى أي أساس يُقيْم الله الروح ويترك الجسد؟ فهل الله ناقم على الجسد؟ حاشا، الله أمين وسوف يخلِّص الانسان جسدًا وروحًا. فعند إعلان الله عن ذاته لم تسمع الروح فقط بيسوع المسيح وآمَنَتْ به بل والجسد أيضًا، وقد غسلهما الله مِن الخطية وأرشدهما إلى طريق البر. فإذا آمن الإنسان جسدًا وروحًا بالله فهل يختار الله أن يخلِّص الروح ويترك الجسد إلى مصير العدم؟ ألا يجعل ذلك الله إلهًا غير عادل؟ إن مَن ينكرون قيامة الجسد يزعمون أن الروح غير قابل للفساد وهو جزء مِن الله لأنه خرج منه لذا فالله سيخلِّص ما هو له، أما الجسد فهو مُعرَّض للفساد والشرور، وهو ليس جزءًا مِن الله. فإذا كان الأمر كذلك فأيَّة وسيلة لإظهار قوة الله تلك عندما يُخلِّص ما هو مُخَلَّص بالطبيعة والذي هو جزء[٤] منه في الأصل؟ لأن الخلاص يوجد فيه في ذاته، فإذا خلَّص الله الروح فهو لا يقوم بعمل عظيم إذن؛ إذ إن خلاصه حتمي لأنه جزء منه، فأي شكر له وأيَّة قوة هذه؛ إذ إنه بذلك يخلِّص ذاته في المقام الأول؟ لأن الذي يخلِّص جزءًا مِن ذاته، يُخلِّص ذاته ككل، وإن لم

[٤] يقصد الروح الذي نفخه الله في آدم عند خلقه فصار آدم نفسًا حيَّة، انظر تك ٢: ٧.

يفعل هذا فيكون قد عابه التقصير، وهذا ليس ما قد يفعله أي شخص صالح. فإن كان الإنسان الذي يصنع خيرًا مع أولاده لا يُسمَّى خيرًا فأكثر الحيوانات الوحشية تهتم بأولادها، وقد تُعرِّض نفسها للموت إنقاذًا لهم. ولكن إذا قام إنسان بتعريض نفسه للموت مِن أجل عبيده، فإن هذا يجعل ذلك الإنسان صالحًا. وهكذا علمنا ربنا يسوع المسيح أن نُحِب أعداءنا حين قال "وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم؟" (لو ٦: ٣٢) وبذلك علمنا السيد المسيح أن عمل المحبة لا يكون لأبناء الله فقط بل لغير المؤمنين أيضًا، وقد أعطى بنفسه مثالا لنا جميعًا[٥].

الفصل التاسع

إن لم يكن الجسد مهمًّا، فلماذا شفى المسيح جسد الإنسان؟ ولماذا أقام موتى؟ ألا يدلُّ ذلك على أن قيامة الجسد واجبة؟ وكيف إذن أقام الموتى؟ بأرواحهم أم بأجسادهم؟ أ لم يكُن واضحًا أنه أقام الموتى بأجسادهم وأرواحهم معًا؟ فإذا كانت القيامة بالروح فقط، أ لم يكن مِن الضروري أن يرى من شهدوا تلك المعجزات الروح قائمة بمفردها والجسد مائتًا بمفرده؟ ولكن المسيح لم يفعل ذلك، بل أقام الجسد والروح معًا مؤكِّدًا على وعده للجسد البشري بالحياة الأبدية. ولماذا قام السيد المسيح بجسده الذي احتمل العذابات إن لم يكن ليؤكد أن القيامة ستكون بالجسد أيضًا؟ وقد أكَّد ذلك أيضًا حين شكَّ تلاميذه في قيامته بالجسد فظهر لهم وقال لهم: " انظروا يديَّ ورجليَّ، إني أنا هو، جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٩) فتركهم يجسونه وأراهم أثر المسامير في يديه، وعندما أثبَتَ لهم بالأدلة القاطعة أنه هو وأنه

[٥] من المحتمل أن يكون جزء مِن النص قد فُقِد هنا.

قد قام بجسده سألوه أن يمكث معهم وأن يأكل معهم وقد أكل بالفعل عسلًا بريًّا وسمكًا. وبعد أن أثبت لهم أن قيامة الجسد ليست مستحيلة، أراد أن يُظهِر لهم أن صعود الجسد إلى السموات - حيث مسكن الأبرار في الحياة الأبدية - ليس أمرًا مستحيلًا أيضًا "وارتفع إلى السماء وهم ينظرون" (أع ١: ٩) وكان حينئذ في الجسد. وبعد كل ما ذكرناه إذا كان هناك من لا يزال يشكِّك في قيامة الجسد، فمثل هذا لا يختلف عن الصدوقيين، حيث إن القيامة هي قوة الله وهي تفوق إدراك العقل وتتأكَّد بالإيمان وتُرى في أعمال القداسة.

الفصل العاشر

إن القيامة تنحصر في قيامة الجسد الذي مات، فالروح لا تموت وهي تكون بداخل الجسد [وقت حياته] وبدونها لا يحيا الجسد. وعندما تفارق الروح الجسد يصبح مائتًا، فالجسد هو موطن النفس والنفس هي موطن الروح وهؤلاء الثلاثة - حسب إيماننا القوي بيسوع المسيح - سوف يخلصون. وبالنظر إلى المجادلات السابق ذكرها والتي أثبتنا فيها أن قيامة الجسد ممكنة بالإضافة إلى تأكيد الرب بالدلائل القاطعة التي ذُكِرت في الكتاب المقدس أن هناك خلاصًا للجسد البشري، لذا فلماذا ندخل تلك المجادلات الخطيرة والبعيدة عن الإيمان التي تجعلنا نعود عصورًا إلى الوراء بزعمها أن الروح خالدة ولكن الجسد فانٍ وتستحيل قيامته؟ فقد كنا نسمع تلك الآراء مِن فيثاغورس وأفلاطون قبل أن نعرف الحق. فإذا كان السيد المسيح قد جاء ليعبِّر عن تلك الآراء نفسها التي تقول بخلاص الروح فقط، فلماذا إذن جاء، وما البشارة التي أتانا حاملًا إياها أكثر مما قال به فيثاغورس وأفلاطون وأتباعهما؟ إلّا أن السيد المسيح قد جاء حاملًا